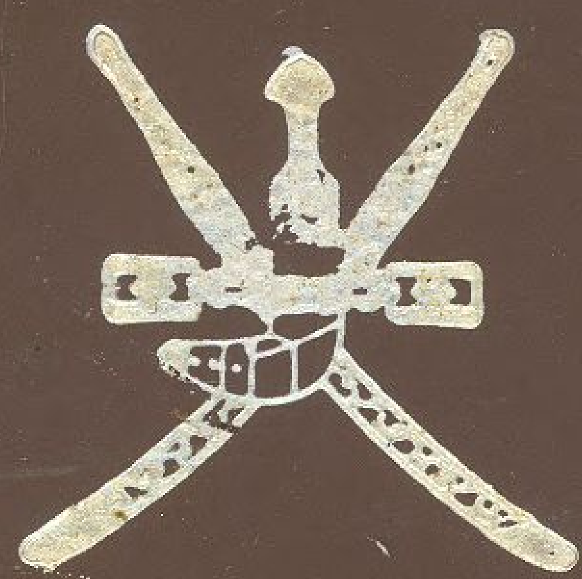


سلطنة عُمان
وزارة التراث القومى والثقافة

حَصَادُ

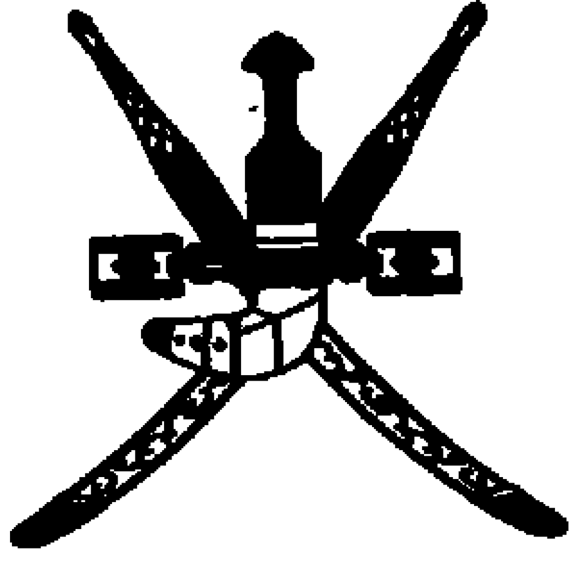
ندوة الدراسات العُمانية

البحوث والدراسات التى قدمت فى الندوة

ذوالحجة ١٤٠٠هـ - نوفمبر ١٩٨٠م

الجزء السابع

سلطنة عُمان
وزارة التراث القومي والثقافة



حصاد

ندوة الدراسات العُمانيّة

ذو الحجة ١٤٠٠هـ - نوفمبر ١٩٨٠م

المجلد السابع

الآراء والمعلومات الواردة فى هذه البحوث

تعبر عن رأى الباحثين وعلى مسئوليتهم

البيوت التقليدية فى صحار

م . كيرفران

Traditional Suhari Houses

Miss. M. Kervran

مدينة « صحار » لاتبدو اليوم مختلفة كثيراً عن وصف « جيه • جى لوريمر » لها فى الفهرس الجغرافى للخليج الفارسى [١] •

وفى الحقيقة لاتزال النواة القديمة للمدينة كما هى •• لم تتغير رغم أن توسعها الأخير يمتد إلى ماوراء بساتين النخيل الصغيرة على طـول الطريق الجديد المؤدى إلى مسقط •

ويجب أن نضع نصب أعيننا أن « صحار » بها نفس البناء المعمارى الشائع فى المدن المطلة على ساحل « الباطنة » وتنتشر الأحياء المشيدة على جانبى الطرق الريفية خارج المدينة على طول شاطىء البحر •• وهى تقع بين البحر وبساتين النخيل الصغـيرة والأنشطة الشائعة فيها هى الزراعة والصيد •

ولا يتجاوز اتساع بساتين النخيل الصغيرة التى تنمو على طـول الشاطىء ثلاثة كيلو مترات • وتبدو المدينة وكأنها قطاع يمتد على طول الشاطىء •• حيث يتجه واديان فى الشمال الغربى والجنوب الغربى إلى طرفيها •

وتحيط القرى بالشاطىء من الجانبين ••• لكنها لا تعتبر أحيـاء من المدينة (شكل ـ ١) • ونلحظ فى الطرف الشمالى الغربى من النواة القديمة للمدينة التى تتكون من القلعة والمنطقة المتاخمة لها أحياء « سولان وكوران » (وتسمى أيضا كورون) والحضيرة • أما فى الطرف الجنوبى الشرقى فنلحظ أحياء حارة « شيزاو » « وضابارا » « دخيلات الشايخ » « وانماى شنيول » •

وفى هذه الأحياء لاتزال منازل « الباراستى » أكثر عدداً من تلك المشيدة بالطوب والأسمنت ••• وعلى الشاطىء تنتظر قوارب «شاشاس» التقليدية رحلات الصيادين فى الصباح المبكر •

ويقع أقدم جزء فى المدينة فى الطرف الشمالى الغربى من القلعة محاطاً بأسوارها • وتبدأ السوق التى تضاءل حجمها اليوم لو أخذنا فى الاعتبار الأوصاف العظيمة للرحالة القدماء حين يمر الانسان بآثار الجمرك الذى يذكرنا بماض مزدهر وتجارة نادرة •

ومقارنة بالأقسام الأخرى فإن الباراستى ، ليست بناء المادة بالاختيار ؛ •• فبالأمس كانوا يفضلون الطوب [٢] كما يمكن أن نرى فى أطلال المساجد والبيوت القديمة (أشكال من ٨ — ١٠) •• ويفضلون اليوم الخرسانة المسلحة •

والنواة القديمة تسمى « حجرة منطقة حجرة » [٣] وهذا الاصطلاح يستخدم لبيوت القرن الماضى لتسمية حجرات الطابق الأرضى التى تغلق إلى الداخل عكس غرف الصيف التى تسمى غرفة فى الطابق الأول •

وهى مفتوحة من كل الجوانب بنوافذ مزدوجة ، ودون أن يمتد بنا الخيال يمكن أن يفترض الإنسان أن هذه المنطقة التى كانت من مدة مغلقة بالأسوار كانت تعطى سكانها والرحالة الزائرين لها إحساسا بالألفة والفضاء كما يوحى الاسم •

وحين أنشئت البيوت القليلة التى تحدثنا عنها فى هذا المقال — فى القرن التاسع عشر — لم تكن المدينة ذلك الميناء الشهير الذى كانت عليه قبل تسعة قرون مضت •

ورغم أن ساحل « صحار » لا يعطى أى مرفأ آمن ، والشواطىء الرملية لا تسمح للقوارب بأن تأتى بموازاته [٤] إلا أن هذا الميناء اجتذب فى الماضى تجارة دولية كمستودع للبضائع المستوردة من الهند والشرق الأقصى وبلاد المحيط الهندى ، وكمركز لشبكة واسعة من القوافل والتجارة البحرية •

كان التجار يفدون من كل أجزاء العالم لاستيراد منتجات اليمن ولتصدير مختلف أنواع البضائع .. مساهمين بذلك فى رفاهية البلد .. الغنى بالتمر والتين والموز والرمان والسفرجل والفاكهة الجيدة الأخرى ، وامتدت الرحلات إلى الصين .

ولم تكن منطقة ماوراء الميناء غنية فقط بالمنتجات الزراعية بل بالبضائع الأساسية أيضا .. حيث أن صحار كانت منذ الأزمان القديمة مصدرا لخام النحاس الذى كان ينتج بالقرب منها . إلا أنه فى القرن العاشر تنافست أنشطة صحار مع أنشطة « سيراف » واستقر عدد من تجار « سيراف » فى « صحار » [٦] قبل تدهور المدينة .

ولعبت قلهات ثم مسقط من بعدها فى القرون التالية دور الميناء فى التجارة الدولية .

وحين احتل البرتغاليون الموانىء والجزر الرئيسية فى الخليج فى القرن السادس عشر كان يمكنهم رؤية آثار الرخاء الزراعى لمنطقة صحار وأهميتها وجمالها [٧] .

ومع ذلك فقدت صحار طبيعتها الدولية وسقطت نهباً للانحدار ولم يعد التجار العراقيون وغيرهم يسيرون جنباً إلى جنب فى السوق واستقر بعضهم فى المدينة .

وتعدد الأجناس الحالى فى المدينة والأقليات الدينية التى تعيش هناك تدل على هذا الماضى .

ومن الوضع الدولى الذى استمتعت به أصبحت صحار ميناء محليا صغيراً واضمحلت المدينة .

وصحار مدينة صغيرة الأطلال هكذا يعلق عليها أبو الفدا فى القرن الرابع عشر [٨] .

وبعد ذلك بأربعة قرون كتب « نيبوهر » : « صحار هى أشهر مدن عمان القديمة .. لكنها الآن ليست مشهورة كثيرا » [٩] .

وأصبحت « صحار » اليوم ميناء صيد فقط مثل العديد من المجتمعات المشابهة بطول « الباطنة » .. تنتج وتبيع كمية كبيرة من التمر والليمون وتطوير نظم الرى الجديدة (آبار مزودة بمضخات) تتيح استغلال هذه الإمكانيات الزراعية لكنها تعرض خصوبة التربة للخطر بشكل كبير بالاستغلال الزائد للمياه .

أما الآثار المعمارية فتوضح أنشطة صحار المتنوعة عبر السنين فالبيوت الصحارية العتيقة بأطلال جدرانها التى بقيت قائمة فى « حجرة » بيوت لتجار كانوا يختزنون فى محلاتهم التمر والليمون والسردين . ومنتجات محلية — مع الأرز والسكر والمنسوجات والتوابل من إيران والهند .

وقبل أن نبدأ بالوصف فإن من الضرورى أن نوضح أنه حتى لو كانت البيوت تعكس الرفاهية النسبية لأصحابها فى الماضى .. إلا أنها تبدو متواضعة جداً حين تقارن بالمساكن الملكية الرائعة التى لاتزال ترى اليوم فى أية مدينة إسلامية كبرى [١٠] .

وهذه المساكن أقرب إلى القصور منها إلى البيوت . فهى تضم جناحا عاما وجناحا خاصا وركن الخدم وأحيانا حظيرة للماشية . إنها تمثل عالماً صغيراً لأسلوب حياة قاطنيها المتطور والمترف ... فهم رجال أعمال أو سياسيون وأحيانا رجال أعمال وسياسيون فى نفس الوقت .

ومع ذلك حان الوقت الآن لنوسع مدى ما نعرف عن المعمار الداخلى بدراســة البيوت المقامة فى المدن الأقل أهمية للمجموعات الاجتماعية الأقل ثراء •

وتعتبر بيوت الطبقة المتوسطة الصحارية فى القرن الماضى مثلاً طيباً لهــذا النوع من فن العمارة •

وصف منازل « صحار »

كل منازل الهجيرة لها نفس الاتجاه ••• فجميعها مفتوح تجــاه الشمال الشرقى •• أى تجاه البحر لتستغل أفضل استغلال ميزة نسيم البحر نهاراً •

وقد يبدو أن النسيم سبب كاف لتفسير لمــاذا لم يتم بناء أية برج للرياح فى صحار ؟ فى حين يوجــد واحــد فى المنطقة المحيطة بها مباشرة ؟ والسبب فى عــدم وجــود برج الريح هــذا هو أن المنازل فىالمدينــة كانت تستخدم كبيوت شتوية بينما ينتقل أصحابها فى آخر الشهور قيظا إلى منازلهم الباراستى • فى بساتين البلح •

والتصميم للمنازل التقليدية الصحارية يأخذ شكل المستطيل ويكون ذلك فى الغالب بإطار خارجى غير منتظم بسبب البيئة الحضرية المحيطة بها ، لكن هذه الأنماط غير المنتظمة يتم تصحيحها فى الداخل ••• فواجهة الفناء فى شكل أورتاجونال ، (عمودى) •

ويحتوى الفناء بهــذا الشكل على فضاء مكشــوف •• والفناء هو البنيــان الأساسى للمبنى •

ونسبة الفضاء المغطى الى الفضاء المكشوف ثابتة بشكل ملحوظ ••• وهى ٢/٠ للفناء و ٣/٠ للمبنى •

وتتراوح المساحة الكلية لمسطح المنازل التى ندرسها ما بين ٤٠٠ إلى ٥٠٠ متر مربع •

والأجزاء الرئيسية المختلفة للمبنى المقامة فى مواجهة سور الفناء ترتب حـــول الفناء (الحوش) بدون أية محاولة للتنسيق •

ويقع الجزء من المبنى الذى يضم المقر الخاص لإقامة الأسرة ، دائماً جهة الغرب فى مواجهة المدخل • (شكل ٤ و ٦) •

ويتم الدخول بواسطة باب مزدوج أو عن طريق مدخل له زاوية حادة ، وينفتح المجلس على هذا البهو (شكل ٤ و ٦) وعلى عكس ما يؤكده « بولجريف » فيما يقوله عن زيارته لصحار [١٢] • من أن حجرة الاستقبال هذه لم تكن بأى شكل تقع فى وسط المنزل بل فى المدخل حتى لا يعطل وصول الغرباء الحياة الخاصة لأهل الدار •

يحتوى الجزء الرئيسى من المبنى على حجرات ••• حجرتين أو ثلاثا تسمى أحيانا حجرات وأحيانا صفة (الشكل ٢ و ٤ و ٦) وهــذه الحجرات مستقلة الواحدة عن الأخرى (خلايا ذاتية) [١٣] • فى المنزل رقم (١٠) وهــو أكثر بيوت المدينة تطوراً ••• وتحتوى الحجرتان الجانبيتان مــن هذا الجزء من المبنى على حمامات صغيرة وهاتان الحجرتان تؤديان إلى الرواق (اللوان) (الشكل — ١٢) وهذه هى المنطقة التى تقضى فيها النســاء حياتهن الأسرية والاجتماعية •• فيتناولن وجباتهن هنــاك ويسترحن أثناء النهار ••• وتقوم النســوة بتسلية أعضاء الأسرة والجيران المقربين هنا — بأعمال الحياكة وأشغال الإبرة أثناء أحاديثهن • وأحيانا يتم إغلاق طرفى (اللــوان) من ثلاثة جوانب •• تكون على شكل منصة

مبنية من الحجر تلقى فوقها السجاجيد . وتوضع الوسائد على الأسوار الثلاثة التى تزخرف بأشياء للزينة . وهذه المنصة تعرف باسم « دكة » الذى يعنى أنها مكان يرتفع قليلا عن مستوى الأرض (الشكل ٦) .

ويغلق المطبخ من ثلاثة جوانب ... ويطل على فناء . (الشكل — ١٥) ويوضع فى الفتحات غير النافذة الموجودة فى الحائط القدور والحاجات ومختلف الأوانى المختلفة ، وحتى وقت قريب .. بل وحتى اليوم يوجـد لـدى سكان البيوت موقد متحرك .

وفى أغلب الأحيان يكون الحمام فى زاوية من الفناء ... يربطه بالخارج ماسورة صرف . (شكل ٦ و ٨) ولكل بيت بئر للمياه العذبة الخاص به .. ومعظم العائلات الغنية يكون لديها بئران . كما هـو الحال فى المنزل فى شكل رقم «١٠» .

أما إمدادات الخشب والحيوانات الصغيرة فتوضع فى حقول صغيرة محصنة بحواجز من الأعمدة المدببة يمكن تحريكها . وتطلق كلمة حوش أيضا على هذه الحقول الصغيرة .

ويجذب المنزل رقم «١٠» الانتباه إليه أيضا بارتفاعه . إنه البيت الوحيد . بين بيوت قليلة لازال من الممكن دراستها . الـذى به طابق أعلى .. أو بدقة أكثر أقيمت فوق الشرفات حجرتان جيدتا التهويـة . (الشكل — ١١) .

وهذا دليل على طبيعة المنزل الفخمة فهاتان الحجرتان هما مأوى أثناء الليل حين يصبح الطقس حاراً .

ويجرى حفظ المؤن المنزلية مثل الزبد والسـكر والأرز والقهوة فى حجرة أخرى مغلقة حتى لا تمس الحيوانات هذه الأطعمة . ويسمى

هـذا المخزن فى صحار باسم « سمان » «Samman» فى حين أن كلمة مخزن فى مدينة التجار تطلق على الحجرة التى يمكن إغلاقها على البضائع التى سيتم بيعها (الشـكل ـ ٦) •

وتجـدر الإشارة أيضـا إلى مكان آخر يرتبط بالنشـاط الاقتصادى للأسرة ••• إنـه غرفـة تجفيف الليمـون « غرفـة الليمـون » (الشـكل ـ ٦) •

وأخيراً فى المنزل رقم «١٠» توجد منطقة مفتوحة محجوزة لدبغ الجلود •• حيث توجـد جرار كبيرة من الفخار مثبته فى الأرض تستخدم كحفرات يتم نقع الجلود فيها بالسوائل •

مـادة البنـاء :

معظم المبانى القديمة فى صحار كانت مبنية من الطوب الأحمر ومن الواضح أن الطوب المستخدم فى بنائها قد أعيد استخدامه (الشكل ـ ١٠) بعد أخذه من المبانى الأكثر قدماً •لـذا نجدها غير مكتملة وبالية •

والحوائط مبطنة من الداخل بطبقة من الأسمنت أو بطبقة رقيقة من الجير ويكون السقف مسطحا •• مصنوعاً من النخيل المغطى بشبكة من نفس أغصان النخيل •

هذا الفن المعمارى له أسلوبه الجاد جـداً •• والديكور ـ إن وجد ـ يكون متسما بالوقار وفى حالات قليلة تحـاط فتحات الحائط والنوافذ بشرائط للزينة • ويتباين الإطار الخارجى لكل من النوافذ

والأبواب إلى حـد كبير .. فيكون الجزء العلوى مستقيما أحيانا لأن القمة تكون مصنوعة من غصن شجرة (شكل — ١٨) وأغلب الأحيان يتم تقويس النوافذ بعدة أشكال .. (الشكل — ١٢) من الأعمدة المقوسة أو أقواس حادة أو أقواس لها أربعة محاور .

وعنصر الديكور الوحيد هو الأبواب . ويكون الجزء العلوى من الباب أحيانا هو المنقوش فقط ... وأحيانا أخرى يكون الباب كله منقوشاً ، والتنوع الكبير فى عناصر الديكور وتكويناته هى أيضاً من نتائج المؤثرات المختلفة . (الشكل ١٦ الى ٢٢) .

أسرة الحجمى AL HAGAMI

المنازل رقم ٣ و ٤ و ١٠ و ١٠ مكرر تمتلكها جميعاً أسرة واحدة [١٤]. وحقيقة إن هذه الأسرة تنتمى إلى جماعة الشيعة الصغيرة التى استقرت فى الجزء العتيق من الحجيرة ؟ al Hagira يقود الإنسان إلى أن يفترض مسبقا أنهم من أصل إيرانى بعيد .

وقد مارست أسرة التجار هذه حرفة التجارة مع إيران والهند وكانت تستورد البضائع من هاتين الدولتين لتقوم بتسويقها بعد ذلك فى بوريمى ومسقط . وكانت تضمن أيضاً بيع المنتجات المحلية مثل الجلود المدبوغة والتمر والليمون .

وكان الليمون يجفف ويصدر لإيران [١٥] . وكان التمر يجفف أيضا ...

وكانت الأنواع الممتازة من التمر تجفف فى صوان الفاكهة المصنوعة من خشب الصفصاف .. ثم يتم جمع عسل التمر فى جرار فخارية . أما

الأنواع الأقل جـودة فكانت تسلق وتصدر بعد التعبئة إلى الهنـد كعلف للماشية .

أمـا « على الحجمى » الرئيس الحالى للأسرة فهـو تقريبا فى الخامسة والستين من عمره ويمتلك المنزل رقم «١٠» ورقم «١٠ مكرر » وقد آل المنزل رقم ٣ إلى ابنه عبد الله ... فى حين آل المنزل رقم «٤» إلى الابن الآخر أحمـد .

وفى هذه الأيام يقيمون « جميعا فى بيوت من » « الباراستى » . فى بساتين التمر الصغير ... على بعد حوالى كيلو ونصف شمال غرب الحجيرة «Hagira» وبينما نجـد أن المنزلين رقمى ٣ و ٤ مهجوران تماما ، نرى أن المنزل رقم « ١٠ مكرر » والأفنية ماتزال خلف أبوابه . ويستخدمه الابن الأكبر « على الحجمى » كمخزن يحفظ فيه أجولـة السمك المجفف المقرر استخدامه لاستهلاك المـاشية . وجدير بالذكر أن الورثة لا يذكرون سوى حقـائق غامضة جداً عن تاريخ هذه المنازل والظروف التى أنشئت فيها .

ومع ذلك يبدو أن تاريخ إنشاء المنزل يرجع إلى النصف الأول من القرن التاسع عشر . وعلى أية حال هناك معلومات أكثر تحديداً حـول إقامة على الحجمى فى المنزل رقم « ١٠ — ١٠ مكرر » .

والمنزل رقم «١٠» هو أقدمها . وهو مستخدم كمحل إقامة ومخزن لتجارة المالك (إلى جانب أغراض أخرى يستغل فيها كمكان لتجفيف التمر والليمون) . وحينما أصبح المنزل مزدحماً جداً .. تم توسيعه بمنزل آخر (المنزل رقم ٢٠) بعد تزايد أفراد الأسرة إلى ٢٠ شخصا أو أكثر .

وهكذا أمكن لصاحب المنزل أن يوفر الإقامة لزوجاته بارتياح ..

وأعطى لكل منهن جناحاً مشابهاً للأخريات تماماً ، ويتكون كل جناح منها من حجرة بحمامها الصغير الخاص وحجرة استقبال (صالون) يقع فى الإيـــوان .

وأقيمت محلات جديدة على طول سور فناء البيت الجديد كما أقيمت فى الفنـــاء أماكن الدباغة . ويتواجد المنزلان معاً فى اتســـاق ويوجد باب يساعد على الانتقال بينهما .

ملاحظـــات

(١) لويرمر ، ١٩٧٠ : ١٨٣٨ — ١٨٤٠ .

(٢) بولجريف ، ١٨٦٨ : ٣٠٧ .

(٣) كازهيرسكى ، ١٩٦٠ الحجيرة : غرفة صغيرة .. حجرة .

(٤) بارادى البكويرك ، ١٩٧٣ : ١٢٣ .

(٥) ادريس ، ١٩٣٥ الجزء الأول ١٥٢ .

(٦) اوبن ، ١٩٥٩ : ٢٥٩ .

(٧) اوبن ، ١٩٧٣ : ١٤٦ .

(٨) أبو الفدا ، ١٨٤٦ الجزء الثانى ١٣٦ .

(٩) نيبوهر ، ١٧٧٦ — ١٧٨٠ الجزء لأول ٢٥٦ .

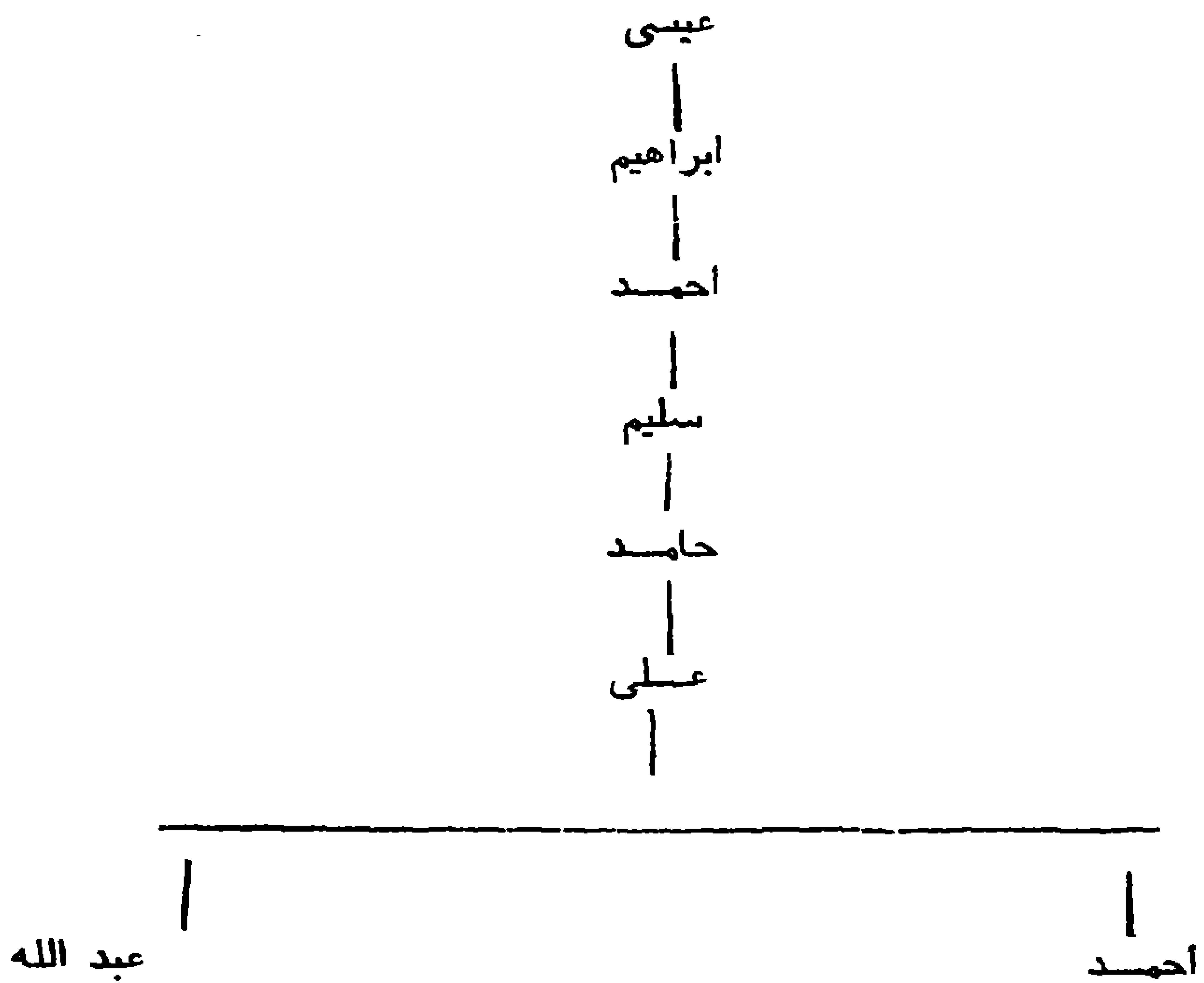
(١٠) انظر مثلا : ريفولت ، الملك ، لوكوك وغريث ، هاردى ، يلبرت ولالاند .

(١١) هاردى حويلبرت ولالاند ، (٣٨) .

(١٢) بولجريف ، ١٨٦٨ : ٣٦٢ .

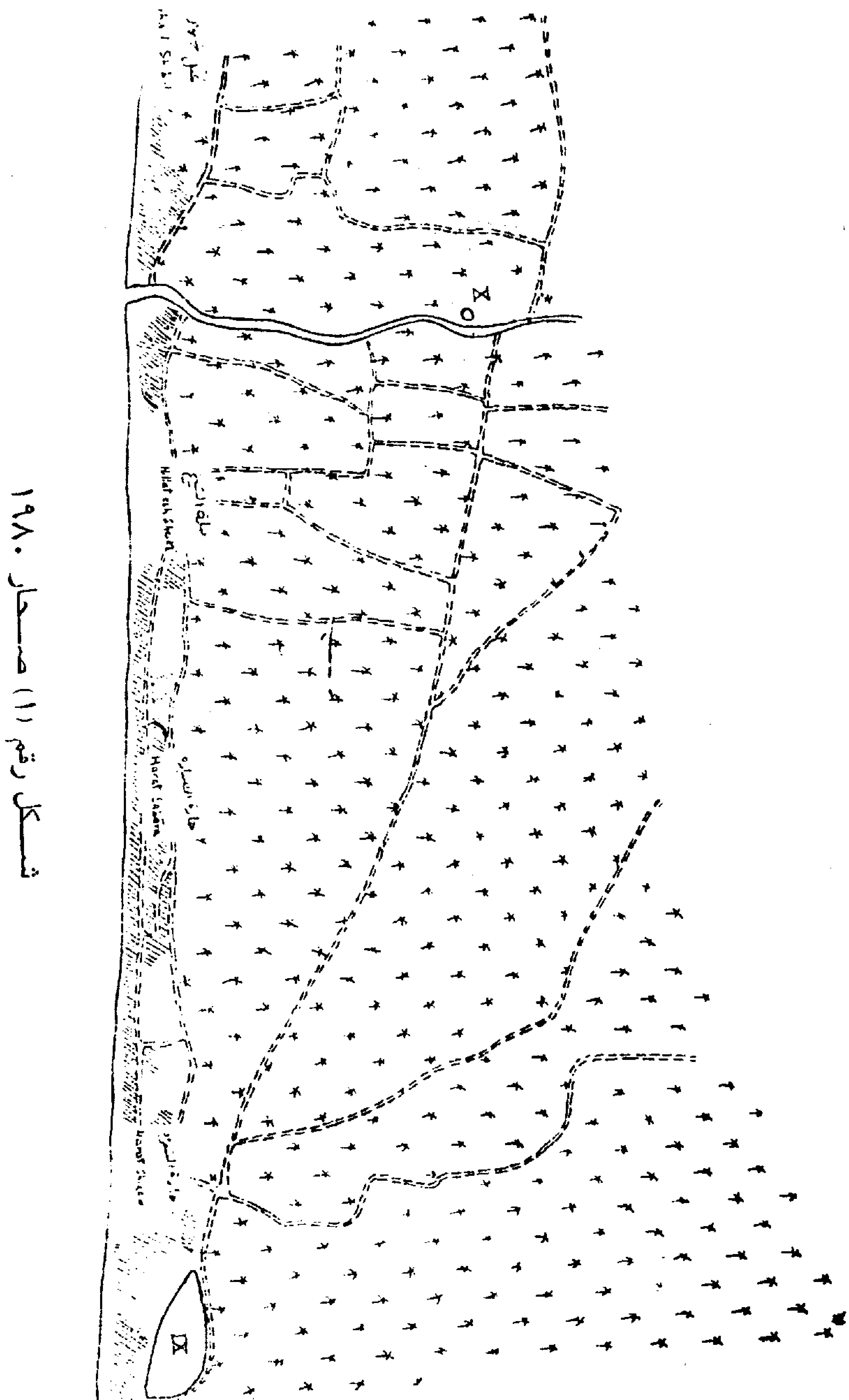
(١٣) مونتينى ، ١٩ : ١١٧ .

(١٤) شجرة عائلة الحجمى :

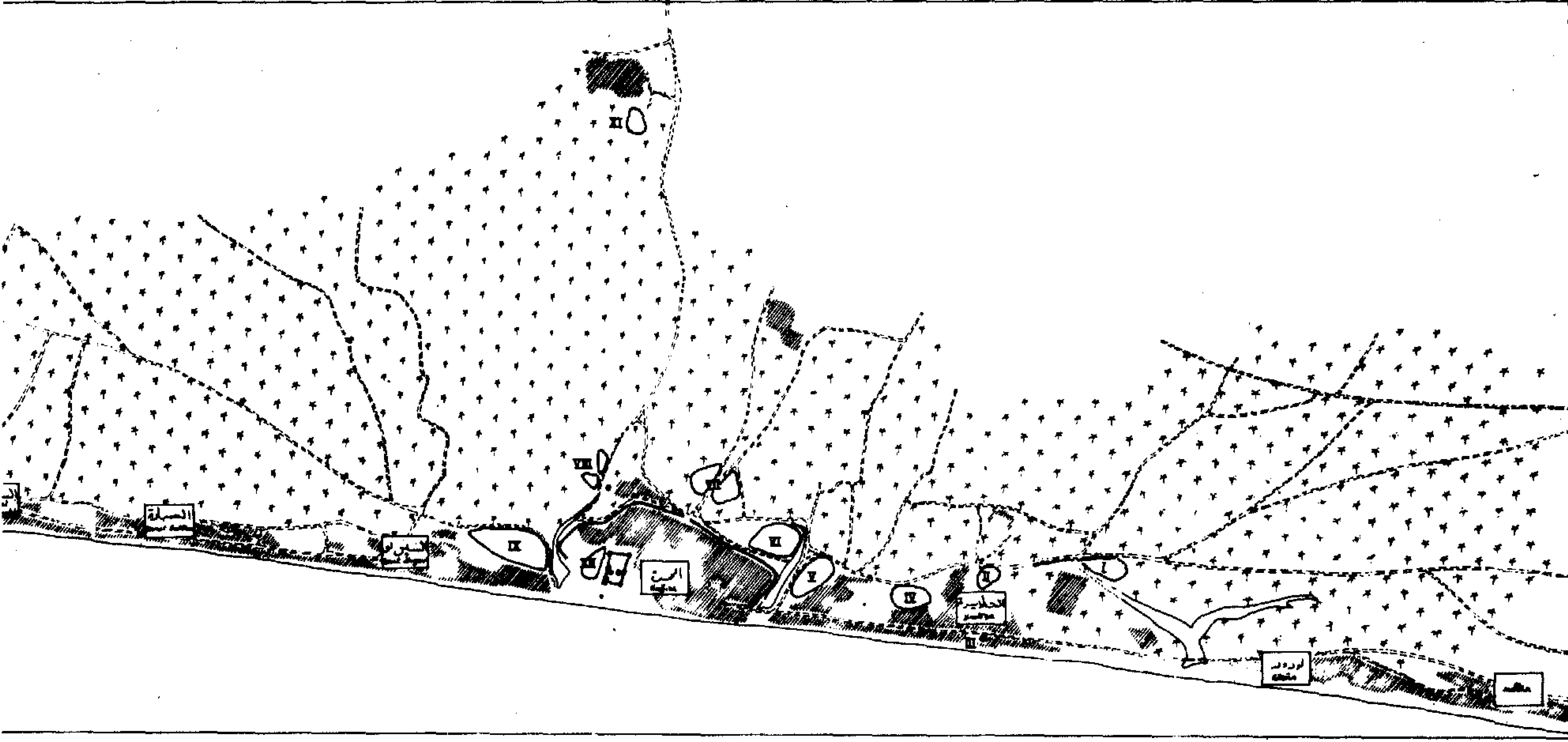


(١٥) يستخدم الليمون المجنف فى صنع العديد من الأطباق الفارسية .

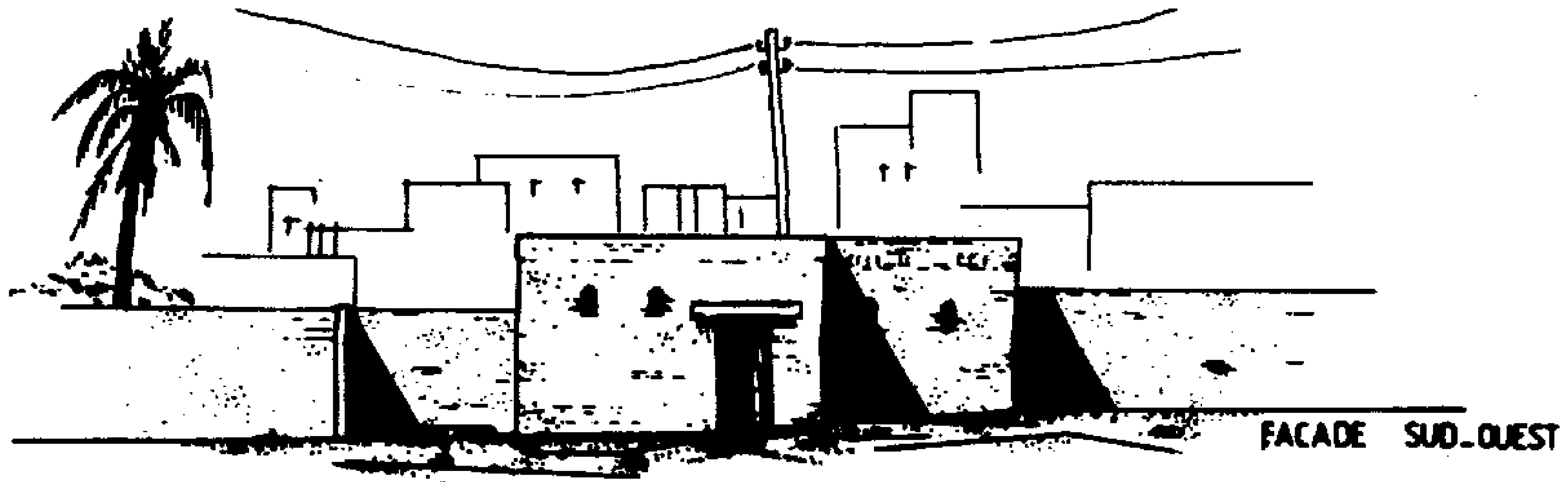
(١٦) ذكر لوريمر أن صناعة الجلود هى احدى الحرف فى صحار .



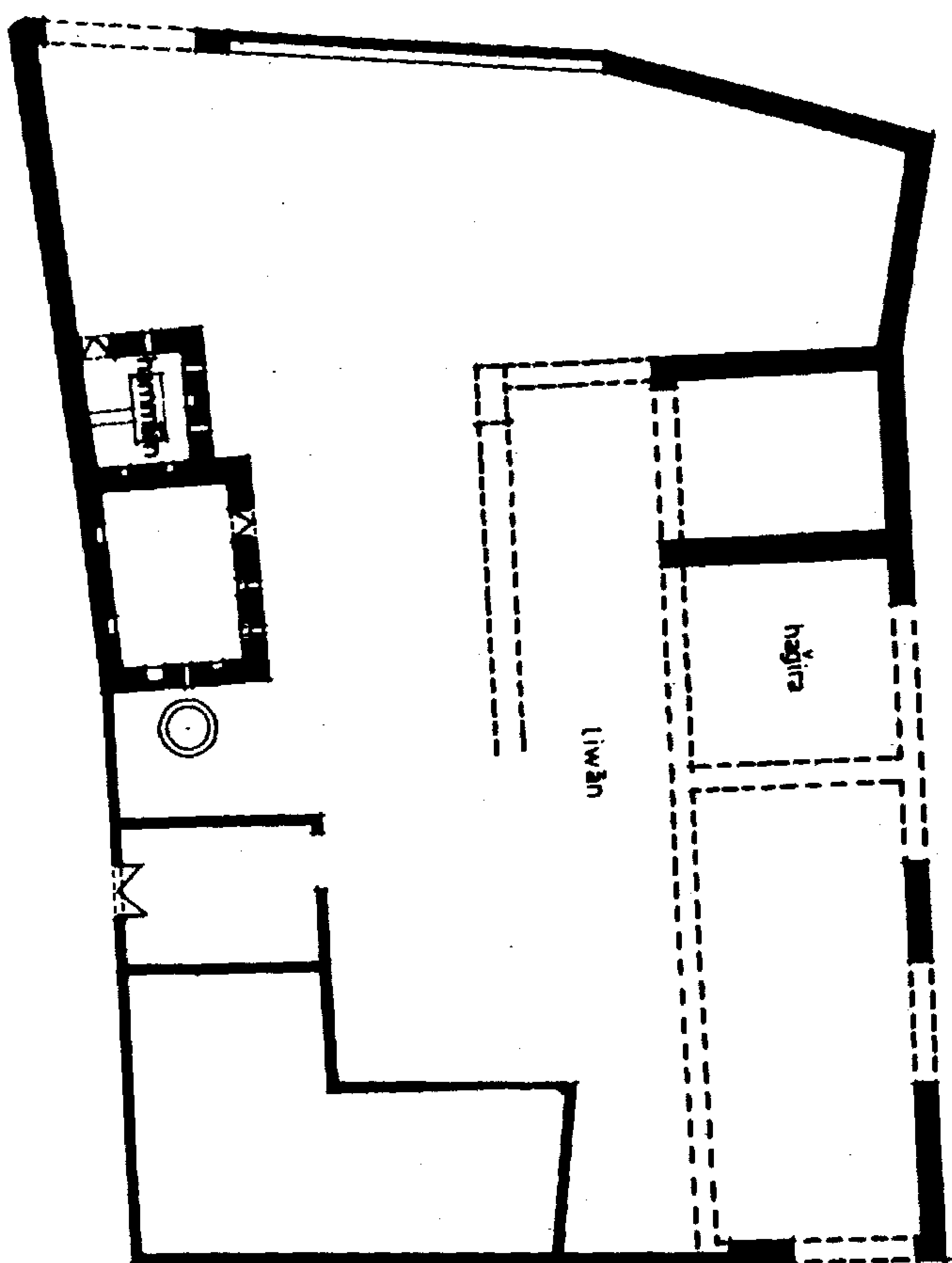
شكل رقم (١) صحار ١٩٨٠



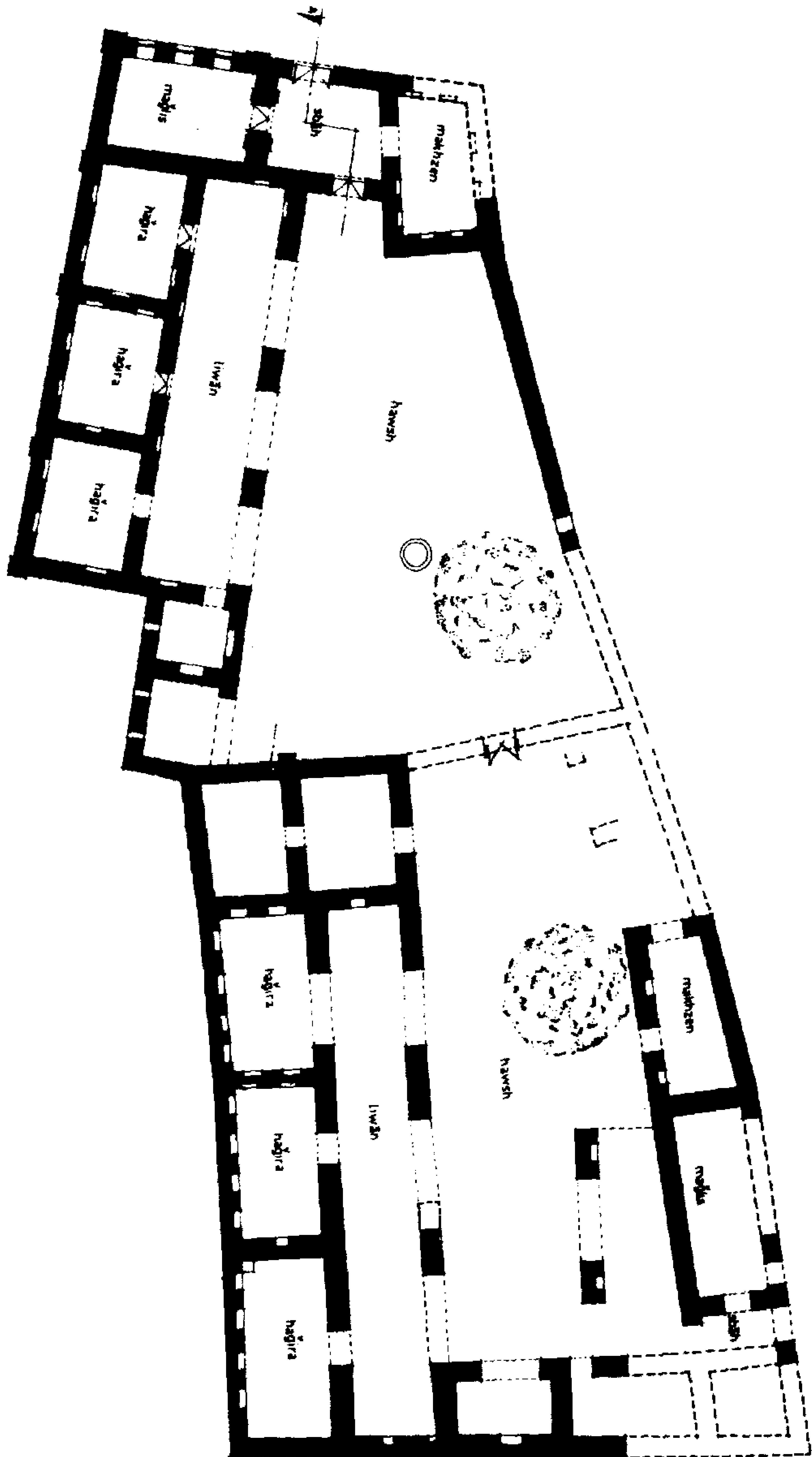
شكل رقم (٢) صحار ١٩٨٠
وهو تكملة لشكل رقم (١)



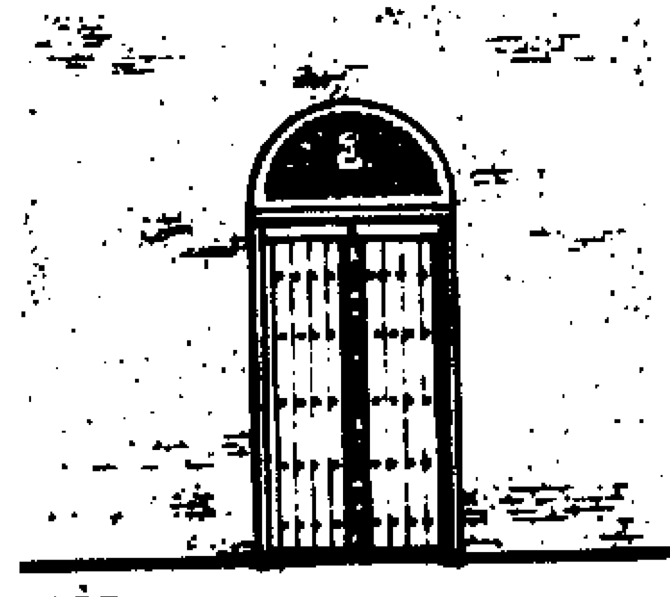
شـــكل رقم (٣) نموذج لمنزل فى صـــحار

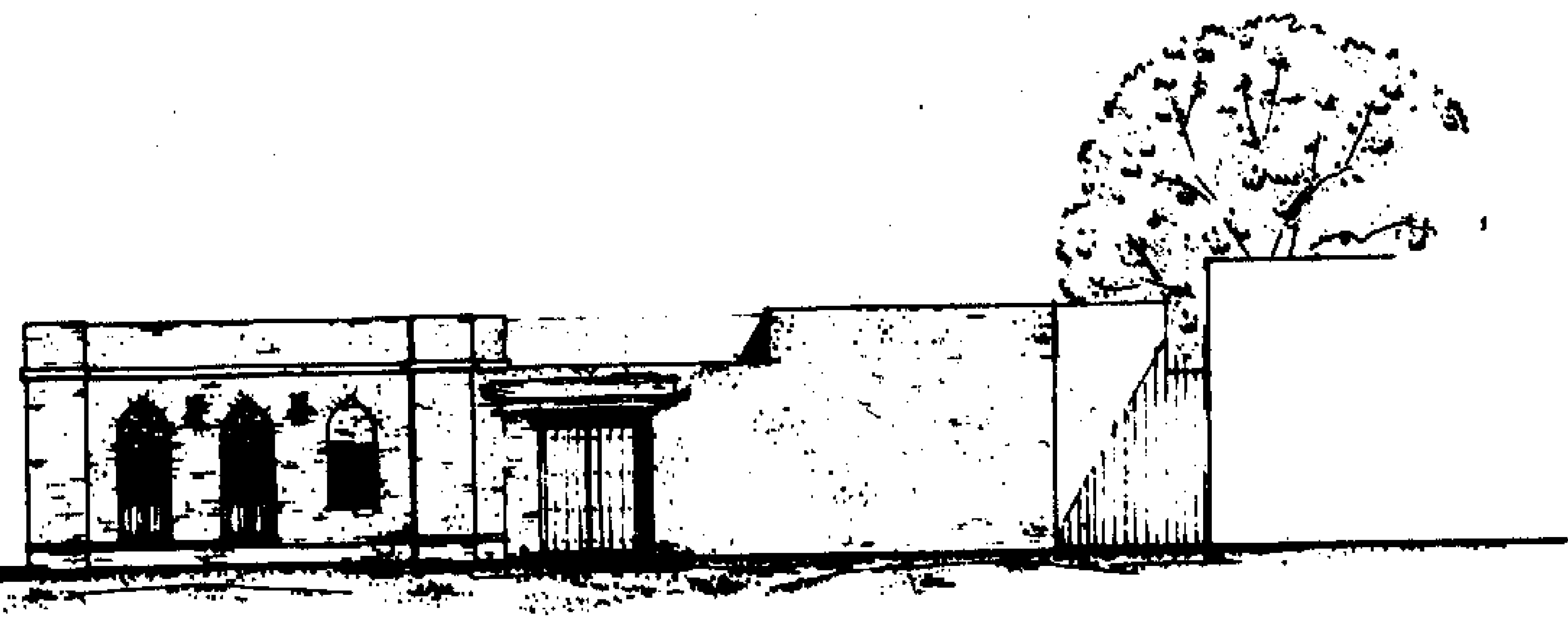


شكل رقم (٤) رسم تخطيطي لمنزل حديث في صحار



شكل رقم (٥) رسم تخطيطي لمنزل حديث في صحار
وبه التقسيمات المختلفة للحجرة والمجلس والإيوان والمجبرة والحوش

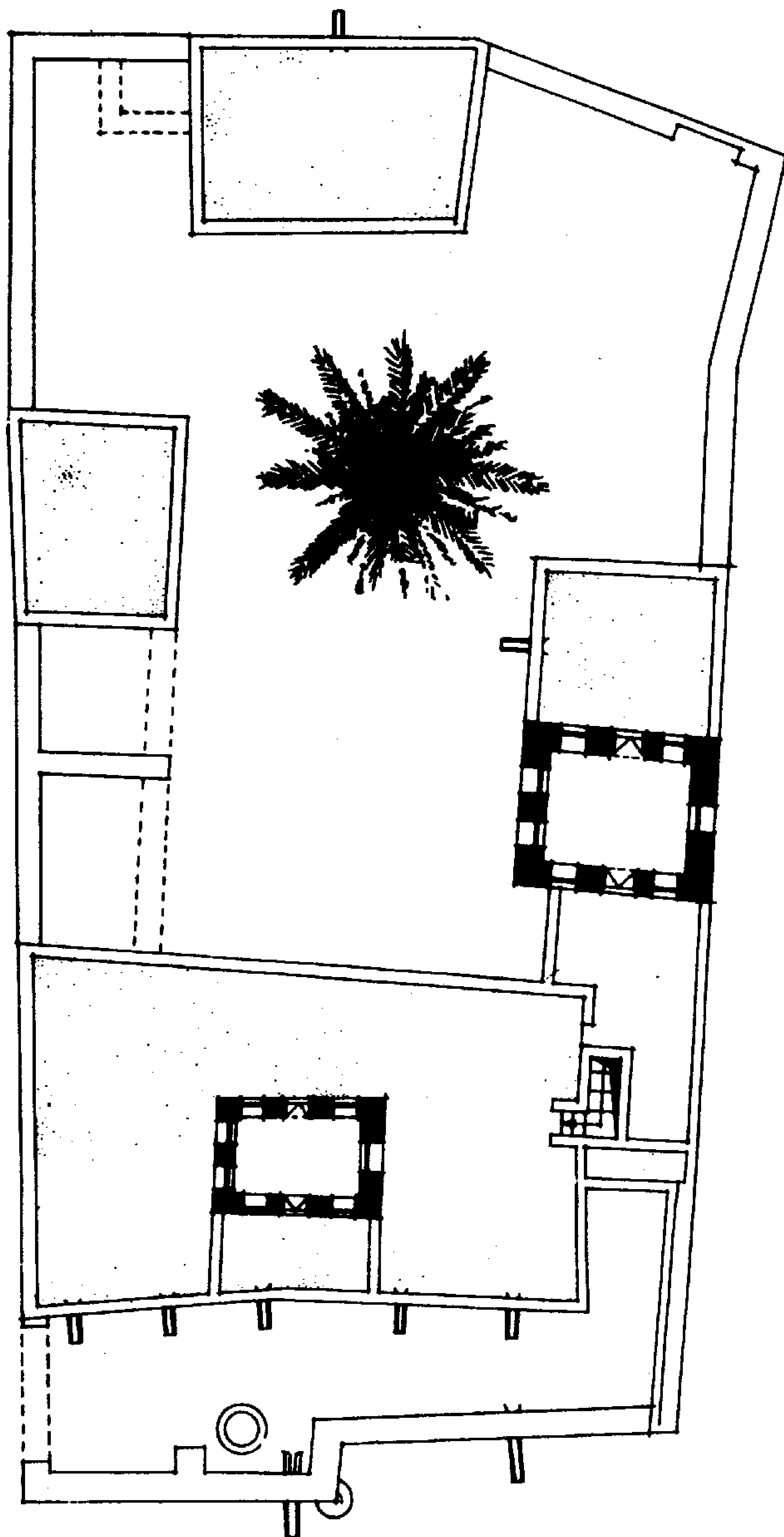




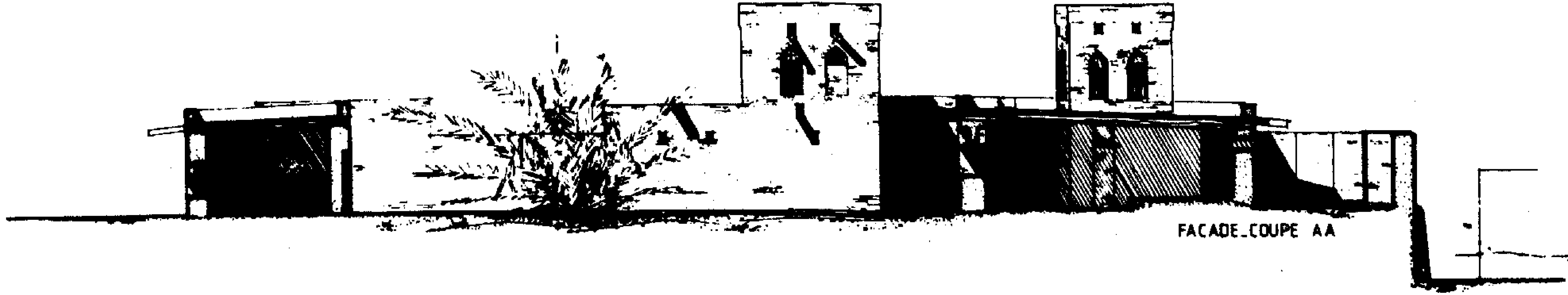
شـــكل رقم (٦) نموذج لواجهة أمامية لمنزل فى صحار



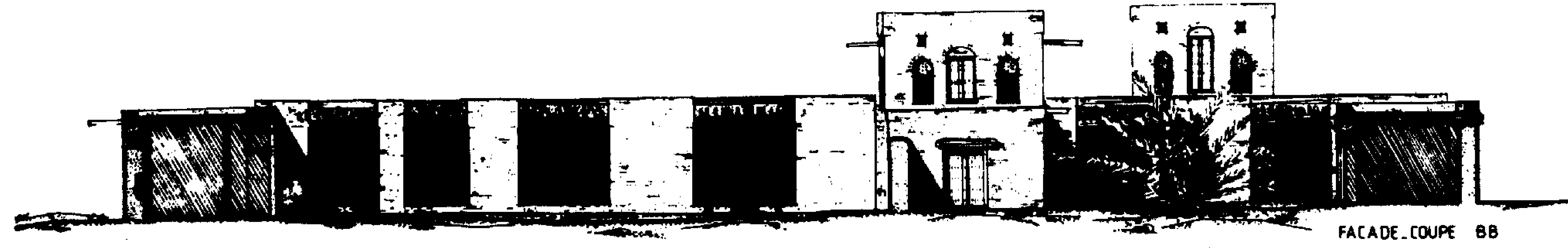
شكل رقم (٧) نماذج جميلة لبعض واجهات المنازل الصحراوية
وترى دقة النقوش والحفر على الأبواب والشبابيك وفن الزخرفة



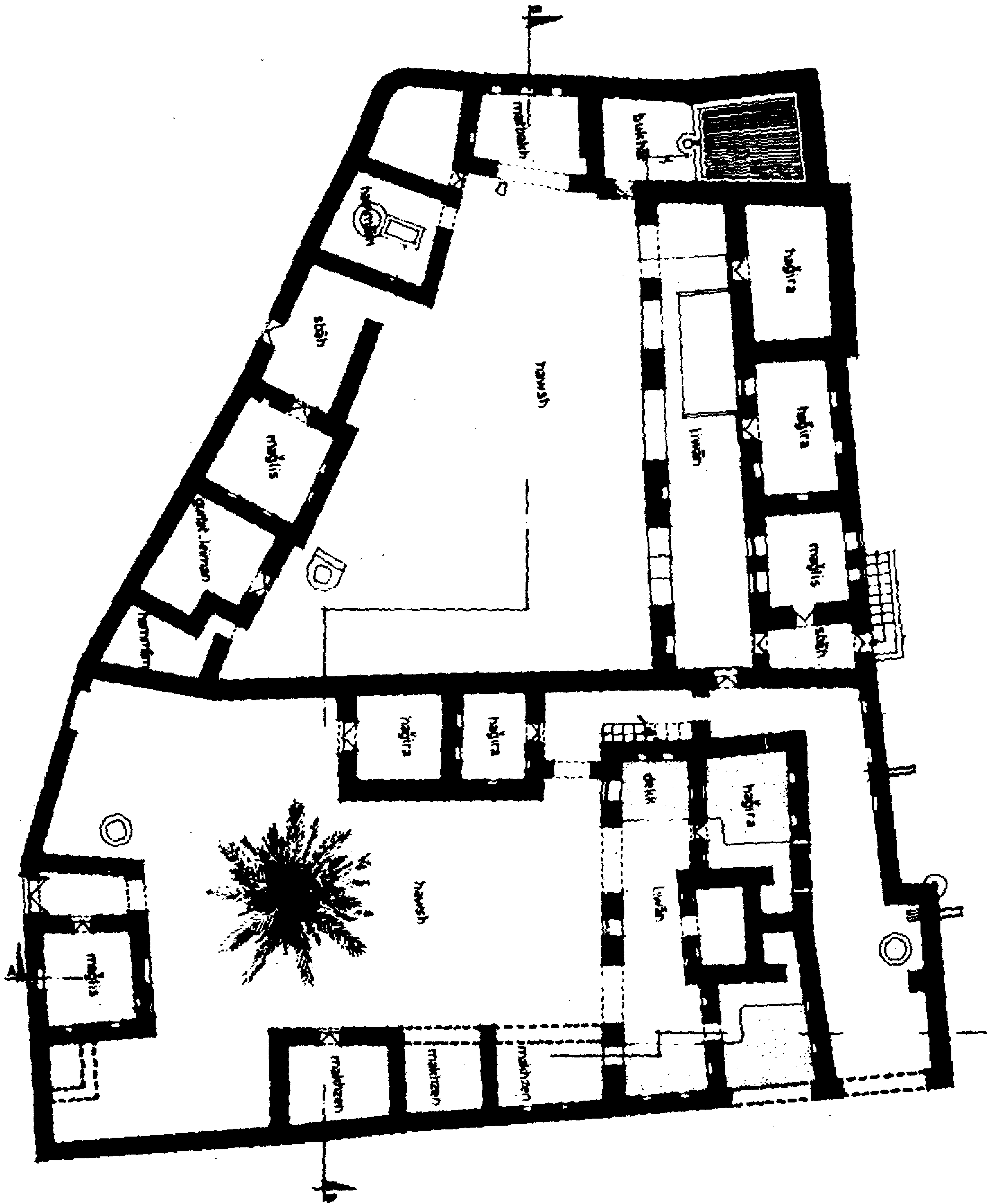
شكل رقم (٨) رسم هندسي تخطيطي جميل لبعض المنازل الصحراوية



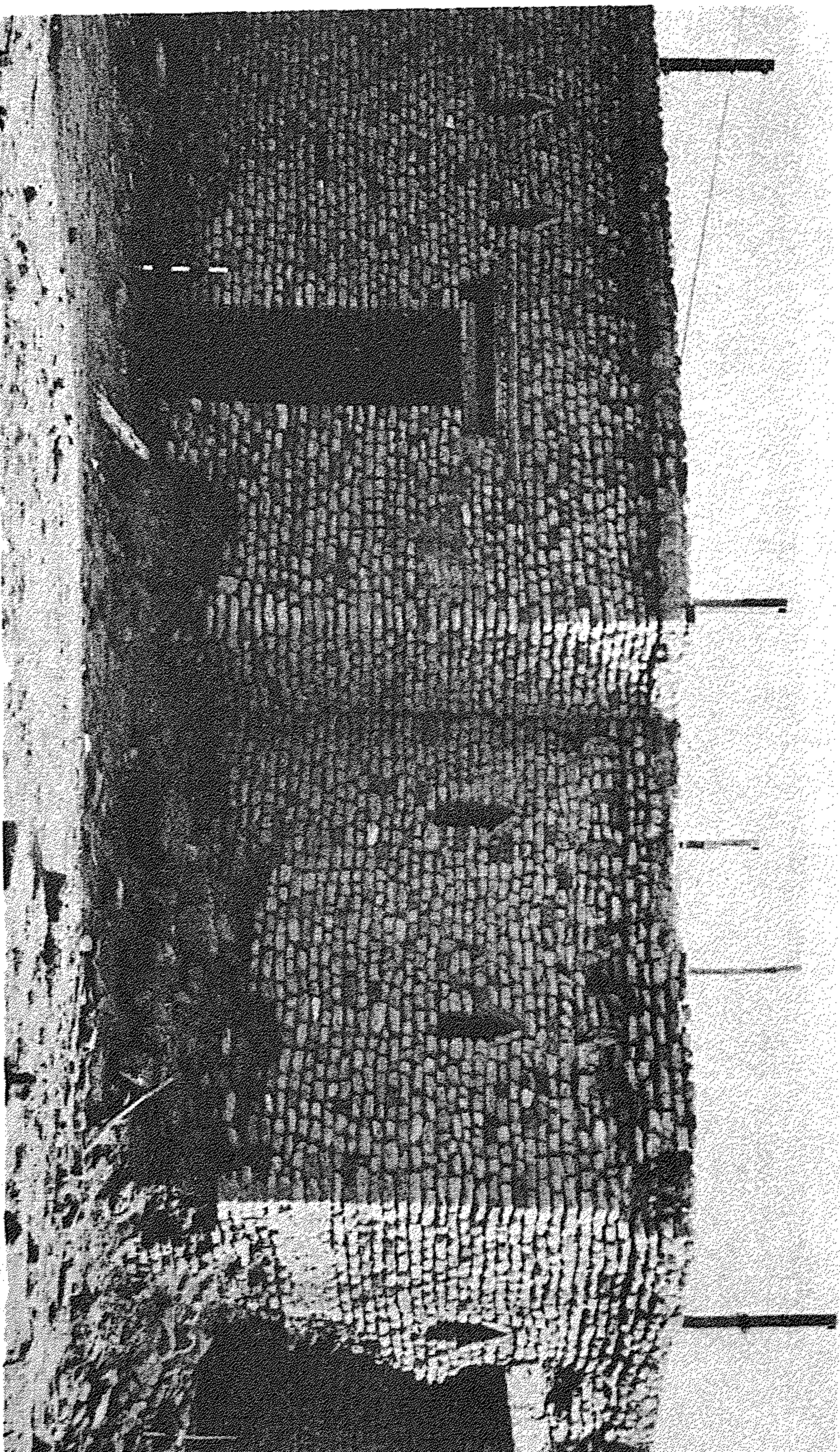
شـــكل رقم (٩) واجهة جميلة لأحد المنازل الصحارية
وترى التناسق والفن فى الحفر حيث يتمثل فى الأبواب والشبابيك والتصميم البديع



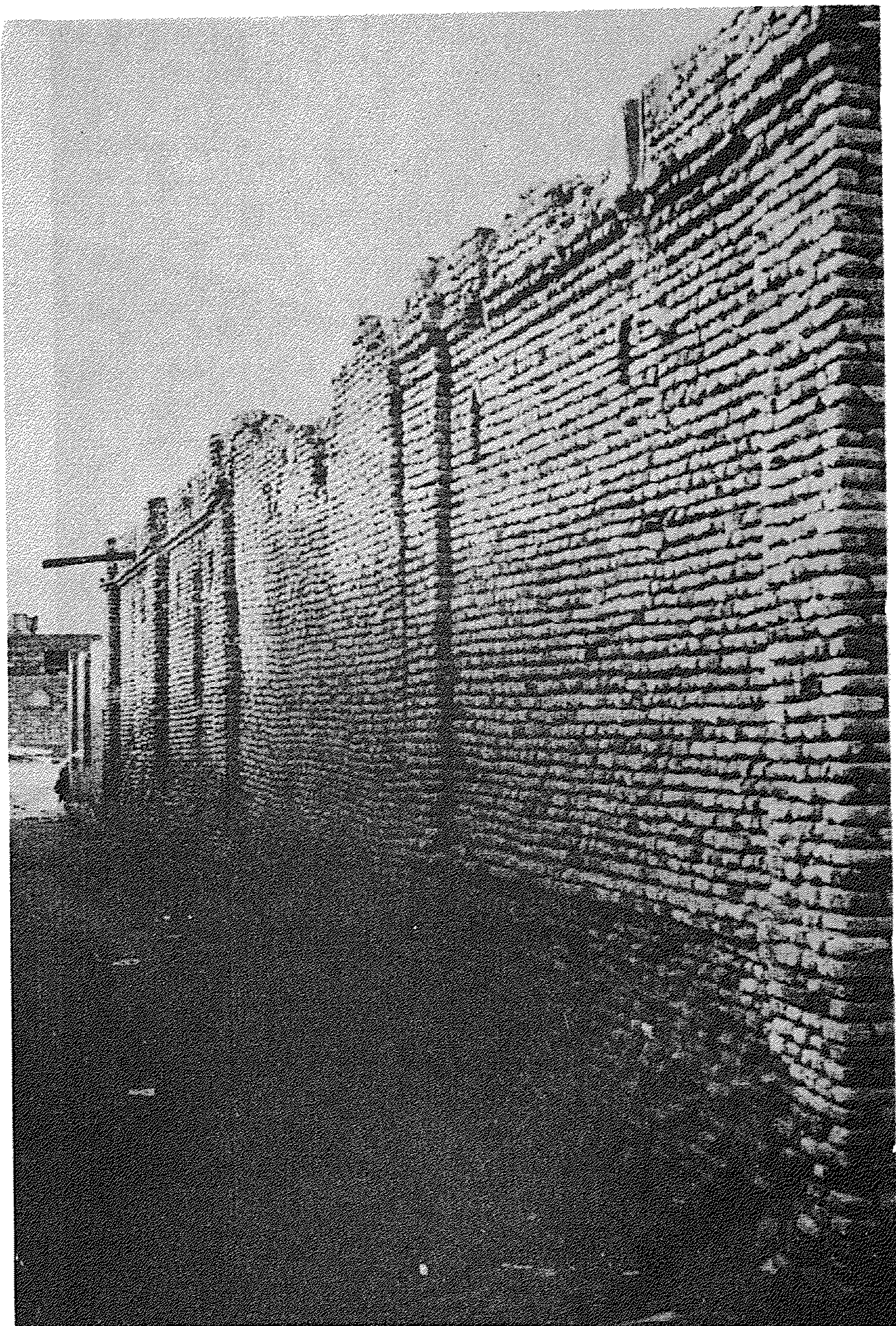
شـــكل رقم (١٠) أحــد المنازل الصحارية الحديثة
وتبين الواجهة روعة الفن والتصميم الهندسى البديع للمنازل الصحارية



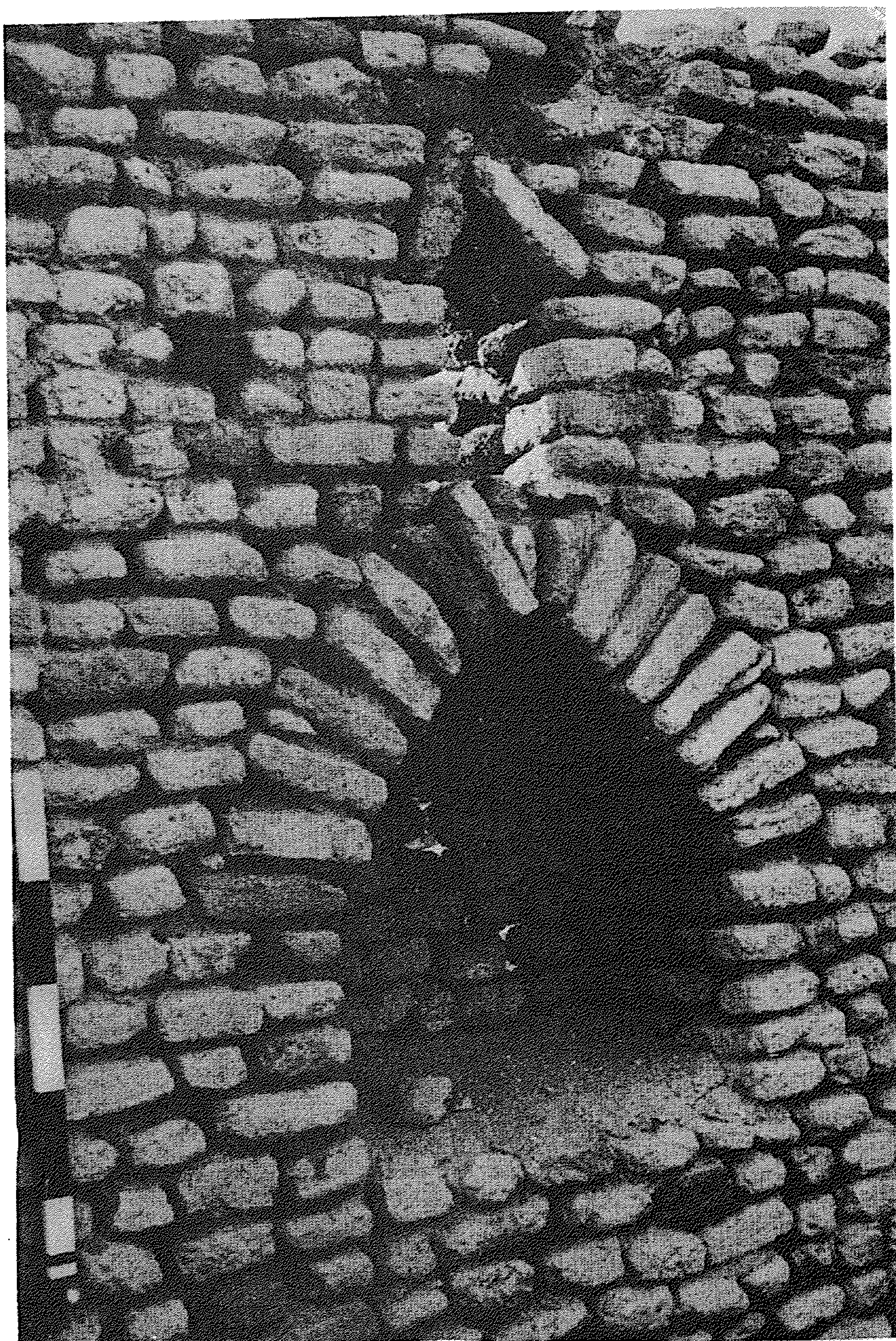
شكل رقم (١١) تصميم هندسى بديع لاحد المنازل الكبيرة فى صحار وفيه نرى تقسيمات الغرفة والحوش والايوان والمجلس والهجيرة



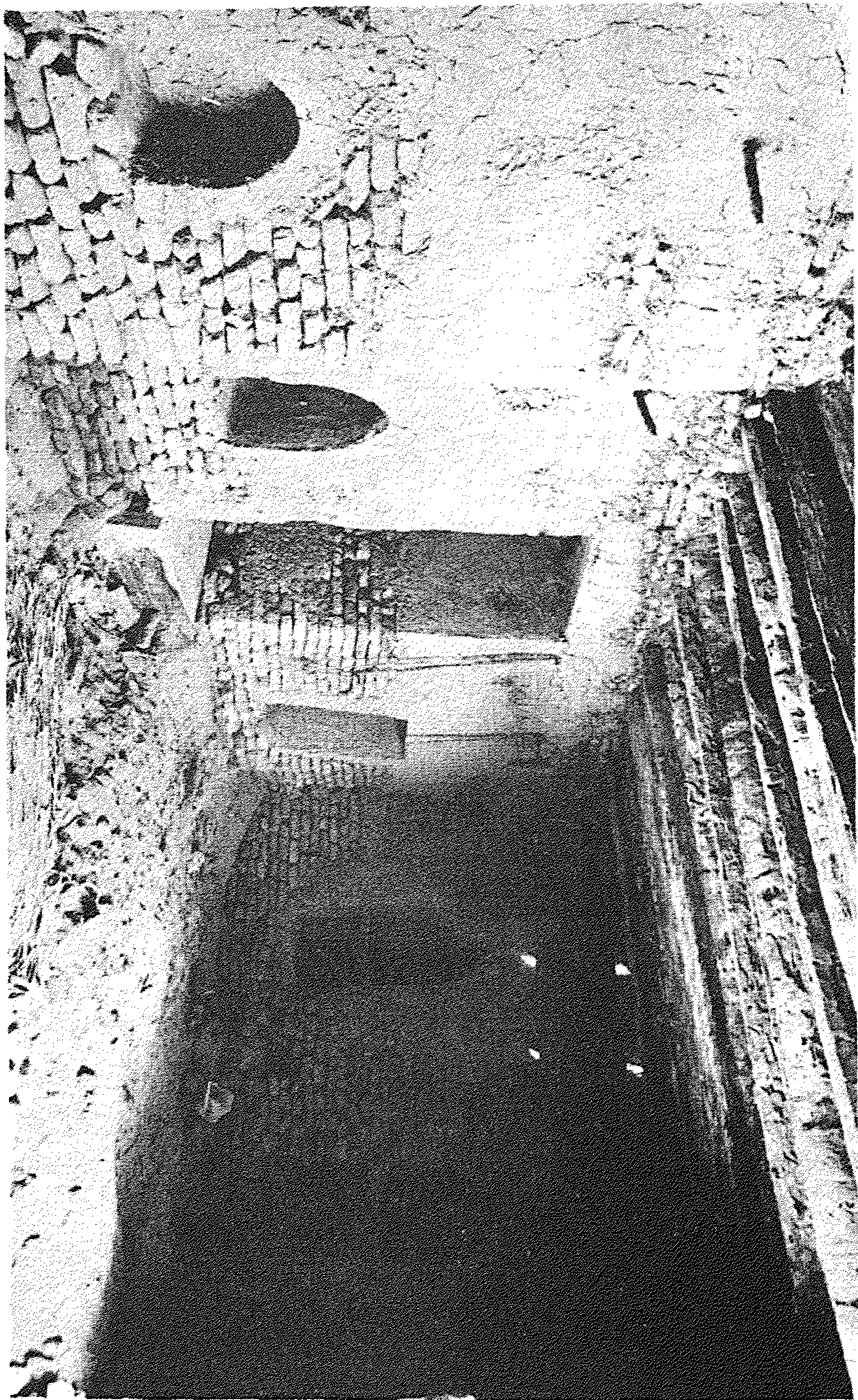
شكل رقم (١٢) أحد المنازل الصحارية



شـــكل رقم (١٣) سور خارجى لمنزل فى صحار



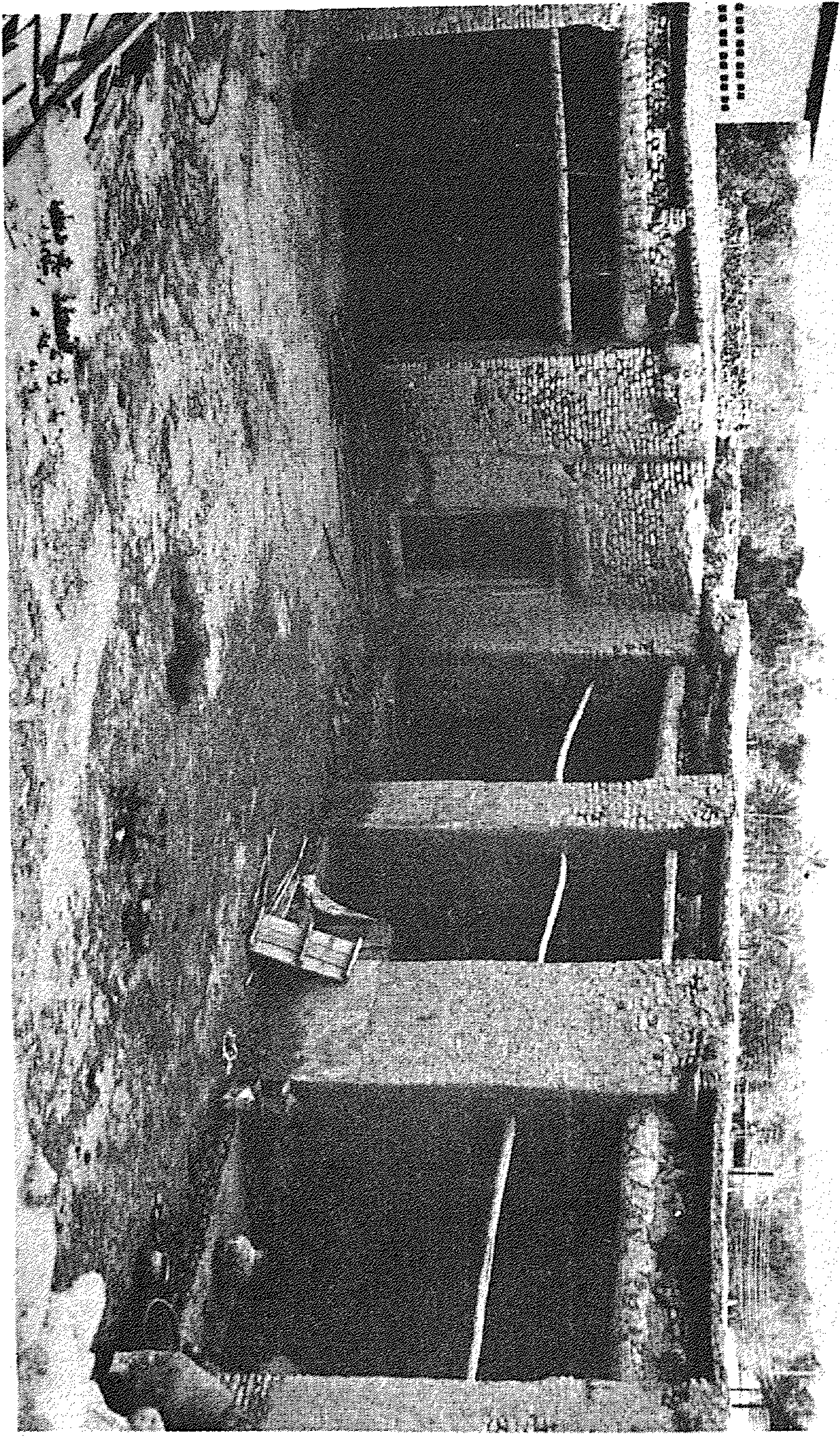
شـــكل رقم (١٤) أحد الواجهات فى منزل صحارى



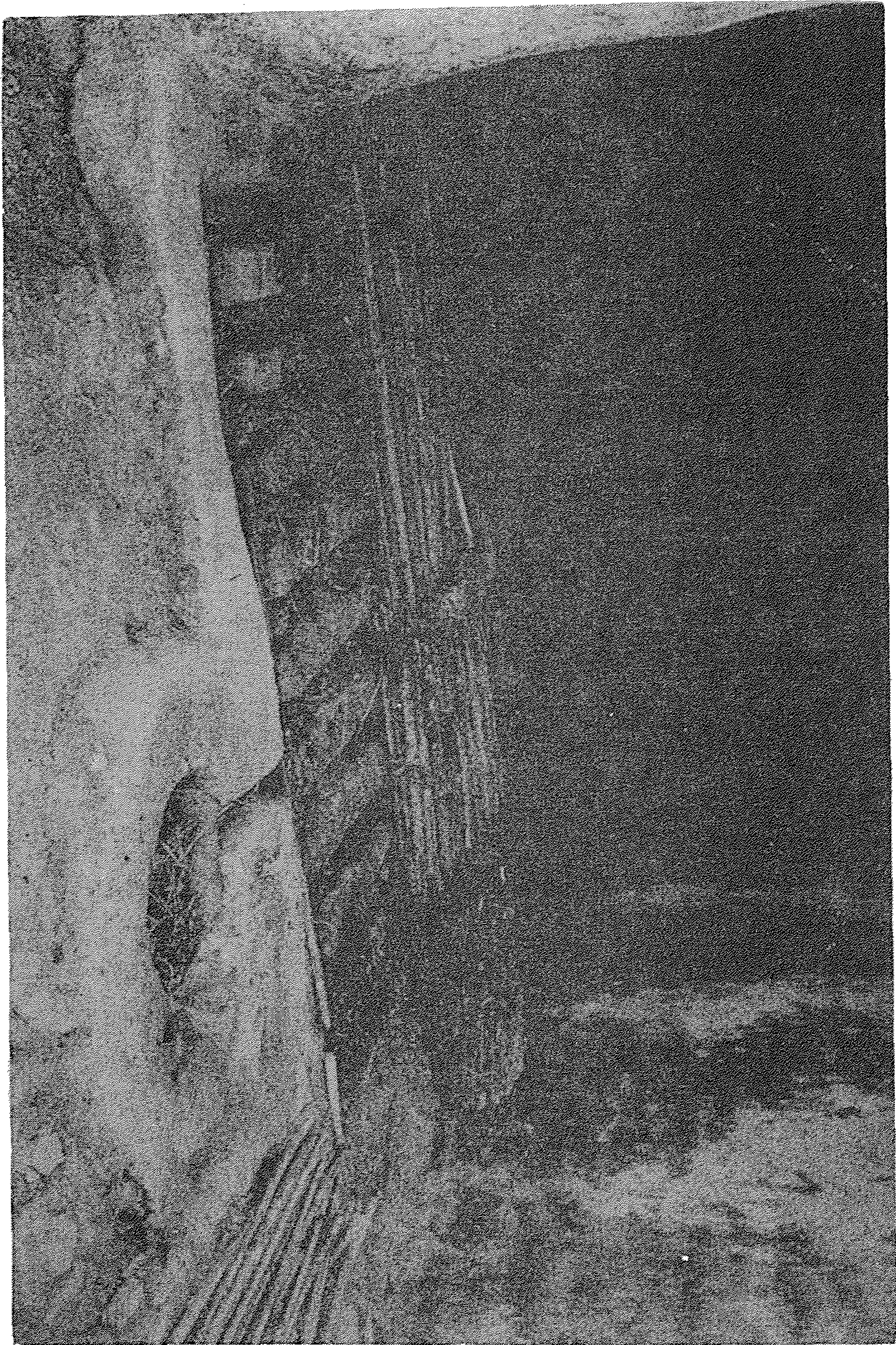
شـكل رقم (١٥) منظر خارجى لمنزل قديم فى صحار



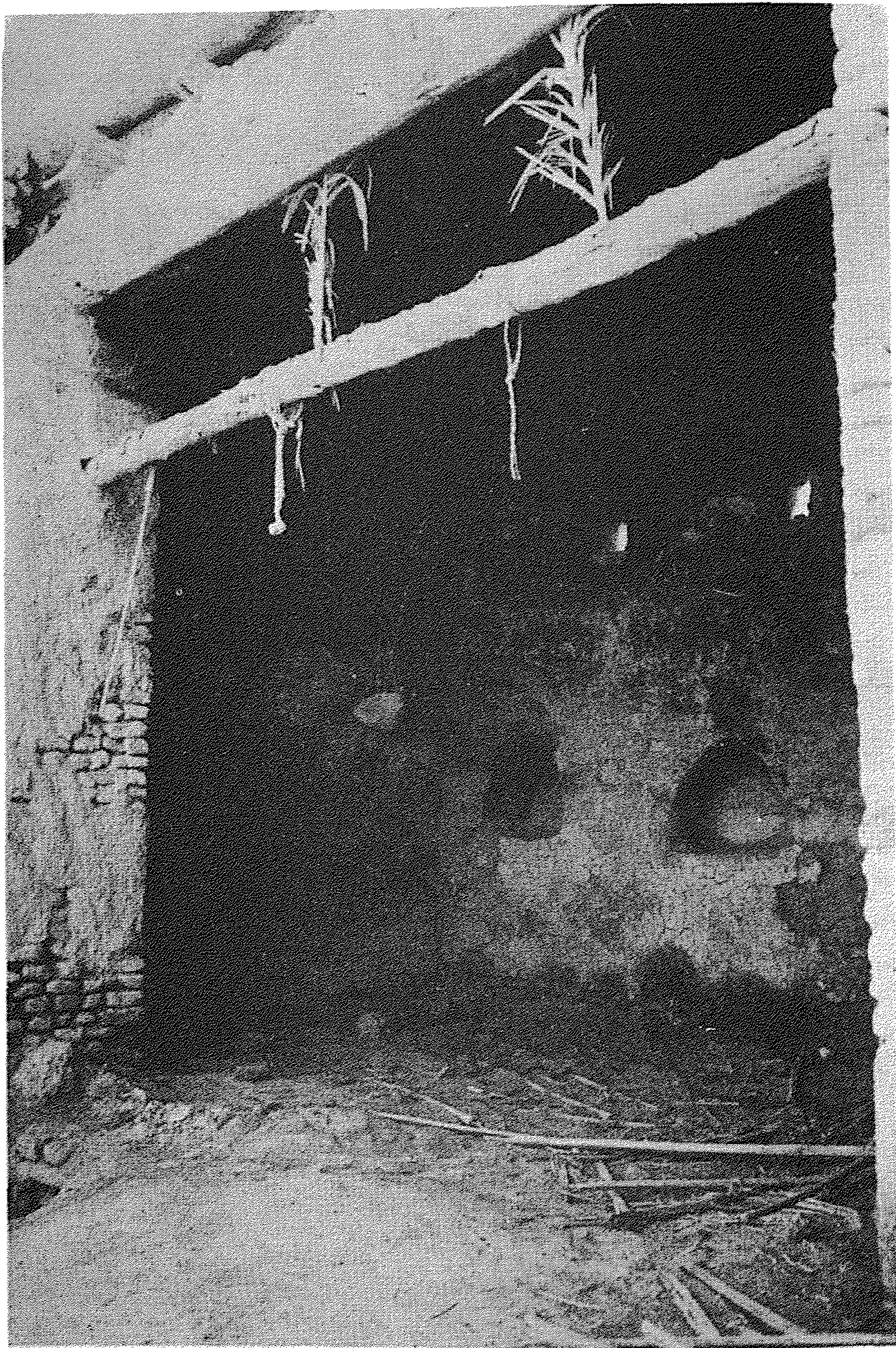
شـــكل رقم (١٦) منزل صحارى قديم من الداخل



شكل رقم (١٧) حوش متسع في منزل قديم في صحار وهو مكشوف وبدون سقف



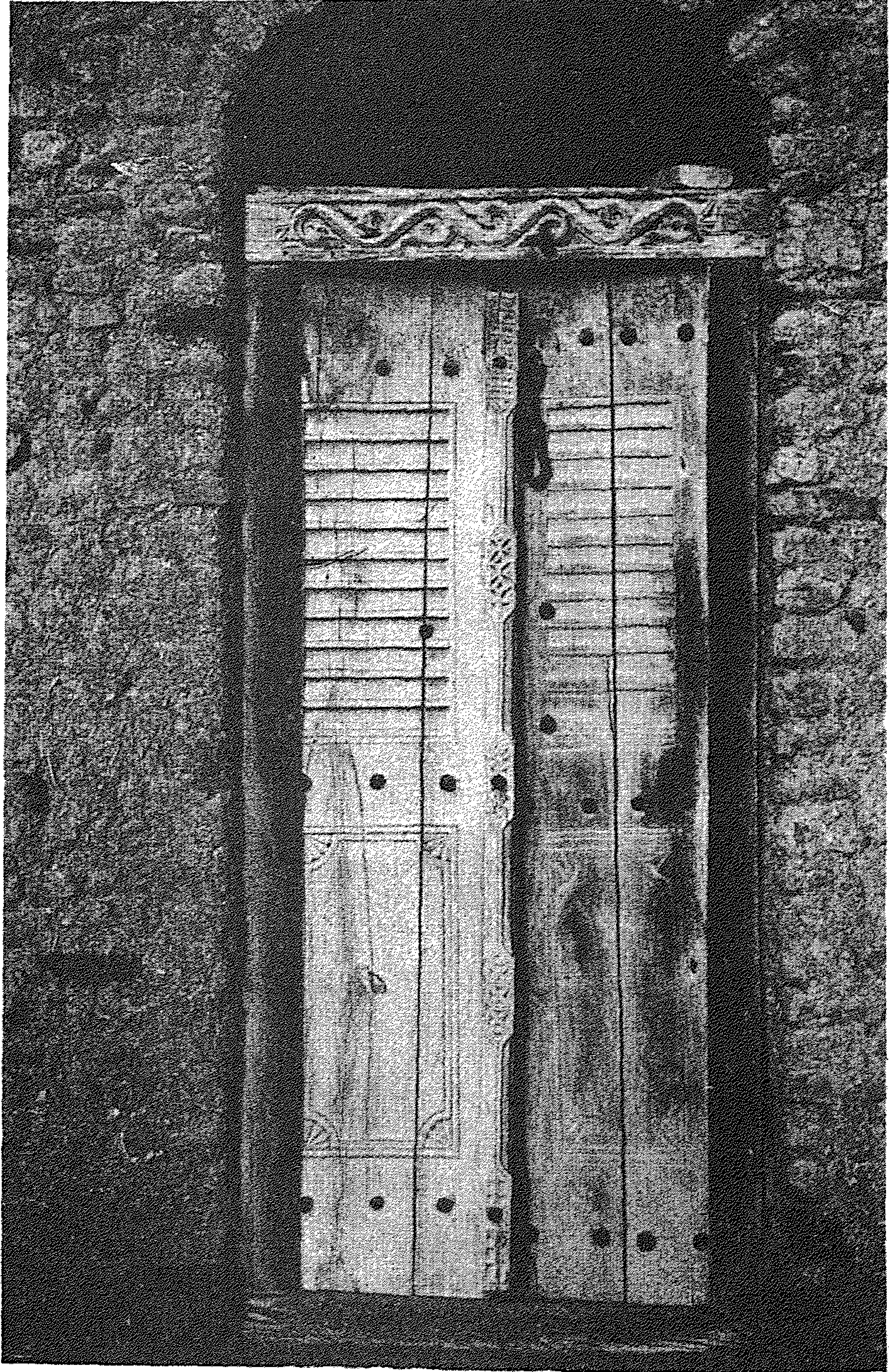
شكل رقم (١٨) احد المناظر فى مصر



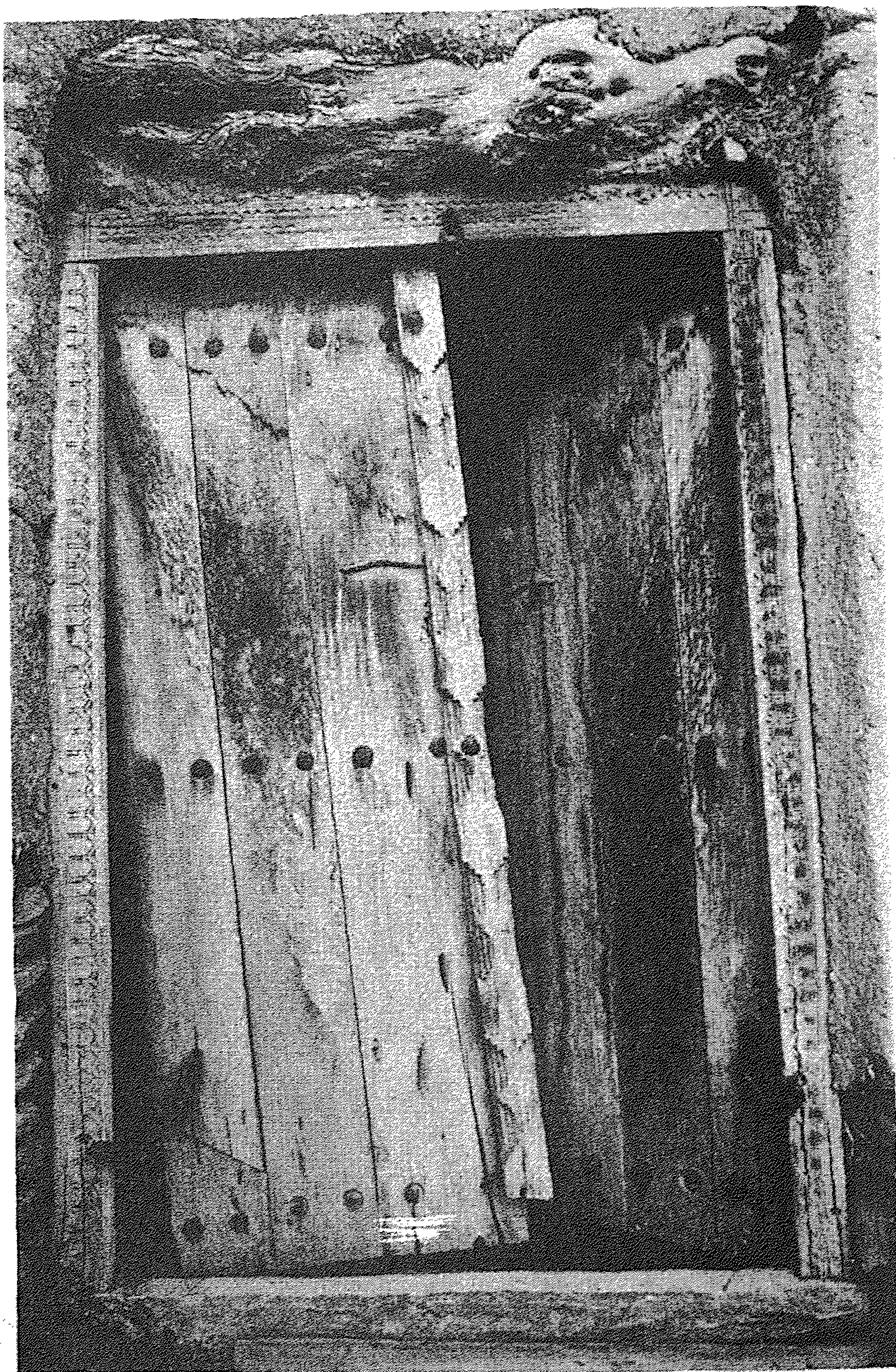
شـــكل رقم (١٩) منظر داخلى لمنزل قديم فى صحار



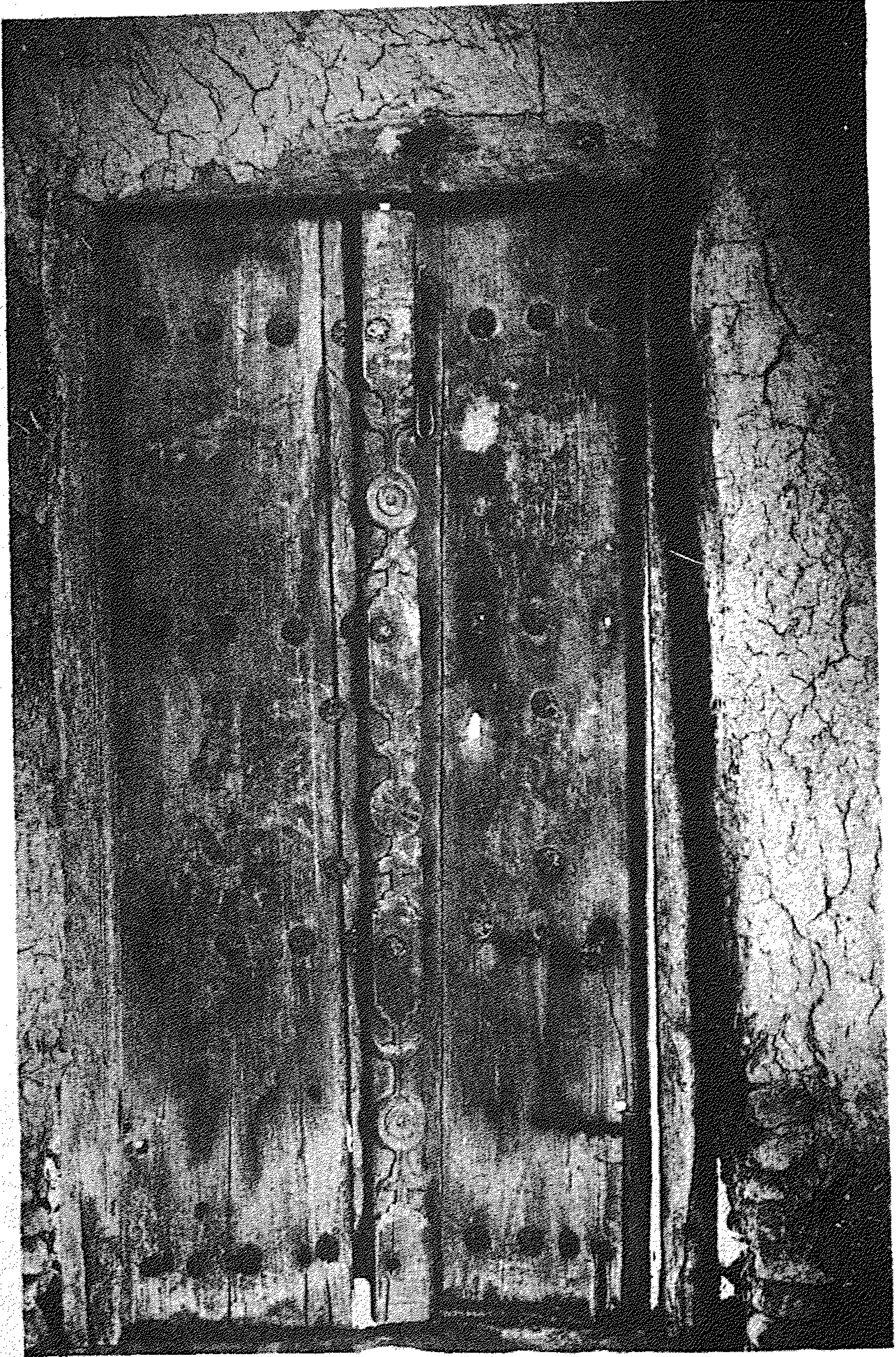
شـــكل رقم (٢٠) واجهة منزل فى صحار
ويرى الباب من الخشب وهو محلى بالزخرفة والنقوش الجميلة



شـــكل رقم (٢١) واجهة باب جميلة،
محلاة بالنقوش والزخارف المتنوعة لأحد المنازل الصحارية



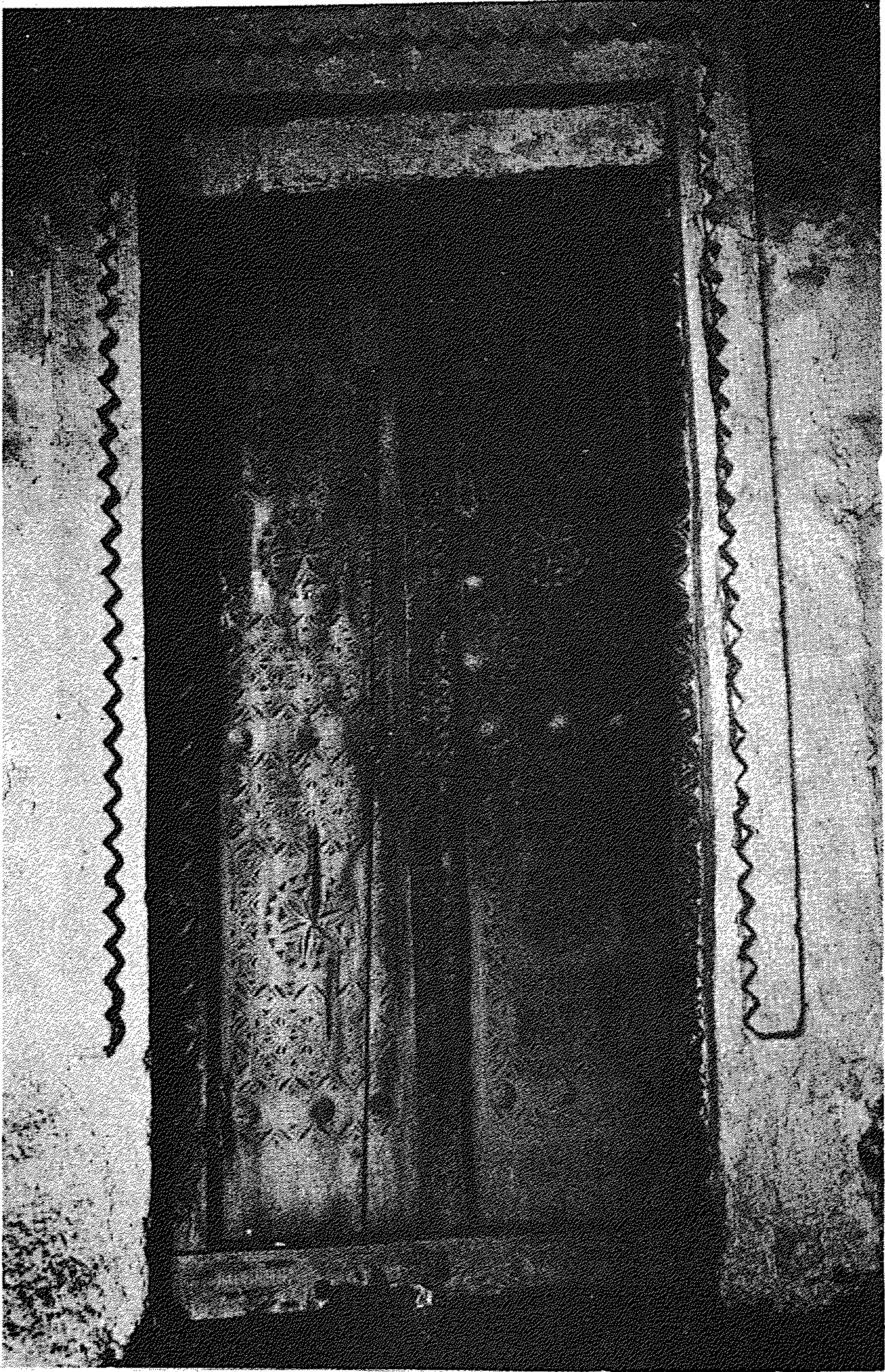
شـــكل رقم (٢٢) أحد الأبواب المصنوعة من الخشب لمنزل قديم فى صحار



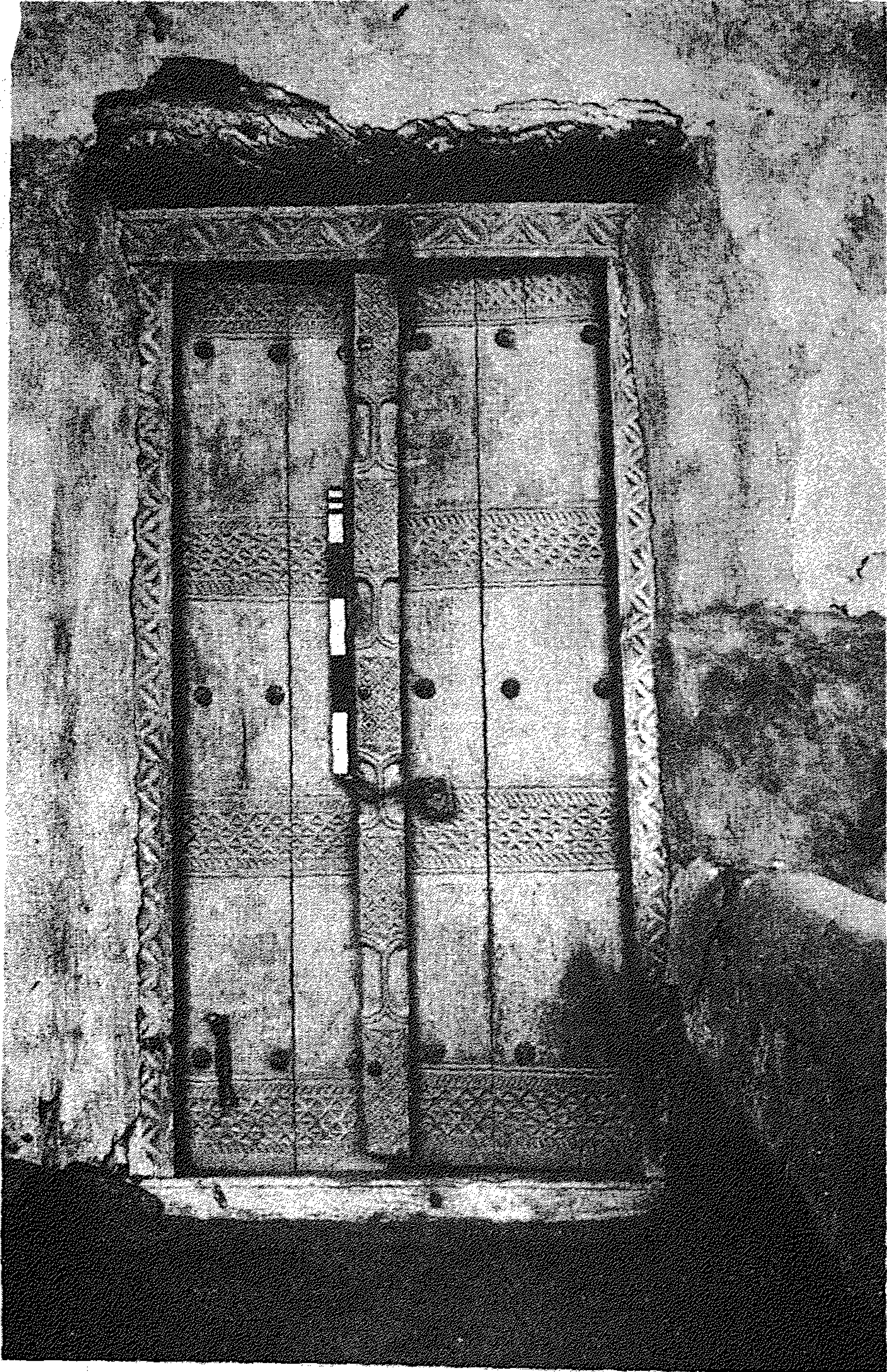
شكل رقم (٢٣) نموذج جميل لأحد الأبواب المصنوعة من الخشب ومحلاة بالحديد والنحاس البارز



شـــكل رقم (٢٤) أحد الأبواب الخشبية القديمة
التى تتميز بالنقوش الجميلة والزخرفة البديعة للفن فى صحار



شـــكل رقم (٢٥) نموذج لباب محلى بالنقوش الجميلة
والزخرفة البديعة لأحد أبواب المنازل فى صحار



شـــكل رقم (٢٦) نموذج آخر لأحد الأبواب
لمنزل صحارى محلى بالنقوش والزخارف البديعة

ثانياً

دراسات لغوية وجغرافية

أخبار عن عمان في الأدب الجغرافي العربي

د. مناويلا مارين

لقد درست أهمية عمان فى التجارة العربية مع الشرق الأقصى وأفريقيا وأقاليم أخرى فى أبحاث دقيقة ، واعتمدت على مصادر عربية [١] ، وغير عربية (صينية على وجه الخصوص) .

وســوف نقتصر فى هذه المناسبة على التقاط المعلومات ذات الطابع الأدبى والجغرافى التى يمكن أن نلقاها عند بعض المؤلفين العرب حتى القرن الخامس عشر الميلادى ، وهى معلومات مبعثرة لأنها تعتمد على ما تلقاه كل كاتب .

وهى — فى معظم الأحيان — مستقاة من الكتب ، ولم تنتج عن التجربة المباشرة إلا فى حالات معدودة ، ومع ذلك أعتقد أنه قد يكــون مفيداً أن نجمع هذه المــادة ، لأن ذلك يتيح لنا تكوين الصــورة التى كانت لعمان ونشاطها التجارى فى بقية أرجاء العالم العربى .

وأول انطباع يتكون لدينا هــو أن هذه المنطقة لم تعرف إلا قليلا ، نظراً لبعدها الجغرافى ، وعدم ارتباطها بالسلطة المركزية فى فترات طويلة من تاريخها ، ونذكر فى هــذا الصدد أن مؤلفات مثل « صفة جزيرة العرب « للهمدانى » أو « بلاد العرب » للأصفهانى ، قد تناولت عمان من بعيد .

ولدينا معلومات أخرى مستقاة من كتب الجغرافيين ، التى نبرز من بينها كتاب « أخبار الصين والهند » ، وهو كتاب لفت انتباه المستشرقين الأوربيين منذ القرن الثامن عشر ، وقد نشر نصه العربى مع ترجمة فرنسية فى عام ١٨٤٥ فى باريس [٢] . وهناك مؤلفات هامة أخرى لأحمــد بن ماجد ، نشرها عن صــورة طبق الأصل ج . فيراند G. Ferrand [٣] .

وقد اعتمدت هذه المؤلفات على معرفة مباشرة للمنطقة ، على الرغم من أنها متأخرة تاريخياً . أما بقية المصــادر فتختلف درجة أهميتها ،

وســـوف نصنف المعلومات التى لدينا فى موضوعات ، متبعين فى ذلك — ما أمكن لنا — الترتيب التاريخى فى طرحها •

١ — إن تاريخ عمان فى العصر الإسلامى مرتبط ارتباطا وثيقاً بالتوسع الاقتصادى التجارى الإسلامى ، ولدينا إشارات كثيرة إلى بحارة عمانيين وسيرافيين (ذلك أن الجالية العمانية فىسيراف قد تكون على قدر من الأهمية) ، وقـــد كان هؤلاء البحارة يعرفون جيداً طريق الهند وطريق شرق أفريقيا •

ولدينا شواهد أدبية [٤] ، متنوعة ، حـــول وجود « نواخذة » عمانيين وسيرافيين فى بحر الحبش ، وحتى فى بحر قزوين [٥] • وكان هؤلاء الملاحون الخبراء يذهبون إلى كل الطرق البحرية المعروفة فى ذلك الحين « الصين والهند والسند والزنج واليمن والقلزم والحبشة » [٦] •

وكانت الاتصالات البرية أقل أهمية من البحرية ، بالرغم من أنه كان هناك طريق واحـــد على الأقل ، وهو طريق الحج الذى كان يبدأ من مدينة يبرين [٧] ، ومع ذلك فإن الدخـــول إلى عمـــان كان يتم عن طريق البحر ســـواء من الشمال أو من الجنوب •

وكان الطريق البرى محفوفا بالمصاعب بسبب الجبال الوعرة وامتداد الصحراء التى أضيفت إليها فى فترات تاريخية بعينها الاضطرابات والقلاقل السياسية وانعدام الأمن فى الطرق • ويوضح لنا ابن حوقل هـــذا الأمر فيقول [٨] :

« وطريق عمان يصعب سلوكه فى البرية لكثرة القفار وقلة السكان وإنما طريقهم فى البحر إلى جـــدة على السواحل من مهرة وحضرموت

إلى عدن ، . . . . ، وكذلك ما بين عمان والبحرين فطريق شاق يصعب سلوكه لاختلاف العرب وتنازعهم فيما بينهم » .

ويقدم لنا الإدريسى أخباراً مشابهة ، إلى درجـــة أنه يستخدم فى بعض الأحيان نفس الكلمات أو الجمل أو ما يقرب منها ، مما يجعلنا نفكر فى أن يكون الإدريسى فى هـــذا يفيد فكرة سابقة ، وهذا هو نص الإدريسى :

« ومن مدينة صحار إلى بلاد البحرين نحـــو من عشرين مرحلة ، وطريق عمان فى البرية إلى مكة أو غيرهما صعبة جـــدا لكثرة القفار وقلة السكان ، وإنمـــا يسافرون فى المراكب على البحر إلى مدينة عـــدن ، ومن عدن يسافرون إن شاءوا برا أو بحرا » .

وكذلك من صحار التى من أرض عمان إلى البحرين فى جهة الشمال طرق متعذرة السلوك لتنازع العرب بها ، ومحاربتهم وغاراتهم بعضهم على بعض فليس لمســـافر معهم أمان فى نفسه ولا شىء من ماله .

ويمكننا أن نلاحظ أن الإدريسى قد اعتمـــد فى تأليف كتابه على أخبار سابقة ، ولهذا نجـــد هذا التشابه بين نصه ونص ابن حوقل ، ومع ذلك فإن ابن بطوطة الذى زار المنطقة بنفسه ، لايحبذ إمكانية الســـفر عن طريق البر :

« وكان فيما بين (البحرين) وبين عمان طريق استولت عليه الرمال وانقطع فلا يوصل من عمان إليها الا فى البحر » [١٠] .

وقد أصبحت عمان مركزاً تجاريا هاما ــ بالرغم من أن ذلك لم يستمر كثـــيرا ــ نظراً إلى سيطرتها على الطرق البحرية وموقعهـــا الجغرافى الاستراتيجى . وسوف نرى ــ فيما بعد ــ وصف بعض الجغرافيين لها وحماستهم وهم يصفون تجارها بأنهم أغنى تجار العالم [١١] وقد انتهز العمانيون فرصـــة قربهم من البحر لانعاش حياتهم التجارية .

٢ — وقد كانت التجارة الدولية المصـــدر الرئيسى لثورة التجار العمانيين ، وعلى عكس عــدن التى تدين بازدهارها لموقعها الجغرافى الفريد وحــده دون أن تكون لها موارد أخرى ، فإن عمان كانت لها موارد خاصة يشير إليها الجغرافيون العرب باستمرار .

وفى المقــام الأول يجب أن نذكر من بضائع الترف ، اللؤلؤ ، وفى كتاب « تبصر التجارة » المنســوب إلى الجاحظ ينقسم اللؤلؤ إلى قسمين ، العمانى والقلزمى ، ويرى أن أفضله هو مايأتى من عمان [١٢] .

وقد ازدهرت كــذلك الزراعة ، وكثرت المنتجات الزراعية وتعددت أنواعها ، وتذكر عمان إلى جانب الكوفة والبصرة وبغداد ومصر من المناطق التى يكثر فيها النخيل [١٣] .

« قالوا أجود تمر عمان الفرض والبلعق والخبوت » [١٤] .

وتذكر من بين المنتجات الزراعية « الفواكه الجرومية من الموز والرمان والنبق ونحو ذلك » [١٥] .

ويتحدث المقدسى[١٦] عن صحار ، فيقول «ولهم آبار عذبة وقناة حلوة» وعن مسقط يقول « ورأيته موضعاً حسنا كثير الفواكه » [١٧] .

وتعد أهمية شبكة الرى التى تساعد على الازدهار الزراعى فى عمان من الأمــور الحيوية ، ولكنا لن نتطرق إليها هنا .

ومن المنتجات الطبيعية المشهورة الأخرى فى عمان الصبر الأســود واللامع [١٨] والنحاس [١٩] ، والسمك الذى طالمــا أشير إلى كثرته فى هذه الســواحل ، والذى يمثل أساساً هاما للغذاء الشعبى [٢٠] .

ويذكر بعض النشاط الحرفى ، فقد اشتهرت أنسجة صحار التى يقول عنها المسعودى « والثيـاب الصحراوية نسبة إلى صـحار ، وهى قصبة عمان » [٢١] • والمحصول الرئيسى فى الجنوب هو اللبان دون شك « واللبان الذى يستعمل بالآفاق من هنالك ، وديارهم مفترشة به » [٢٢] •

وهنا يشير ابن حوقل إلى منطقة مهرة التى كانت تشتهر بانتاج اللبان الذى كان يصدر معظمه إلى الخارج ، ويمر منه عن طريق صحار •

وليس لدينا معلومات دقيقة عن تصـدير المنتجات العمانية التى ذكرناها باستثناء اللؤلؤ وربما كان جزء من الانتاج الغذائى موجهاً لسـد حاجة الملاحين فى أعماق البحر •

ونحن نعرف أن السفن التى كانت تتوجه إلى بحر الهند كانت تتوقف فى الموانىء العمانية قبل بدء رحلتها ، وهناك كانوا يتزودون بالمـاء والغذاء ، وبالذات فى ميناء مسـقط حيث نعرف أن البحارة كانوا يشترون الغنم لغذائهم فى رحلتهم الطويلة [٢٣] ومن الجائز إذن أن تكون ثمـة تجـارة محدودة بين سكان الموانىء والملاحين تعتمـد على الإنتاج المحلى •

٣ ــ لقد كانت التجارة مع الشرق الأقصى وشرق أفريقيا موضـع دراسة غزيرة [٢٤] ، ولهذا سـوف نتحدث الآن فقط عن الموانىء العمانية ونذكر بعض المعلومات المتعلقة بها [٢٥] •

وأهم ميناءين على الشاطىء الشمالى فى عمان هما صحار ومسقط ، ولم يكن للأخير منهما أهمية كبرى قبل وصـول البرتغاليين [٢٦] ، ومـع ذلك فإننا نعرف أنه فى القرنين الثالث والرابع للهجرة كانت مسقط آخـر ميناء تقف فيه السفن قبل اتخاذ طريقها نحـو الهند :

ويستعذب المـاء من مسقط من بئر بها وهناك جبل فيه رعاة غنم من بلاد عمان فتختطف السفينة منها إلى بلاد الهند [٢٧] •

وكانت مسقط كذلك نقطة توقف طبيعية فى الطريق البحرى الذى يبدأ من اليمن : « والمسقط أول ما يستقبل المراكب اليمنية » (٢٨) .

وفى جغرافية الدمشقى (القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى) ، نلاحظ أن وصف هذه المدينة ينطبق على قرية يختلف إليها صيادو اللؤلؤ الذين يعيشون فى أكواخ من القصب ، مما يدل على أنها مدينة قليلة الأهمية . بالرغم من أنها سوف تنهض فيما بعد (٢٩) . ولدينا شاهد للملاح العمانى الشهير أحمد بن ماجد (القرن التاسع الهجرى ، الخامس عشر الميلادى) (٣٠) .

« ومسقط (هكذا) بندر لم يكن فى الدنيا مثله » . ويضيف أن هذا الميناء يعرفه الملاحون بسهولة وهو « بندر عمان » من العام الى العام تشحن المراكب منه البُسْر والتمر والخيل ، ويباع فيها البز والسليط والرقيق والغلات » وكانت صحار على الأقل حتى تخريبها على أيدى القرامطة — أهم ميناء عمانى (٣١) ، ويصفها المقدسى بحماس بالغ ، فيقول :

صحار هى قصبة عمان ، ليس على بحر الصين اليوم بلد أجل منه ، عامر آهل ، حسن طيب نزه ، ذو يسار وتجار وفواكه وخيرات .

وصنعاء ، أسواق عجيبة ، وبلدة ظريفة ممتدة على البحر ، دورهم من الآجر والصاج ، شاهقة نفيسة (...) ولهم آبار عذبة وقناة حلوة ، وهم فى سعة من كل شىء ، دهليز الصين وخزانة الشرق والعراق ومغوثة اليمن » (٣٢) .

ويشبه هذا ما ذكره جغرافى آخر من نفس الفترة :

« هى على البحر ، وبها متاجر البحر وقصد المراكب ، وهى أعمر مدينة بعمان وأكثرها مالا ، ولا تكاد تعرف على شاطىء بحر فارس بجميع بلاد الإســلام مدينة أكثر عمارة ومالا من صحار » (٣٣) .

وبعد ذلك بقرون يردد الإدريسى الحديث على شهرة صحار .

« وهى أقــدم مدن عمان وأكثرها أموالا قديماً وحديثاً ، ويقصدها فى كل سنة من تجار البلاد من لا يحصى عددهم ، وإليها يجلب جميع بضائع اليمن ، ويتجهز منها بأنواع التجارات ، وأحوال أهلها واسعة ، ومتاجرهم مربحة ، وبها نخل كثير » (٣٤) .

والجغرافى فى هذه الحالة يعكس لنا صورة الأمجاد القديمة ، لأن صحار كانت تعانى من منافسة موانىء أخرى ، ويؤكد لنا الإدريسى نفسه هذا فيقول (٣٥) :

« وكان فى القديم من الزمان تسافر منها مراكب الصين ، فانقطع ذلك وسبب انقطاع السفر من مدينة عمان أن فى وسط بحر فارس مما يقابل مسقط جزيرة تسمى جزيرة كيش .

وفيها مدينة كيش فوليها عامل من اليمن ، فحصنها وأحسن إلى أهلها وعمرها وأنشأ بها أسطولا فغزا به بلاد اليمن الساحلية فأضر بالمسافرين والتجار (....) وانقطع بذلك السفر من عمان وعاد إلى عدن » (٣٦) .

وفى وقت متأخر حلت محل صحار فى الأهمية قلهات ومسقط .

٤ ـ لقد كان لبعض المــدن والموانىء الإســلامية ومنها الموانىء

العمانية أهمية كبرى فى تجارة الترانسيت ، ولدينا نص واضح بهذا الصدد فى كتاب « أخبار الصين والهند » (٣٧) .

« فذكروا أن أكثر السفن الصينية تحمل من سيراف ، وأن المتاع يحمل من البصرة وعمان وغيرها إلى سيراف فيعبأ فى السفن الصينية بسيراف وذلك لكثرة الأمـواج فى هـذا البحر وقلة المـاء فى موضع منه (....) فإذا عبىء المتاع بسيراف استعذبوا منها المـاء وخطفوا . (وهذه لفظة يستعملها أهل البحر يعنى يقلعون) — إلى موضع يقال له مسقط وهـو فى آخـر عمـان ، والمسـافة من سـيراف إليه نحـو مائتى فرسـخ » .

وكانت عمان مركزاً يستقبل البضائع من جميع أرجاء العالم ويوزعها إلى مناطق أخرى ، ويطيل لنا المقدسى — بدقته المعهودة عنه — الحـديث عن البضائع التى كانت تصل عمان :

« آلات الصيادلة والعطر كله حتى المسك والزعفران والبقم والساج والساسم والعاج واللؤلؤ والديباج والجزع واليواقيت والأبنوس والنارجيل والقند والأسكندروس والصبر والحديد والرصاص والخيزران والغضار والصندل والبلور والفلفل وغير ذلك » (٣٨) .

وكانت بغداد فى عصر ازدهارها الجهة الرئيسية التى تصلها بضائع تجارة الترانسيت .

« كل ما يأتى فى دجلة من واسط والبصرة والأبلة والأهواز وفارس وعمان واليمامة والبحرين وما يتصل بذلك فإليها ترقى وبها ترسو » (٣٩) .

وهناك نصوص واضحة عن هـذا النمط من التجارة ، نعرف منهـا شيئا عن بعض أنواع البضائع مثل العنبر :

« قال : وعنبر يؤتى به من الهند يسمى الكرك بالوس ينسب إلى قـوم من الهند يجلبون بالكرك بالوس يأتون به إلى قرب عمان ويشتريه منهم اصحاب المراكب » (٤٠) .

ولم تكن تجارة الترانسيت تتجه فقط إلى العالم الإسلامى ، فقـد كانت عمان نقطة العبور لبعض المنتجات التى تستورد من الخارج وتصدر إلى الخارج كذلك ، وطبقا لمـا ذكره المسعودى فإن عمان كانت مركز توزيع العاج إلى الصين والهند :

« فيجهز الأكثر منها من بلاد عمان إلى أرض الصين والهند وذلك أنها تحمل من بلاد الزنج إلى عمان ومن عمان إلى حيث ماذكرنا ، ولولا ذلك لكان العاج بأرض الإسلام كثيرا » (٤١) .

وفى أحيان أخرى تذكر عملية استيراد محصول وتصديره :

« وكذلك شجر النارنج والاترج المدور الذى يجلب من أرض الهند فى أول الأمر ثم يزرع بعمان ثم نقل إلى البصرة والعراق والشام حتى كثر فى دور الناس بطرسوس وغيرها من الثغر الشامى وأنطاكية وسـاحل الشـام وفلسطين ومصر وما كان يعهد ولا يعرف » (٤٢) .

٥ — ولكى نختتم هذا العرض القصير سـوف نتحـدث الآن عن بعض مشاكل الملاحـة فى المناطق القريبة من عمـان ، وقـد رأينا مـن قبل أن السفن الصينية الكبرى كانت تواجه مصاعب حقيقية فى الاقتراب من البصرة وهـذا هـو أحـد أسباب ازدهار ميناء سيراف ، وكانت توجـد بالقرب من عمان جبال صخرية تحت المـاء ، وعوائق أخـرى غيرهـا :

« وفى هـذا البحر جبال عمان ، وفيها الموضع الذى يسمى الدردور ،

وهـو مضيق بين جبلين تسلكـه السفن الصغـار ولا تسلكـه السفن الصينية » [٤٣] .

وقد وصف الإدريسى هذا المضيق المشهور :

« ويحاذى هذين الجبلين المكان المسمى دردورا ويسمى بحر وموضعه بحر عزرة ، والدردور موضـع يدور فيه المـاء كالرحى دورانا دائماً من غير فترة ولا سكون ، فإذا سقط إليه مركب أو غيره لم يزل يدور حتى يتلف وهـذا المـاء موضعه يكون فى جنوب جزيرة ابن كاوان ، وجزيرة ابن كاوان بينها وبين جزيرة كيش اثنان وخمسون ميلا ، وهو مجرى » [٤٤] .

ويكرر ذكر هـذا المضيق إلى جانب جبلين صخريين آخرين :

« وفيها الجبلان اللذان يقال لهما كسير وعوير ، ولا يظهر منهما فوق المـاء إلا اليسير » [٤٥] .

وقد كانت خطورة هذين الجبلين شديدة حتى ضرب بهما المثل . ويشير الجغرافى الأندلسى البكرى إليهما فى كتابه « معجم ما استعجم » فيقول :

« وهما جبلان فى البحر بحذاء عمان ، فإذا مرت بهما سفينة لم تكد تسلم من الكسر أو الغرق » [٤٦] .

ويضيف الإدريسى إلى هذا قوله :

« لا يظهر منهما شىء والمـاء يكثر على أعلاهمـا والربان يعرفون مكانيهما فيجتنبونهما » [٤٧] .

وكما ذكرنا ، فقد ظهر مثل يتصل بهذين الجبلين :

« وبالقرب منهما جبلان عظيمان يسمى أحدهما بكسيرو وهو فى غربيها

ويسمى الآخر بعوير وهو فى شرقيها ، وبهما ضرب المثل فقيل كسير وعوير وكل غير خير » (٤٨) •

وتذكر رواية أخرى لهذا المثل فى مؤلفات أحمد بن ماجد :

« وهناك عدة جزر مثل سلامة وبناتها ، وتسمى عوير وكسير والثالث ليس فيه خير » (٤٩) •

وقد عرف المثل فى الأندلس الأقصى بهذه الصورة التى ذكرها ابن ماجد ، ونذكر على سبيل المثال كتاب ابن هشام اللخمى « المدخل إلى تقويم اللسان » (٥٠) الذى يورد هذا المثل •

وقد عرف الملاحون الأوربيون كذلك كسير وعوير ، وذكروا أنهما يقعان على بعد ستة أميال وثلاثة أرباع الميل من رأس مسندم •

وهناك نقطة أخرى خطيرة بالقرب من جلفار :

« (•••) الى « الخيل » إلى « جلفار » ، وهاتان قريتان بهما مغايص اللؤلؤ ويقابلهما فى البحر طرف جبل كبير مغمور فى البحر يظهر منه القليل فى بعض الأماكن •

ويغيب فى غيرها فإذا وصلت المراكب الصاعدة من البصرة إلى عمان ووصلت إلى هذا الحد فرغت فى الساحل ما فيها من الأمتاع حتى تخف السفينة وتجوز ذلك الطرف ثم توسق بعد ذلك وتسير إلى عمان (٥٢) •

وتركيز الجغرافيين على مصاعب الطريق بين سيراف وعمان أمر له مغزاه (٥٣) ، وهو كذلك يعكس كثرة البلاد البحرية هناك ، ويبدو أن الملاحة فى الخليج كانت تتم على مرحلتين الأولى من عمان إلى سيراف ، ويبلغ

طولها ١٦٠ فرسخا ، والثانية طولها ١٤٠ فرسخا وهى من ســيراف الى البصرة (٥٤) .

ولم تكن أية مرحلة منهما تخلو من العقبات والأخطار التى كانت كثيرا ما ترتبط بشحن السفن وحجمها . ويشير المسعودى فى هذا الصدد إلى أنه خلال شهر يونيو (المسمى تيرماه) كانت السفن التى تحمــل شحنة صغيرة هى الوحيدة التى يمكنها اجتياز بحر الهنــد ؛ ولهــذا تسمى تيرماهية (٥٥) .

الهوامـــــش

(١) نظـــر

Heyd, W. **Histoire du commerce de Levant au Moyen - Age,** Leipzig, 1885 - 6; **Huzayyin, S., Arabia and the Far East, Le Caire,** 1942; Hourani, G. F., **Arab seafaring in the Indian Ocean in ancient and medival times,** Princeton, 1951.

(٢) Reinaud, M., **Relation des voyages faits par les arabes et les persans dans 1, Inde et à la Chine.** Paris, 1845.

استخدمنا فى هذا البحث تحقيق وترجمة جان سوفاجيه Jean Sauvaget باريس ١٨٤٨ ، التى توجد بها مقدمة قيمة - وتعليقات مفيدة .

(٣) **Instructions Nautiques,** Paris, 1928.

(٤) المسعودى مروج الذهب ـ الجزء الأول ، ص ٢٠٥ ، ٢٣٠ وما يليها .

(٥) المسعودى ، كتاب التنبيه ـ ص ٦٢ .

(٦) المسعودى ـ مروج الذهب . الجزء الأول ، ص ٢٤٢ ، ٢٨١ ، حدود العالم ص ١٦٤ .

(٧) الهمدانى ، صفة جزيرة العرب ص ١٤٩ ، وحول طريق مكة انظر البكرى ، معجم . الجزء الأول ص ٤٠٦ ـ ٤٠٩ ـ والجزء الثانى ص ١٣٠٤ .

(٨) صورة الأرض ، الجزء الأول ص ٤١ .

(٩) نزهـــة ، الجزء الثانى ص ١٥٩ .

(١٠) رحلة ، الجزء الثانى ، ٢٤٦ .

(١١) حدود العالم ، ص ١٤٨ .

(١٢) انظر اشارات أخرى فى المقدسى ، أحسن التقاسيم ص ١٠١ ، والمسعودى ، المروج ، الجزء الأول ص ٣٣٨ . والنهرى ، نهاية . الجـــزء الأول ص ٣٥٦ . والدمشقى ، نخبة ، ص ٨٠ .

وكانت الآلىء العمانية تسمى التؤامية ، حيث كان بحر عمان يسمى تؤاما . (البكرى ، معجم . الجزء الأول ص ٣٢٣) .

(١٣) الهمدانى ، صفة ص ٢٠٠ .

(١٤) ابن الفقيه ، بلدان . ص ٣٠ .

(١٥) الاصطخرى ، مسالك ص ٢٥ ؛ ناصر خسرو ، سفرنامة (الترجمة العربية) ص ١١٤ .

(١٦) المصدر المذكور ص ٩٢ .

(١٧) المصدر السابق ، نفس الموضع

(١٨) الدمشقى ، نخبة ص ٩٦ .

(١٩) المسعودى ، المروج ، الجزء الأول ص ٢٤٢ .

(٢٠) ابن الفقيه ، بلدان ص ١١١ ، ١٣٥ .

(٢١) التنبيه ، ص ٢٨١ ، وانظر ايضا الموسوعة الاسلامية . الطبعة الأولى ، مـادة صحار .

(٢٢) ابن حوقل ، صورة الأرض ، الجزء الأول ص ٣٨ .

(٢٣) أنظر الصفحة .

(٢٤) نشير هنا الى كتاب **W. Heyd, Histoire du commerce de Levant** فهو ذو فائدة فى هذا المقام حتى وقتنا الحالى ، وانظر ايضا .

Huzayyin, **Arabia and the Far East** (Cairo, 1942);
J. de Somogyi, **A short history of oriental trade** (Hildesheim, 1968).

ومقالا آخر مهما صدر حديثا
R. Rose di Meglio, **Il commercio arabo con la Cina dalla Gahiliyya al X secolo** (Scritti in onore di L. Veccia Vaglieri, Napoli, 1964, pgs. 525 - 553).

وفى اللغة العربية نشير الى دراسة عبد الامير دكسن ، « عمان فى كتابات جغرافى القرنين الثالث والرابع للهجرة » (مجلة اوراق ، الجزء الثالث ١٩٨٠) ، وكتاب عبد الكريم العانى « عمان فى العصور الاسلامية » (بغداد ١٩٧٧) .

(٢٥) حول بضائع التجارة الدولية ، انظر ابن خرداذبة ، مسالك ص ٧٠ ، والجاحظ التبصر بالتجارة (Arabica, 1954, p. 153 - 165).

(٢٦) على سبيل المثال يقول الهمدانى (صفحة ص ٢٥) .

« ارض عمان كورتها العظمى صحار » ، ولكنه لا يذكر مسقط .

انظر ايضا ياقوت ، معجم ، الجزء الخامس ص ١٢٧ .

(٢٧) ابن الفقيه ، بلدان ص ١١ ، ويوجد نص مشابه فى كتاب اخبار الصين ص ٧ ، وانظر ايضا المسعودى ، مروج ، الجزء الأول ، ص ٣٣١ ، وكانت المسافة بين صحار ومسقط خمسين فرسخا (المسعودى ، مروج ، الجزء الأول ص ٣٣١) أو ٤٥٠ ميلا (الادريسى نزهة ، الجزء الثانى ص ١٥٦) .

(٢٨) المقدسى ، احسن التقاسيم ص ٩٣ .

(٢٩) نخبة ، ص ٢٠١ .

(٣٠) نسخة مصورة عن الأصل فى كتاب فيراند
Instructions nautiques (Paris, 1928), I, 66 r.

(٣١) وفى القرن الثالث الهجرى ، التاسع الميلادى ، عصفت الصراعات الداخلية بعمان مما اثر على صحار .

(٣٢) احسن التقاسيم ، ص ٩٢ .

(٣٣) الاصطخرى ، مسالك ص ٢٥ .

(٣٤) نزهة ، الجزء الثانى ، ص ١٥٦ .

(٣٥) المصدر المذكور ، نفس الموضع .

(٣٦) أنظر ايضا ياقوت ، معجم ، الجزء الثالث ، ص ٣٩٣ .

(٣٧) ص ٧ ، أنظر ايضا ابن الفقيه ، بلدان ، ص ١١ .

(٣٨) احسن التقاسيم ، ص ٩٧ .

(٣٩) اليعقوبى ، بلدان ، ص ٢٣٧ .

(٤٠) اليعقوبى ، نفس المصـــدر ، ص ٣٦٧ .

(٤١) المسعودى ، مروج ، الجزء الثالث ، ص ٨ .

(٤٢) نفس المصدر ، الجزء الثانى ص ٤٣٢ .

(٤٣) اخبار الصين ص ٧ ، ابن الفقيه ، البلدان ص ١١ .

(٤٤) نزهة ، الجزء الثانى ص ١٦٤ .

(٤٥) اخبار الصين ، ص ٧ .

(٤٦) معجم ، الجزء الثانى ، ص ١١٢٨ .

(٤٧) نزهة ، الجزء الثانى ص ١٦٤ .

(٤٨) ابن بطوطة ، رحلة ، الجزء الثانى ص ٢٤٦ .

(٤٩) طبعة باريس ١٩٢٨ ، الجزء الأول ص ٦٦ .

(٥٠) مخطوط فى الاسكوريال رقم ٤٦ ، ظهر الورقة رقم ٦٨ . والمخطوط رقم ٩٩ ، ظهر الورقة رقم ٨٦ .

وقد درس الجزء الخاص بالأمثال من هذا الكتاب الدكتور عبد العزيز الأهوانى ، امثال العامة فى الأندلس (الى طه حسين فى عيد ميلاده السبعين . القاهرة ١٩٦٢ ، ص ٢٨٠) . وغارثيا غوميث .

E. Garcia Gomez, **Hacia un refranero arabigo - andaluz. I. Los refranes de Ibn Hisam al - Lajmi.** al - Andalus, 1970, XXXV, p. 30.

ونجـــد هذا المثل ايضا فى مجمع الأمثال للميدانى رقم ٣٠٥٣ (كسير وعوير وكل غير خـــير) ، وفى فصل المقـــال للبكرى ص ٣٧٨ (عوير وكســـيروكل غير خـــير) .

(٥١) اخبار الصين ص .

(٥٢) الادريسى ، الجزء الثانى ص ١٦٢ .

(٥٣) المسعودى ، مروج ، الجزء الأول ص ٢٤١ .

(٥٤) نفس المصدر ، نفس الجزء ص ٣٢٧ .

(٥٥) نفس المصدر ، نفس الموضع .

مسقط من وجهة نظر الجغرافيين وعلماء اللغة العرب

د. ركس سميث

Musqut in the Arab Geographers and Lexicographers

Dr. R. Smith

للوهلة الأولى تبدو كلمة « مسقط » اسم المدينة الساحلية والعاصمة الحالية لسلطنة عمان والتى تنطق عادة بالانجليزية « موسكات » استثناء للقاعدة العامة التى تقول أن كل الأسماء فى اللغة العربيـــة لا يجب أن تكون مناسبة فى معناها •

ومع ذلك فالجذر العربى الكلاسيكى سقط يمكن أن يعطى تفسيرات « سيمانتيكية » مختلفة (علم تطور معانى الكلمات) ••• وســوف يكون الهدف من الجزء الأول فى هذا البحث مناقشة هذه التفسيرات تماما حيث أنها موضوعة بشكل بارز فى المفردات الكلاسيكية •

وقد طرحت أقوال بأن « مسقط » ليست مشتقة أبداً من الفعــل العربى سقط •• بل أنها كلمة معربة من أصل أجنبى • والحقيقة أن مثل هذه الأقوال سليمة ولها مكانها أيضا هنا •

وفى الجزء الثانى نحاول تجميع المعلومات القليلة المتناثرة التى وردت عن سقط لدى علماء الجغرافيا العرب فى العصور الوسطى •

ربما وجب علينا ان نؤكد من البداية أن هذه المعلومات لا تثير شعورا بخيبة الأمل غير قليل عند أولئك الذين قد يتوقعون بيانات يمكن أن يتم عليها وضع أساس لتاريخ مسقط فى فترة ما قبل القرن العاشر الى القرن الســادس عشر •

ولكن مثل هذه المراجع التى تم اكتشافها ليست بدون فائدة • ان ندرة هذه المراجع المقتضبة لابد أن تبرز الحقيقة التاريخية وهى أن مسقط قبل وصــول الأوروبيين الى المنطقة فى أوائل القرنين العاشر الهجــرى والسادس عشر الميلادى كانت أقل أهمية كميناء من « صحار » المجاورة لها ومن المستوطنة البحرية الجنوبية « ظفار » •• ومن عدن أيضا التى لابد أنها كانت تنافســها •

دعنا نفترض من البداية أن مسقط كلمة عربية خالصـــة ، وهى الاسم الأصلى للمدينة • فالمعانى الرئيسية « كسقط » هى سقط وقع من مكان مرتفع الى مكان منخفض •

قد يسقط شىء ما مثلا من اليد أو من شخص أو يسقط من سقف مبنى ، والفعل من ذلك يمكن استعماله للحـــديث عن شخص يسقط على الأرض فى غيبوبـــة أو ينهار • فمثـــلا يرى المرء مـــن معانى المفردات الكلاسيكية ان :

سقط فلان مغشيا عليه •

ومعنى ينهار « قد ينطبق أيضا على مبنى أو عمارة من نوع مـــا : والمصدر (اسم الفعل) بهذا المعنى يكون عامة « سقوط » [1] واسم المكان والزمان للفعل أما « مسقط » أى على وزن « مفعل » مثل مكتب من كتب أو « مسقط » على وزن « مفعل » مثل « مجلس » من جلس وربما كان المثال الأخير أكثر شيوعا •

ومن الواضح ان اسم المكان هذا الذى نهتم به فى هـــذا السياق والملحوظة التى بدأت بها حديثى عن مسقط سيكون لها معنى أولى « مكان السقوط ، الوقوع » بل حتى « مكان الأنهيار » •

وأكثر التفسيرات المعقولة « مسقط » كاسم مكان عربى حقيقى هـــو ان الكلمة ربما تم اختيارها ببساطة من كلمة « مسقط الرأس » التى تعنى « محل الميلاد » • ويؤيد هذه النظرية قبول عدد من السكان المحليين لها فى مسقط •

وقدم مؤلفو المعاجم الأمثلة التالية :

— هذا مسقط رأسى •   أى محل ميلادى

— البصرة مسقط رأسى • أى البصرة محل ميلادى

— **هو يحن الى مسقطه** أى هو يشتاق الى محل ميلاده (٢)

ان هـذا المعنى بعينه لاسم المكان غير متوقع نوعا ما ، لأن الفعل « **سقط** » نفسه يبدو فى هـذا السياق بمعنى الاجهاض أو أن يولد الطفل ميتاً • على سبيل المثال كما يقول أصحاب المعاجم •

سقط الولد من بطن أمه ،تعنى إما « ان الجنين قـد أجهض » أو ان الطفل قد ولد ميتا • فى الحالة السابقة يولد الجنين قبل موعده وفى الأخيرة يكون مكتمل النمـو ويولد بعد فترة الحمل العادية •• هنا يجب أن نقارن بين « سقط » و « وقع » التى تعنى دائما المولود الحى •

ومن المهم ان نلاحظ أمثلة أخرى وهى ان « سقط » تستخدم فى معانى بعينها •• تضفى على « مسقط » اسمها العربى :

— **سقط الى القـوم** أى حل الناس فى منزلى

— **سقط الى جيران له** أى أنه حل لدى جيرانه •• وأجاروه

وأخيرا •

— **سقط عن الطريق** أى أنه انحرف عن الطريق

واذا تخلينا عن هذا التكهن سـنجد اسما منافسـا قويا لأصـل المكان وهو مسقط • ويذكر مؤلفو المعاجم ان سقط وسُقْتٌ ومسقطه تعنى سقوط — انحدار ، رقعة من الرمل وهو المكان الذى يسقط فيـه الرمل حيث ينحدر ويصل لنهاية « المكان الذى ينتهى فيه الجزء الرئيسى من الرمل وحيث يسقط وينحدر ويصبح دقيقا (٣) •

ومن المؤكد ان مثل هذا المعنى يبدو بديلا معقولا • (لمسقط الرأس) الوارد آنفا ، خاصة وان العرب لديهم ميل فطرى لتسمية الأماكن بمصطلحات فنية ترمز الى ملامح جغرافية •

وهناك فى العراق مثلا « مسقط الرمل » وهو واد فى « وادى الرمل » المتجه من خلف طريق الكوفة • ثم يمر بطريق البصرة حتى يصل الى البحر [٤] •

وفى عام ١٩٧٧ توصل « جى • سى ويلكنسون » الى نتيجة مؤكدة بأن اسم (مسقط) كلمة معربة واضحة [٥] • ولكن الفكرة ليست جديدة • والعالم اللغوى القديم « الزبيدى » القرن ١٣ / ١٩ - فى كتابه الشهير « تاج العروس » كتب يقول :

ومسقط على سهل بحر عمان مما يلى بر اليمن ، يقال « هو معرب مشكط ؟ » :

ان مسقط تقع على شاطىء عمان بالقرب من أراضى اليمن ويقال أنها معربة من « مشكط » •

ولسوء الحظ فإن الزبيدى لا يضيف المزيد • وليس هناك أية اشارة لأصل « مشكط » ، واذا كانت تعنى شيئا فما هو هذا الشىء •• واذا مضينا فى تكهناتنا هنا بأن أصل كلمة « مسقط » لم تكن كلمة عربية فاننا قد نتوقع ان تكون مشتقة « من احدى اللغات السامية الأخرى غير العربية فى المنطقة » •

ولكن ينبغى الا يوغل فى التكهن الى أبعد مما يجب لأنه فضلا عن الجذور المشتركة (سقط مثل اسكيت فى اللهجة الجيبالية و « حكوت » فى اللهجة « الحرسوسية » الخ ، فان كلا المعنيين يدلان على « الوضع » •

أما الآن فاننا لا نستطيع المضى فى هــذا الطريق بعينه • وقد يتساءل المرء مرة أخرى عما اذا كانت الكلمة لها أصل عربى وما اذا كان أصلهـــا فارسياً نظرا لعلاقات عمــان الوثيقة بالأراضى عبر الخليج على مــر القرون (٧) •

وســـوف نناقش محاولة « ابن المجاوير » لاشتقاق كلمة مسقط من *أصــل عربى آخــر فى الجــزء الجغرافى من هــذا البحث* •

وليس من الممكن تأكيد متى ظهرت مسقط الى حيز الوجــود بالضبط وان كان يبدو أن التقليد المحلى يوحى بأن المستعمرين الحميريين هم الذين أسسوها فى فترة ما فى المــاضى السحيق الغامض • وقد ميز « سيرنجر » مع بطليموس فى كريبتوس ليمون « شخصية عمان » الميناء المختفى •

وهذا الاسم يناسب تماما موقع الميناء المختفى لأنه قد يغيب عن نظر السفن العابرة (٨) • والى وقت غير بعيد تحــدث كتاب عمانيون مثــل « السليمى وابن رزيق » — عن مسقط أثناء استعراض الأحــداث فى عهد الحجاج بن يوسف الحاكم الأموى للعراق (٩٥ هـ / ٧١٤ م) لكنى لم أتمكن بعد من العثور على آثارها فى كتب التاريخ القديم •

وقد أشـــير الى بعض المعلومات النادرة المتعلقة بمسقط فى عهــد علماء الجغرافيا العرب القدماء والذين عاشـــوا فى العصر الوسيط • ومنهم مثـــلا « ياقوت » الذى يشير فقط الى مدينتين باسم مسقط • وهمـــا مسقط الرمل » فى العراق « ومسقط » أخــرى على البحر الأســـود بحر الخزر » بالقرب من باب الأبواب •

ولكن البكرى لم يشر الى مسقط على الاطلاق وكذلك الحمدانى المؤلف اليمنى لكتاب « **صفات جزيرة العرب** » واكتفى المسعودى بذكر مدينة مسقط الواقعة على البحر الأســـود •

كان ابن الفقيه الهمدانى ، وهو من أقدم علماء الجغرافيا العرب (١٠) ، قد وصف مسقط بأنها نهاية عمان وتقع على بعد ٢٠٠ فرسخ من « سيراف » «Siraf» وأنها ميناء تقلع منه السفن الى الهند وما وراءها •

ويذكر أيضا أن السفن ترسو فى مياه مسقط • وكانت السفن الصينية تدفع كل منها ألف درهم والسفن الأخرى تدفع من ١٠ الى عشرين دينارا (١١) •

وأشار المقدسى فى كتابه « **أحسن التقاسيم** » فى عام ٣٧٥ هـ / ٩٨٥ م الى الميناء على أنه مسقط وأول ميناء ترسو فيه السفن اليمنية ، وهو مكان ملائم تتوفر فيه الفواكه • ويكتفى الإدريسى فى كتابه « نزهة المشتاق » بالاشارة الى مسقط كمدينة يسكن فيها عدد كبير من السكان •

أما « المجاور » مؤلف « تاريخ المستبصر » من جنوب شبه الجزيرة العربية الذى توفى فى عام ٦٩٠ هـ / ١٢٩١ م فهو على النقيض من ذلك فانه يتحدث باسهاب عن مدينة مسقط ولا يعتبر هذا تاريخا بالطبع وان كان يحتوى على مادة تاريخية تفتقر أحيانا الى الدقة نوعا ما •

وليس ثمة شك فى أنه عمل جغرافى لأنه يصف الأماكن فى جميع أنحاء منطقة جنوب شبه الجزيرة العربية والحجاز ويحدد المسافات بين مكان وآخر •

وفى حديثه عن مسقط يتكهن أول الأمر بأصل الاسم (١٤) • ويقول : كانت هذه « مسقط » اسم المكان من « سقط » أى مكان **الصمت** •• ويقال ان ذلك كان بسبب ان الرفاق حين كانوا يصلون الى المدينة كان كل واحد هناك يلتزم الصمت •

ويواصل حديثه ليصف صيد السمك هناك • ويوجـد فخ خشبى لصيد السمـك (عنة / عينه) يجلس فوقه « ناطور » طوال الوقت • فاذا دخل سرب من السمك فى الفخ فانه يعرف عدد الأسماك •

وحين سئل عن ذلك أجاب بأنه لو رأى سمكة المقدمة الأولى فإنه يعرف عدد تابعيها • وذلك نتيجـة للتجارب العديدة والخبرة الطويلة فى المهنة •

ويمضى ابن المجاور قائلاً •• دعنا لا ننسى ان مسقط كانت « مرسى صحار » فى أواخر القرن ٧ هـ / ١٣ م وكانت تصـدر البضائع الى بارياهار « Barbahar » والأحذية (الخف) الى صحار لأغراض التجارة •

ومن هناك ترسـل البضائع إلى كيرمان وبعدها الى « سجستان » ثم إلى جميع أنحاء خراسان ، وترانسوكسانيا و «زاوليستان» و «الغور» و « الكرمل » وينهى ابن المجاور حديثه عن عمان بقائمة من المسافات : من مسقط إلى « حى عاصم » ستة فراسخ ومن هناك إلى اسرار «Asrar» ستة فراسخ أخرى ومن هناك إلى صحار أربعة فراسخ •

وأخيرا يسجل ابن بطوطة رحالة شمال أفريقيا الشهير الذى توفى فى عام ٧٧٩ هـ / ١٣٧٧ م ، زيارته لمسقط باختصار شديد [١٦] :

« وصلت مسقط ، (التى لها فتحة على الميم) ، انها مكان صغير يكثر فيه السمك المعروف باسم **قلب الماس** » [١٧] •

هل مسقط اذن كلمة « عربية حقيقية » أم مشتقة من كلمة أجنبية ؟ لقد عرضنا جانبى القضية ، وان كان من غير الممكن ان يكون هناك رد ايجابى •

اما بالنسبة لمسقط القديمــة ومسقط العصر الوسيط فلابد مــن الاعتراف بأن الصـــورة باهته ولابد من تكرار أن هــذه الصــورة لاتسمح بعرض مفصل لتاريخ المدينــة •

صحيح ان لدينا صــورة أوضـــح لتاريخ مسقط من القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى وما بعده وعلى وجــه التحديد مــن عــام ١٥٠٧ ، حين وصــل البرتغالى البكويرك بسفنه أمام الميناء •

ولكن لا يمكن ان يكون هــذا هــو المجال لبحث تفاصيل هــذه الفترة اللاحقة ولقد لعب البريطانيون والفرنسيون والهولنديون أدوارا هامــة فى تاريخ المدينــة ، وفى عام ١٧٩٣ أصبحت عاصمة لسلطنة عمان وظلت كذلك حتى اليوم •

ملاحظــات

* يود الكاتب هنا ان يعرب عن تقديره للمساعدة التى قدمها له كل من البروفيسور س . أ . ف . باكنجهام و ت . م جونستون ود . ج . س . ويلكنســـون .. فقد عرضوا جميعا مقترحات لتحسين نص هذا البحث .

(١) الفيروزابادى « مؤلف القاموس » يقول أن مسفط مصدر ميمى . لكن هذا ليس مناسبا لنقاشنا الحالى .

(٢) قد نضيف هنا انى اكتشفت تفسيرا محليا آخر لاسم مسقط مـــن مصادر مطلعة . انها اصطلاح بحرى (أى المكان الذى تسقط فيها المرســـاة) ، ولكن هذا التفسير ليس له ما يؤيده فى المعاجم اللغوية التى رجعت اليها .

ولكن القواميس الكلاسيكية تقـــدم القليل فقط من المعلومات عن السفن والبحر والمصطلحات البحرية بصفة عامة .

ويستخدم بافقيه الشهفر Ba Fagchal Shihvi المؤرخ الحضرمى الذى عاش فى القرن السادس عشر فى كتابه (تاريخ) كلمة سقط فى معنى واضح اى سفط من الميناء وهو اصطلاح بحرى هام ايضا .

(٣) يذكرنى بروفيسور بكنجهام هنا بالبيت الأول من معلقة أمرؤ القيس .

قفا نبكى مـــن ذكرى حبيب ومنزل

بسقط اللوا بين الدخـــــول فحومل

(٤) ياقوت « معجم » ٥ ، ١٢٧ ، المناسك ص ٥٨٣ .

(٥) مستوطنة ، ٣٣ — ن ، جـــاء دكتور ويلكنسون بمراجع اخـــرى هامة للاسم ، « مسقت » و « مسكد » وقد وجـــد كلاهما فى اللهجات المحلية .. وقد جمع الكاتب الحالى الاسم الثانى بنفسه على أية حال « ومسكة » (بتـــاء مربوطة) .

ولكننى لا استطيع ان أوافق ويلكنســـون على ان الهجـــاء الأخير لاسم مكان **بألف ممـــدودة** بدلا من الف مقصورة والاستخدام الشاذ لأداة التعريف يشير بالضرورة الى أن الاسم معرب .

(٦) الشكل السابق أعطاه لى بروفيسور جونستون ويظهر الأخـــيرة فى معجمة الحارسوسى .

(٧) ولكن خلال البحث الذى جرى بعد العرض الشفوى لهذا البحث الذى قدمته البروفيسور سعاد ماهر محمد . أثيرت حجة بأن كلمة « شكت » التى اوردها الزبيدى يمكن ان تكون مشتقة من كلمة « مشكاة » الفارسية ، اى أن هذه الحجـــة لا تقنعنى . وعلى اية حال فان مشكت مأخوذة من الكلمة العربية « مشكاة » .

(٨) C. F. Grohmann, EI., «Maskat»

(٩) تحفة ، ١ — ٧٥ ، **الشعاع** ، ١٥ .

(١٠) ب . ج . أ . ١ . ٥ . ١١/٢ .

(١١) اننى فى حيرة حتى فى محاولة تفسير مثل هذا التمييز .. هل يمكن ان الصينيين كانوا يفتقرون الى العملات الذهبية لسبب ما فى هذا الوقت لذلك ام يمكنهم الدفع بالدينار ؟

(١٢) ب . ج ، ١١ ، ٩٣ . « Et Seq » (*)

(١٣) **نزهـــة** ١٥٢ .

(١٤) **مستبصر** ٢٨٤ .

(١٥) الواضح ان صحار كانت ميناء هاما فى حـــد ذاتها منذ العصـــور الاسلامية الأولى (ويلكنسون) ، صحار . آثار جنوب آسيا وهناك قول بأن مسقط فى ذلك الوقت كانت ميناء محليا وفرعا لصحار ، وهذا هو ما تتضمنه كلمة « **مرسى** » .

(١٦) رحلات ٦ — ٣١٠ — ١١١ ، يبدو أن تعبير ابن بطوطة عن اسم المدينة ليس له قيمة ذات بال .. هل يقترح بأن يتم نطق مسقط على اســم المكان من سقط بدلا من مسقط التى ينبغى اعتبارها اسم المكان من أسقطه .

وهو الاسم الرابع المشتق لها . وينبغى الا يغرب عن البال ان عـــددا من المسئولين ووجهاء القـــوم فى الدوحة أصروا فى صيف عام ١٩٧٥ وقت افتتاح متحف قطر القومى على نطق « متحف » (بضم الميم) وليست الكلمة العادية . «متحف» (بفتح الميم) . ان « متحف » (بضم الميم) هى اسم المكان مـــن أتحف... أى قدم هدية نادرة وسارة . فى حين أن متحف (بفتح الميم) اسم المكان المشتق من شكل الفعل الأول الذى ليس له وجـــود .

(١٧) ينطق المحررون الكلمات على هـــذا النحو « Cf Poz. » ٣٩٠ ،

٣٩٠ ، «Sarte de Poussont» معنى **قلب** هـــو الفضة .

المصـــــادر

— **كتاب المناســك واماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة :** حمـد الجـاسر ، الرياض ، ١٩٦٩ .

— ر . دوزى . **ملحق قواميس العرب** . الطبعــة الثالثة ، لنــدن وباريس ١٩٦٧ . مجلــدان .

— محمد الفيروزبادى بن يعقوب — **قامــوس المحيط** — القاهرة ، ١٣٣٠ — ١ ، اربعة مجلــدات .

— ا . جروهمان . **الموسوعة الاسلامية** . الطبعة الأولى ، المقال « مسقط ».

— ابن الفقيه الهمذانى ، **كتاب البلدان** ، وكتاب جغرافية العالم العربى لندن ، ١٩٦٧ ، للمؤلف م . ج . دى جوجى .

— ابن بطوطة ، **رحلات ابن بطوطة** ، تحرير وترجمة س . ديفريميرى وب . ر . سانجوينيين ، باريس ١٩١٤ — ٢٦ ، أربعة مجلدات .

— محمد بن منصور ، **لسان العرب** ، بيروت ١٩٥٥ — ٦ ، ١٥ مجلــدا .

— يوسف بن يعقوب بن المجاور ، **تاريخ المستبصر** ، ترجمة و . لوفجرين — ليدن ١٩٥١ — ٤ ، جزءان .

— حميد بن محمد بن رزيق ، **الشعاع الشائع باللمعان فى ذكر ائمة عمــان** تحرير ، عبد المنعم عامر ، مسقط ، ١٩٧٨ .

— الادريسى ، **نزهــة المشتاق فى اختراق الآفاق** ، ترجمــة ب . ا . جوبير ، باريس ، ١٨٣٦ — ٤٠ .

— لان ، ا . و . **المعجم العربى — الانجليزى** ، لندن وانبره ١٨٦٣ — ٩٣ ، ثمانية اجــزاء .

— ت . م . جونستون ، **معجم الحرصوص** ، لندن ، ١٩٧٧ .

— محمد بن أحمد المقدسى ، **احسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم** ، ترجمـــة م . ج جوجيه ، ليدن ، ١٩٠٦ .

— عبد الله بن حميد السالمى ، تحفة الأعيان بسيرة اهل عمان ، الطبعة الخامسة ، الكويت ، ١٩٧٤ ، جزءان .

— ر . ب . سارجنت ، **البرتغاليون تجاه ساحل الجنوب العربى** ، اكسفورد ١٩٦٣ .

— ج . س . ويلكنسون ، (صحار) فى ابان العصر الاسلامى الدليل المكتوب ؛ **علم الآثار لجنوب آسيا** ، ١٩٧٩ — ٨٨٧ — ٩٠٧ (ابحاث من المؤتمر الدولى الرابع لعلماء آثار جنوب آسيا ، فى أوروبا الغربية نابلولى ، ١٩٧٧) .

— المياه والاستيطان القبلى فى **جنوب شرق شبه جزيرة العرب** ، اكسفورد ١٩٧٧ .

دراسة لرموز اللغات العُمانية

د. ى. أنسول

Code Language of Oman

Mr. D. Insoll

فى أوائل عام ١٩٧٧ كشف شيخ مسن فى شرقى منطقة هجار الواقعة فى شمال عمان النقاب عن أن سيدة عجوزاً فى القرية تتحدث بلغة لا يفهمها أحد لأن كل أقاربها ماتوا منذ أمد بعيد .

وفى نوفمبر تمت زيارة للقرية فى محاولة لتسجيل اللغة وبهدف تحديد هويتها . واكتشفوا فعلا الحقيقة — ان بعضاً ممن تربطهم بها صلة قرابة بعيدة يعرفون فعلا هذه اللغة ..

وجرى حديث معهم تم تسجيله بواسطة جهاز تسجيل لكن الذى تبين عن ذلك لم يكن لغة .. بل صورة رمزية من اللهجة العامية فى المنطقة غير مفهومة تماما بالنسبة لمن هم خارج المنطقة وغير معروفة كأحد أشكال أو لهجات اللغة العربية .

وتم استخدام نوعية من الرموز المختلفة فى هذا اللقاء الأول .

ان الأبحاث التى تلت ذلك والتى قام بها أوربيون لهم خبرتهم الطويلة فى عمان لم تلق ضوءا على الموضوع .. وكان هناك مرجع واحد مكتوب حول الموضوع .

وبدا أنها رموز وليست لغة .. وربما لا يكون لها أية أهمية لغوية . وأصبح ممكنا الآن تجميع المعلومات الكافية حول هذه اللغات الرمزية لتوضيح اطارها ومداها كأساس للبحث فى المستقبل . وهذه اللغات الرمزية أكثر انتشاراً أو استخداماً مما كان متصورا حين تم التسجيل الأول .

أنواع الرمز :

هناك نوعان من الرموز .. تلك التى تستخدم فى الأحاديث العامية فقط .. وتلك الرموز ذات النمط الأكثر أدبية واثنان منها على الأقل قد كتبتا وهما تستخدمان فى الحديث .

والنوع الأخير محترم جـــدا • وان كان أكثر تعقيدا إلا أنه أسهل فى البحث • ولا يتمتع النوع الأول باحترام خاص •• وكثيرا ما يتم انكار وجـــوده •

ولنقترح على سبيل التيسير فى الاشـــارة أن نطلق على النوع الأول اسم « الرموز العامية » والنوع الثانى « الرموز الأدبية » •• وان كانت هذه الاصطلاحات لا تعطى تعريفا دقيقا •

التوزيع :

من الناحية الجغرافية نجـــد أن الرموز العامية موزعة فى جميع أنحاء شـــمال عمـــان من خاتـــمة ملاحة «Khatmat Milahah» إلى صـــــور «Sur» ومصـــيرة «Masirah» ولم تجـــر أبحاث فى شـــبه جزيرة مســـندم «Masandam Peninsula» رغم أنه يذكر أن الرموز العامية شائعة فى منطقة صـــلالة الحضرية «Sallalah» فى اقليم ظفار الجنوبى •

وتوجد فى الغالب فى المجتمعات المتوسطة والكبيرة • أى المستوطنات التى تضم ٣٠٠ شخص أو أكثر •• ونادراً ما تحـــدث فى القرى البعيدة والصغيرة أو بين البدو رغم أنه قيل أن يشيع استعمال الرموز العامية فى قرى الجبل الأخضر •

ولعل نموها واستخدامها فى الماضى كانا من نتائج الانقسامات القبلية والعرقية الواسعة النطاق والكثافة السكانية فى هذه المناطق . على أنهـــا لا تظهر بين المجتمعات غير العربية التى لهـــا لغاتها الخاصـــة كما هـــو الحال أيضا فى المجتمعات العربية فى وسط عمـــان وجنوبها •

ولقد ذكر مصدر هام للغاية ان الرموز وجـــدت فى شمال عمان •

وأكثر الجماعات المتحدثة بطلاقة بين المتحدثين بلهجـة « السيا » «Siya» الذين ينتمون إلى مجتمع البياسيرا «Bayasirah» والذين كانوا خاضعين فى السابق لقبيلة بنى اخزم ، «Beni Akhzam» الحاكمة يدعون أن اسرتهم تعلمت رموزها التى جمعتها تحت اسم « فارسية » من أسرة من شيوخ العوامر «Awamir» التى كانت تقطن ساحـل الباطنة بالقرب من سيب «Seeb» ••

واعتادت ان تقضى شهـور الصيف فى بيتها وحـدائقها فى سييـا «Siya» • ومع أنه ليست هناك أية رموز عامية أصيلة « خاصـة » بسـيا الا أنه يوجـد رجـل قبلى من بنى اخـزم «Bani Akhzam» يعرف الرمـوز الثلاثـة التى تعتبر لغـة التخاطب عنـد « البياسرة «Bayasirah»

ورموز عامية أخرى يجهلونها ، وقد تعلمها جميعا فى سييا — «Siya» — من رجل قبلى مسن ينتمى الى بنى اخزم • وجـدير بالذكر ان النسـاء أيضا يتخاطبن بهذه الرموز •

وربما كان اسم « فارسية » أطلقه حديثا على اناس لم يعرفوا أصل لغات الرمـوز •• بنفس الطريقة التى توصف بها دائما الخرائب القديمة داخل عمان التى يرجع تاريخها إلى ما قبل التاريخ المحلى ، حيث توصف دائما بأنها « تعود إلى عصر الفرس » •

والرموز الأدبية منتشرة أيضـا فى جميع أنحاء شمال عمان ، ومـع أنها تبدو مرتبطة بالتعليم إلا أنها ليس لها مكان فى الـدين ، ففى قرية متوسطة الحجم قد يعرف معلم الدين أو مدرس القرآن تكويناتها الأساسية فى حين يكـون القضاة الاقليميون ضليعين فيها دون أن يكونوا متحدثين مفوهين بالرموز •

ويبدو أنها ليست لها حدود قبلية داخـل القطاع المتحـدث بالعربية

فى المجتمع • ويبدو أنه ليس لها مكان بها فى المجتمعات التى لا تتحـدث بالعربية • ولكن الالمـام بها ليس مقصورا على المتعلمين •

بل اتضح ان هناك اميين يعرفون الأبجدية العربية ومرادفاتها الرمزية دون أن تكون لديهم القـدرة على كتابة النثر العربى •

الوظائف :

ان الوظيفة الأساسية للرموز العامية بسيطة وجلية ، فهى تتيح الاتصال السرى بين أطراف ملمين برموز يعينها دون أن يستطيع الآخرون المشتركون معهم فى المجلس ان يفهموا شيئا مما يدور من حديث •

لقد كان من الصعب الحصـول على آراء موثوق بها حـول الوظيفة العامـة للرموز لكن بعض الأدلة تشير إلى الصراع السابق بين فئـات الحناوى والجعفرى على أنه السبب الرئيسى فى ظهور الرموز فى الماضى •

على ان مصدرا هاما للغاية أعرب عن اعتقاده بأن الرموز لم تكن تؤدى أية وظيفة عملية جادة لكنها كانت نوعا من الألعاب بين أطراف راضية فى أيام كان العمل فيها قليلا وكانت حفلات الترفيه الجماعية والاجتماعات محظـورة •

ان درجة الطلاقة التى يحققها متحدثان يمكن أن تكون مصدرا لاعجاب المشاهدين • وكما سنرى فان مـدى الابتكار لا حدود له •

وطرحت أمثلة لاستخدامها ففى سييا «Siya» أصبح معروفا ان مجتمعا كبيرا من البياسيرا «Bayasirah» استعملها فى المـاضى أثنـاء استضافتهم ضيوفا ، وذلك كوسيلة لتوصيل التعليمات الى داخل البيت •

لقد كانت الرمـوز تمكنهم من قول أشياء مثل « احضروا التمـر

لا الحلوى» خوفا من احراج ضيوفهم • ومن ناحية أخرى كان الرحبيون «Rahbiyin» من سكان ميس «Miss» بوادى التعيين «Wadi Tain» يعتقدون أنه لا يكون من عدم اللياقة استخدام الرمز أمام الضيوف •

ان هـذا يعكس رأياً طالمـا تردد وهـو أن الرمـوز العامية كانت خاصة وشيئا محرجا نوعا ما (عيب) يأبى الرجـال القبليون ان يعترفوا بأنها وسيلة للتخاطب فى مجتمعهم •

وجدير بالذكر ان الرموز العامية كانت تستخدم على نطاق واسـع فى وادى التعيين «Wadi Tain» حينمـا كان الاحتكـاك القبلى فى الماضى يمتد من منطقة إلى الخارج ويمثل خطورة ، فكان الرجل الذى يخرج للصيد لا يطلع سـوى ابنه على وجهته مستخدما الرمـوز حتى لا تكون هناك فرصـة أمام أى شخص آخر لسماع أى شىء عن تحركاته التى ينوى القيام بها •

والأطفال الحديثو العهد بتعلم لغة الرموز من أصدقائهم فى المدرسة كانوا يستخدمونها فى مناقشتهم حـول المكان الذى يختارونه للعب حتى لا يعرف آباؤهم شيئا عن ذلك •

وقد وصف لى اثنان من العاملين فى القوات المسلحة كيف أنهمـا استخدماها لبحث اين يذهبان بعد العمل • وقالا ان استخدامها استثار انتقادا شـديداً من الآخرين الذين لم يستطيعوا فهمهما ولم يمكنهم فهم كيف أن لهما « لغة » خاصة •

لقد تعلم هذان الرجلان لغة الرموز من بدوى فى منطقة مختلفة حين كانا طفلين منذ عشر سنوات مضت • لم يكن ذلك غير غريب بالنسبة لقريتهما وان كان هناك اناس يعيشـون فى نفس القريـة وفى نفس القبيلة ملمين بالرموز الأدبية •

اما البدوى فهــو أكبر منهما سنا وراح يمارس « لعبة المــال » أى التعليم « القمار » مقابل أجر • وعمــد إلى تعليمهما الرمــوز على سبيل الفكاهة • وبعد ذلك انتشرت بسرعة كبيرة بين جماعة الأطفال •

وقد وقف اثنان من رجال القوات المسلحة من منطقة مختلفة تماما فى شمال عمان •• يتحدثان فى أحــد الممرات بالقرب من مكتبى •• وكانا يستخدمان احــدى لغات الرمــوز فى حديثهما لأن ذلك على ما يبــدو كان محادثة خاصــة •

وكان رجلان قبليان من « الحوقين «Hawquayn» فى وادى بنى هناى «Wadi Bani Hinay» وقــد أطلقا عليها اسم « لهجــة » مشيران بذلك إلى نوع من اللهجات •

ومن التفسيرات المحلية الشائعة ان الرموز تستخدم للدعاية ـــ كلعبة بين الأطفال ، وهناك أيضا أدلة كافية على أن المدارس التى اقيمت حديثا (كان يوجد ثلاث مدارس فقط فى عام ١٩٧٠ •• لكن الآن هناك عــدة مئات) • تتيح المزيد من الاتصال الاجتماعى بين الأطفال مما يمكنهم من تعلم الرموز واستخدامها أثناء أوقات اللعب وبعد المدرسة •

وقد وصف شاب عمانى صغير من « نزوى » كيف أنه من بين وظائف الرموز التى ذكرناها ان الأطفال الصغار يستخدمونها لكتابة رســائل إلى الجنس الآخر لترتيب مواعيد معهن لا يعلم بها الآباء ، ويشار اليها فى نزوى على أنها « اللجهــة » •

وقال شاب عمانى متعلم من « سحم » «Saham» على ساحل الباطنة كيف ان عمه حكى له عن استخدام الرموز فى أوقات الخلاف القبلى قبل عــام ١٩٧٠ •

وقد غادر كثير من العمانيين بلادهم للعمل فى الخارج فى البلاد العربية

الأخرى • وكانت المفاوضات بين القبائل تجرى بواسطة رسل يوفدهم الشيوخ الذين كان بعضهم فى الخارج •

وكان استخدام الأختام شائعا كوسيلة للتصديق وكان يضاف إليها استخدام لغات الرموز ، وعند وصـــول الرسول يوجه اليه ســـؤال انك تقول انك قادم من قبل الشيخ سليم بن حامـــد ؟ فتحدث لى بلغته » • عندئذ يرد الرســـول باستخدام الرمز المناسب •

ويقال ان كل قبيلة تستخدم رموزا بعينها يمكن ان تبنى على أساس أى حرف من الأبجـــدية • وهـــو أوضح الأدلـــة حتى الآن على أن الرمـــوز العامية لها أصولها فى الصراع القبلى القديم فى عمان •

لكن مصدرا عاما لم يقف على مثل هـــذا الاستخدام ولا يعتقد ان قبائل بعينها اعتادت استعمال حروف محددة • والنوع الوحيد من الشعارات القبلية التى عرفها كانت تلك المستخدمـــة فى دفع الجمـــال والتى كانت تستعملها كل قبيلة باسلوب خاص ومميز •

وعلل ذلك بقوله أنه لو استخدمت قبيلة حرفا واحـــد فانه سيكون من السهل على قبيلة أخرى التعرف عليه ومعرفة استخدامه وكشف النقاب عن أية سرية كانت تحيط به •

وأرجـــع مصـــدر فى « مـــازارا » شرقى « حَجَرْ » «Hajar» استخدام الرموز إلى الاحتكاك الحناوى ـــ الجعفرى القـــديم • ومـــع ذلك فان سكان « المطاطلة » ، وهى قرية نصف بدوية فى « وادى بنى عوف » بولاية الرستاق ، الذين لم يكن بامكانهم منذ سنوات الرحيل فى أمان إلى الرستاق الا فى وضح النهار وفى جماعات مدججة بالسلاح ما لم يسمعوا مطلقا عن الرموز •

ومع أنه كان هناك احتكاك شـــديد فى المنطقة • إلا أن المجتمعات

المتعادية كانت تعيش منعزلة فى قرى صغيرة • وهناك وضع من هذا القبيل فى « وادى تيوى » وجبل بنى جابر حيث لم يتم العثور على أية رموز •

ومن المقومات الهامة لظهور الرموز هو على ما يبدو ، حـــد قبلى داخل نفس القرية ذات المجتمع الكبير إلى حد يجعل الأمن معرضا للخطر لو سمعت المحادثات عن النوايا القبلية •

وهناك مثل هذا الوضع فى المدن الكبيرة وعلى طول ساحل « الباطنة » حيث أنه وان كانت الحدوذ القبلية لا توجــد داخل مجموعـــات المنازل والمناطق المزروعة بأشجار النخيل والمساكن الموسمية . فأنه يوجـــد بينها حزام دائم بين الحدود القبلية •

ومع ذلكتحدث شيخ بنى على العظيم عن «كيف أن كثيرا من الناس فى « يانقول » كانوا منذ سنوات قليلة فقط يتحدثون بالرموز العامية ، ومع ذلك لم يكن هناك حـــدود قبلية داخلية •• لقد كانت الرموز تستخدم فى أماكن آخرى مثل ســـوق « عبرى » «Ibri» أو فى « بانقول » نفسها حينما كان الأجانب يزورون المدينـــة •

وبالاضافة إلى الوظيفة الآنفه الذكر فى الصراع القبلى هناك بعض الأدلة التى توحى بآن الرمـــوز العامية كانت يستخدمها مواطنون أصلهم « خـــدم » أو عبيد . حيث كانوا يعيشون فى مجتمعات أكبر بالقرب من قبائلهم الأساسية •

وهذا يوحى بأن الرموز قد تطورت نتيجة للانقسام العربى بين السادة والعبيد • ويقال ان سكان الحزم «AL - Hazm» بالقرب من الرستاق يعرفون الرموز ولكن نوع الرموز العامية التى يستخدمونها لم يتم التعرف عليها •

أما المجتمعات غير العربية التى يبدو أنها خالية من الانقسامات القبلية

الداخلية فانها تستخدم لغتها الخاصة لأداء نفس الوظيفة مثل تلك الخاصة بلغات الرموز فى المجتمع المختلط • لقد أكد ذلك مواطن عمانى بالوشى ذو نفوذ من — صور «Sur» عاشت أسرته فى عمان لأجيال طويلة •

وتحدث عن استعمال لغة اسرته « البالوشية » لتوصيل التعليمات إلى من هم فى داخل البيت • أمام الضيوف غير الناطقين بالبالوشية ، ولما كان ملماً الماماً تاماً باللغات الرمزية المستخدمة فى العربية أكد أنه ليست ثمة وسيلة أخرى تستخدم فى بالوشى •

ولذلك يبدو أن هناك اتجاهين متناقضين فى استخدام لغة الرموز ، ولم تبق سوى فئة من السكان المتقدمين فى السن الذين لم يعودوا يشعرون بحاجة لاستخدامها بعد أن أصبحت البلاد تتمتع بالسلم والاستقرار الداخليين •

وهناك عدد متزايد من فئة الشباب من السكان الذين يستخدمونها لأسباب أقل أهمية فى بيئة تفسح المجال لاتصال اجتماعى واسع النطاق عن طريق المدارس والقوات المسلحة والأندية الرياضية •

والسهولة التى يتعلم بها الصغار التخاطب والاتصال بهذه الرموز قد لا تكون متصلة بقدرتهم على تعلم اللغات بصفة عامة •

ويبدو أن وظيفة الرموز الأدبية مشابهة ؛ لكن نظراً لأنها أكثر تعقيداً وتقدماً فان استخدامها أقل انتشارا • وليس هناك دليل ذو بال على أى استخدام حالى لها •• ويبدو أن الالمام بها أصبح مقصوراً على الأجيال الأكبر سنا المتعلمة منها أو الأمية •

ونحن لم نصادف متحدثا ذرب اللسان بهذه الرموز • وهناك مصادر توعز ذلك إلى الصراع الحناوى — الجعفرى القديم حيث كانت الاتصالات السرية تتم فى وسط الجماعات المختلطة •

ويبدو ان كلا الجانبين كان يستخدم نفس الرموز لكن الأطراف المعنية كان لابد أن تكون متأكدة من أن الآخرين فى جماعتهم لا يجيدون نفس الرمز • فبنى « اخزام » الذين انحازوا فى المـاضى إلى بنى « بَـطَـش° » لم يستخدموا مطلقا (دارساى) وهــو رمز أدبى معقــد رغم ان بنى « عربه » كانوا يستخدمونه ••

وكانت كل من القبيلتين تعرف « ريحانى » «Rayhani» وهــو رمز أدبى بسيط جدا • وقيل أيضا ان اثنين من الرموز الأدبية كانا يستخدمان إلى وقت غير بعيد فى المراسلات الرسمية بما فى ذلك اشارات المرور !! على أن الأجهزة المتقدمة قد قضت على هذه الحاجــة •

ان معرفة القراءة والكتابة فى عمان أمر هام لمكانة الانسان ووضعه الاجتماعى • ومن بين الناس الأميين الذين يعرفون الرموز الأدبية يخرج الانسان بانطباع مميز بأنهم يعتبرون حفظهم لهذه الرموز على أنه دليل على أنهم رجال متعلمون •

الرموز العامية :

ان الغرض من الرموز العامية هــو ادخال أصــوات داخل الكلمة المنطوقة تجعلها غير مفهومة تماما للأجنبى • ويحتفظ أكثر الناطقين طلاقة بنفس معدل المعرفة ويضعمون الأصوات الرمزية فى الكلام حتى يكــون الصــوت الناتج وكأنه لغة سريعة جــدا •

وهناك أربعة أنواع من الرمــوز العامية • النوع الأول يتكون من إدخال حرف ساكن أو مجموعة حروف ساكنة يسبقها حرف متحرك تصير بعد كل من الحروف الساكنة الأصلية فى كلمة مع استبعاد الحــرف الساكن الأخــير •

فمثلا يصبح نطق كلمة كتاب فى رمــز حرف الــ « ج » هكــذا

« كيجيتيجاب » ويجرى سحب التركيز من المقطع الثانى للكلمة الأصلية فى حين يصبح التركيز على حركة النطق النهائية ثانوياً • ويعتبر إدخـــال مثل هـــذا الرمز الساكن كافيا لحجب كلمة من مقطعين أو أكثر •

ولكن لا يعتبر إدخال رمز واجـــد ساكن فى كلمة من مقطع واحـــد كافيا لحجب الكلمات • ولذلك يتم ادخال حرف ساكن آخر — ل — إلى الكلمة « مثلا » كلمة « باب » تصبح « بيلاب » وتصبح « بيجيليجاب » ويكون التأكيد هنا على المقطع الثانى • ولكن هذا الابتكار لم نجده بين الناطقين بالرموز الأقل طلاقة فى « نزوى » •

وإلى جانب ذلك لا تجزأ مجمـــوعات الحروف الساكنة أو حروف التشديد (مثل لل وند •• الخ) فى العادة بهذا الادخال •

ومن أمثلة تحويل الكلمات إلى رموز بما فى ذلك مجموعات الحروف الساكنة (لل وندويد) هى :

عبد الله		أجو بد يجو لليجه	
هنداروت	Hindarut	هيجندرجوث	Hindigarigot

ولكن ناطقا بالفارسية يعمد إلى تجزئة أو قطع مجموعة من « م » فى اسمـــو — أى تصبح ايساجاماجو • وتكون هناك بعض الشواذ أحيانا وذلك حين يكون حرفا جذريا ساكنا (مشابها) الرمز الحرف الساكن •

مثلا كلمة « مايجور » الكلمة العامية لكلمة ميجور بالانجليزية تصبح ميجايديجور •• وذلك باستبدال حرف الج من الجذر بحرف الـ • د ليمكن تمييزها عن حرف الجيم • وبأسلوب يختلف قليلا تصبح كلمة دجـــاج « ديجيجيجاجيجا » وليس ديجيجاج •

ويتيح المقطع « ايجا » المزيد من « الحجب » حيث يكون الحرف الرمزى هـو نفسه مثل اثنين من الحروف الساكنة الجذرية • ومن ناحية أخرى فان كلمة « عزيزى » فى الرمز « ز » تصبح « عزيليزيزيزى » •

ويبدو ان هناك أمثلة تشذ عن القاعدة فى تكوين بعض الكلمات الشائعة التى تكون عريبة عن كل مجتمع • وهى بصفة عامة تعتبر تعديلات محلية تتمشى مع مشاكل النشاز الصـوتى كما هـو الحال بين الكلمة الأساسية والحروف الساكنة الرمزية •

فمثلا تصبح كلمة فنجان (فنجانيجان) وليست « فيجيجنجيان » ولقد أتاحت كثرة الاستعمال ، لهجة عامية من الرموز لتنمو باسلوب شاذ يفهمه كل طرف من الأطراف • وقد يكـون ذلك مشابها لتطور العامية فى أى لغة تقليدية •

ان حروف العطف ذات المقطع الواحـد مثل الواو لا تظهر دائمـا بشكل رموز • مع أنها تضاعفت فى « نزوى » ثم تحولت إلى رمـوز • فمثلا تصبح الواو ــ واوا •• وبالرمز تصبح (واكاواكا) وتصبح حرف الفا « فاكافاكا » •

ان الأحرف الرمزية الساكنة الفردية التى أمكن تمييزها حتى الآن هى : ج • ف • ز • س • د • • ك • و • ل • مـع أنـه يمكن استخدام أى حرف • ان الفارسية تستخدم فقط حرف « ح » و « ف » و « ز » فى قرى (ريبامى بالجبل الأخضر فقط • أما « بنى على » فى «بانقول » فإنهم يستخدمون حرف « س » •

وفى «نزوى» فان هناك حرفين شائعى الاستخدام وهما «ك» و «س»• وذكر مصـدر هام جـدا ان درجـة السرية التى تحقق أكثر اعتمادا على

السرعة التى يحققها المتكلم منها على الحرف الفعلى المستخدم فى تحويل الكلام إلى رمـــوز •

ولعل هذا من الأسباب فى أن بعض الحروف أكثر شيوعا من غيرها •

وقد وجدنا فى « نزوى » ان حرفى « ت ر » الساكنين يستخدمان بنفس الطريقة التى تستخدم فيها الحروف الساكنة كلا على حـــدة •

وفيما يلى امثلة اخرى مشتقة من محادثات حقيقية

الكلمة الاصلية	الرمز بحرف « ج »	الرمز بحرف « ز »	الرمز بحرف « ف »	الرمز بحرف « ك »	الرمز بحرفى « ت » ، « ر »
انـــا	أجنيجـــا	ازنيزا	افينينا	اكينبكـــا	اترينيترا
انت	اجينتيجا	ازينتزا	افينيتفـــا	اكيسكير	
هـــو	هيجوويجا	هيزوويزا	هيوويفـــا	ايليكـــا	
نحن	نيجاهنيجا	نيزاهينزا	نيفاهنيفا		
أنتم	اجنيبجوم	زينيتكزم	افينبتفوم		
واحـــد	واجاهيجيدا				
ثـــلاثة	ثاحليجاثيجة				
خمســـة	خاجامسيجة				
حـــالى		هيزليزى			
حاللك		هازالازاك			
اســـير					
الى					

الكلمة الأصلية	الرمز بحرف « ح »	الرمز بحرف « ى »	الرمز بحرف « ز »	الرمز بحرف « ك »	الرمز بحرفى « ت » ، « ر »
بــلادى				بيلكاديكى	بليلتراديترى
علوم				علكيوم	ليتروم
علــى				عكالكى	اتراليترى
روحنـــــا					ويتروحنيترا
مطــرح				ماكاترا كاح	ماترانيتراح
اهـــل				اكامس	اترامص
حــين				هاكاين	حاتراين
تـــو				تيكـــاو	تيتراو

وهناك نظام مماثل فى تركيا بالقرب من ساحل البحر الأسـود يسمى « كوسديلى » ـ لسان العصافير ـ يدخل فيه حرف الرمز الساكن « ج » وهو مجرد لعبة يلعبها الأطفال ولا توعز إليه وظيفة جـادة أخرى ٠

والنمط الثانى من الرمـوز العامية يتضمن اضافة حروف فى البداية وفى الوسط وفى نهايتها لمجموعة عناصر بها أكثر من مقطع وتتضمن بعضها تغييرات فى الحروف المتحركة فى الكلمة الأصلية ٠

وكان هناك متحدثان يجيدان كلا من الرمز بحرف « ك » مضافا إليه تغيير الحرف المتحرك واضافة للرمز الوسط بأربعة مقاطع ٠٠ وهما يفضلان الأسلوب السابق لأنه أقل تعقيدا وأكثر فاعلية فى التستر ٠

وقد وجـد النوع الأول من هذين الأسلوبين فى (وادى تعيين) ـ «Wadi Tain» وهو يدخل حرفا متحركا قصيرا وكافاً إلى المقطع الأخير من الكلمة ٠٠ وغالباً ما يسبقه بحرف « أ » ذات المدة القصيرة ٠

أما فى الكلمات ذات المقطع الواحـد فإن حرف الكاف يوضع بين الحرفين الساكنين ٠ اما الحرف المتحرك الذى يعقب الحرف الساكن الأول فانه يقصر ويوضع فى أول هذا الحرف الساكن ٠

وفيما يلى بعض الأمثلة :

سجل ــ سيجيكال	
راس ــ اروكاس	حمام ــ سميكال
	كوب ــ اكوكاب
باب ــ أبوكاب	راديو ــ اريديكيو
جدار ــ اجيديكار	يد ــ ايادكيو
سعيد ــ اساعيكيو	اجلس ــ اجليجكاس
سنين ــ امينيكين	
على ــ اليكيلى	
روح ــ اروكاح	
سيف ــ سوكاف	
دروب ــ اداريكاب	

وهناك رمز مشابه لهذا فى « صور » «Sur» .

ان الرمز الثانى من هذين الرمزين يضيف مقطعاً صعبا إلى نهاية كل كلمة ولكل من حوالى نصف الكلمات الرمزية مقطع فى بدايتها وهو « ما » . لكن ليس هناك قاعدة لتطبيقها . وهناك بعض التغييرات الصوتية الغامضة فى معظم الكلمات مبالغة فى التستر .

وعندما يضاف حرف « م » فى البداية يصبح التأكيد عادة علــى المقطع الثانى الذى يلى حرف الميم ويبقى التشديد على المقطع الأول كما هــو بلا تغيير .

وفيما يلى بعض الأمثلة :

سمره ــ ماسيمرا هدارسوس
شنطة ــ شنطا هداروسوس
نعجتله ــ نعتلادارسوس
على ــ ماليدارسوس
راس ــ ماراسادارسوس
حمار ــ ماهاردارسوس
رجل ــ ماراجولادارسوس

براق ــ بورايكادارسوس

والجدير بالتسجيل ان « دارسوس » أهم اسم بديل لرمز أدبى « دارساى » عند الشرقيين فى الجبل الأخضر • ويمكن القول أن هنــاك طالباً أصيب بالملل ذات مرة نتيجة للرموز المعقدة الأخيرة فما كان منه الا أن تخلى عن محاولة تعلمها وبدلا من ذلك استخدم الاسم فى رموز عامية أكثر بساطة •

وفى بلاد بنى بوحسن وجبلاء لم نواجه أى رمــوز حرفيــة مفردة وان كان الناس هناك يستخــدمون مقطع دارســوس قبل الكلمة بدون ان يسبقها حرف (م) ــ والبعض يستخدمون مقطع دارايس فى آخــر الكلمة • وأجريت بعض التغييرات فى الحروف المتحركة فى بعض الكلمات مع ان القواعد التى تحكم ذلك غير واضحة فى المــادة المتاحة •

وثمة نوع رمزى ثالث يضيف مقطع « اكا » فى نهاية الكلمة ، وتجرى بعض التغييرات فى الحروف المتحركة فى بعض الكلمات •

وقــد اختزلت حروف المقطع الذى يوضع فى نهاية الكلمة الى حرف « أ » الصوتى أو حرف « هـ » • وضوعفت حروف العطف القصيرة وتحولت إلى رمز لمضاعفة حروف النهاية •

فمثلا الواو تصبح ووكاكا ، وهناك رمز آخر من منطقة العاصمة يتضمن ادخال مقطع « انتناى » ووضعها بين الحرفين الساكنين الثانى والثالث أو بين الحرفين الساكنين فى الكلمات ذات المقطع الواحد •

فى كتاب الأسقف ادوارد ستير « اللغة السواحلية » الطبعة الرابعة ومراجعة ا • ب • هواليير ، لندن مطبعة سلدوم يقدم فى الملحق الأول لغتين رمزيتين ، فى الأول يقدم مقطع كينيوم ويجرى فيه وضع الحروف الساكنة أو مجموعات الحروف الساكنة فى نظام عكسى ويعاد تقديم الحروف المتحركة بينها فى نظم عكسى آخر •

ومن المهم ان نلاحظ ان مجموعات الحروف الساكنة لا تجزأ ، كما هو الحال فى الرموز العمانية ذات الحرف الواحد •

وتنقسم كل كلمة فى النوع الثانى إلى مقاطع منفصلة وكل مقطع يضاف فى نهايته لفظ مكون من أحرف بحيث ينطق (كيرى) • ان اسم كيلابى يوعز إلى هذا الرمز ، اما العلاقة الطويلة بين عمان وشرق أفريقيا فتحمل المرء على الاعتقاد بأن لغاتهم الرمزية لها أصل مشترك من حيث المفهوم الأساسى والوظيفة على الأقل •

والمعروف عن اللغات الرمزية فى عمان أنها تستخدمها تلك القبائل التى هاجر منها أعداد كبيرة فى الماضى إلى شرق أفريقيا •

النوع الثالث من الرموز العامية يعرف باسم الظرف مقلوب • «Zarf maqlub» ، يتضمن عكساً مباشراً للحروف الساكنة والمتحركة فمثلا كلمة سليم تصبح سيلاس •

ان هذا النظام مطابق لنظام الرموز المعروف بـ « كينيوم » المشار إليه فى الفقرة السابقة ولم يعرف عن أحد يستعمله حتى الآن سوى

بنى رياح فى « سايل » بوادى تعيين «Wadi Tain» • ولا يملك الانسان الا الاحســـاس بأن اسم « كيلابى » فى الرموز السواحيلية الثانيـــة قد يعــود إلى نظام « كينيوم » المقاوس فى عمان • ولم تواجه أى ناطق طليق اللسان بنظام الظرف المقلوب «Zarf Maqlub» •

ويتضمن النوع الرابع من الرمــوز العامية استبدالا تاما للكلمات بكلمات أخرى بأسلوب من شأنه أن يجعل الجملـــة الجديدة تعطى معنى واضحا يختلف عن المعنى المقصود توصيله • ولا يمكن تغيير الا الأسماء أو الأفعال الرئيسية •

وذكر مصدر هام للغاية ان هذا النوع هــو الشائع عند المواطنين الذين كان اسلافهم من العبيد أو الخدم •• وخاصـــة فى أيام ما قبل عتقهم • ولم تجمع أمثلة على ذلك حتى الآن وان كان من المتوقع أنه مازال هناك اناس يعرفونها •

الرمــوز الأدبية :

تتبع هذه الرموز مبدأ استبدال الكلمة أو الأحرف تبعا للمفاتيح المختلفة وتوجــد تحت أسماء رايحانى وبيشارى والجمل (أبجــد) «Abigad» ودارساى •

وقد اطلقت عليها الرموز الأدبية بمعنى « المكتوبة » •• لكن اللغـــة المكتوبة ليست بالضرورة اللغة العربية الأدبية •• وليس كل من يستخدمها قادرا على كتابة الحروف العربية المستخدمة •

ويسود الاعتقاد ان « الجمل » فقط هى التى تستخدم فى الكتابة • أمـــا ما هو دون ذلك فيستخدم فى المخاطبة •

ان الرموز الريحانية تستبدل كل حرف من حروف الأبجدية الـــ ٢٩

بكلمة ••• والكلمات المستخدمة فى كل منطقة هى نفسها مع بعض الفروق الاقليمية وفروق فى القواعـد أو فى النطق وان كانت تختلف فى كلمة أو كلمتين • وتبدأ أغلب الكلمات بالحرف الساكن الذى تمثله •

ان بعض الكلمات تنتمى إلى عمان فقط وهـذا يوحى بأن الرمز محلى بالنسبة لهذا البلد • ان الكلمات الرمزية ترتبط بكلمات «حشو» بسيطة ••• ومثلا أريد سلم ، تصبح « أريد سمكا » ورجل « ولبن » و « مدينة » ويمكن أن تنطق هذه على النحو التالى : اريد ان تحضر لى بعض السمك •

ان الحـرف الاضـافى فى الأبجديدية هو « اللام ألف » وهـو يمثل رجلا •

والألف تمثلها رجل وهو الحرف الوحيد الآخر فى الريحانى الذى لا يمثله كلمة تبدأ بالحرف الذى تدل عليه •

المفتاح الريحانى كما يلى :

الحرف الأصلى (ا • ب • ت • ث • ج • ح)
البديل الرمزى رجل يصل تمور ثياب جامد حديد
البدايـل جلود

الحرف الأصلى خ د ذ ر ز
البديل الرمزى خشب دواب ذهب ريحان زجاج
البديـل ريحانه زجاجه

الحرف الأصلى س ش ص ض
البديل الرمزى سمك شارع صفر ضفدعة
البدائل سمك

الحرف الأصلى	ط	ظ	ع	غ	ف	ق
البديل الرمزى	طيور	ظمى	عطور	غنام	فواكه	قرية
البدائل		ظفر				فرى
						قارى

الحرف الأصلى	ك	ل	م	ن	و
البديل الرمزى	كتاب	لبن	مدينة	نجم	وحش
البدائل	كتب		مدن		وحشه

الحرف الأصلى	ه	لا	ى
البديل الرمزى	هوامش	رجلان	ياقوت
البدائل			ياقوته

ويبلغ عدد الحروف الرمزية فى اللهجة الحشارية ٢٨ حرفا رمزيا يستبدل فيها حرف فى كلمة باسم شخص مذكر أو مؤنث وتوضع الكلمات الاضافية بين الأسماء ليكون هناك تمويه ، وممكن تسهيل تدفق الكلمات •

ولكن ليس هناك مفردات من الأسماء لكل حرف • فالرجل الذى يريد مقعدا سيقول أريد ابن الرشيد وسليم بن يحيى بدلا من ان يقول بوضوح أريد كرسيا •

ويتبين ان كلمتى « ابن » وواو العطف كلمات تستخدم للحشو فقط • ان اسم بشارى هو من نفس أصل كلمة بشر •• حيث يجرى استخدام أسماء أشخاص •

وفى عمان تعتبر الأبجدية « الأب » للرموز الأدبية •• لأنها تعتبر على المستوى الشعبى مصدر كل المعرفة ومنها الدين وعلم التنجيم • وتعرف فى الدوائر الأدبية بشكل أفضل •• أنها الأبجدية • والأبجدية السامية الأصلية وضعت حسب هذا الترتيب :

ولأغراض الرمزية (أيضا لمشتقات التنجيم) وضع التسلسل الأسفل وتم تجميعه تبعاً لفن التذكر بالحروف الأولى للكلمات ووضعت له مرادفات عـددية •

وتسمى كرمز فى عمان (الجمـل) «Algumal» :

(أ) التذكر بالحروف الأولى — أبجد هوز حطى كلمن سعفص قرشت •

(ب) الحرف — الجمل (صغير) ا • ب • ج • د • هـ • و • ز • ح •ط•ى

المرادف العددى	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠
الحرف (الجمل الكبير)	ك	ل	م	ن	س	ع	ف	ص	ق	
المرادف العادى	٢٠	٣٠	٤٠	٥٠	٦٠	٧٠	٨٠	٩٠	١٠٠	
حرف (الجمل الكبير)	ر	ش	ت	ث	خ	ذ	د	ظ	غ	
المرادف العددى	٢٠٠	٣٠٠	٤٠٠	٥٠٠	٦٠٠	٧٠٠	٨٠٠	٩٠٠	١٠٠٠	

حرف (الجُمل الكبير) :

فى المراسلات المكتوبة مثل (صيف منصور يشتغل فى المطلوب) • تكتب مباشرة فى أرقام كما يلى :

٩٠ ١٠ ٨٠ ٤٠ ٥٠ ٩٠ ٦ ٢٠٠ ١٠ ٣٠٠ ٤٠٠ ١٠٠٠ ٣٠ ٨٠ ١ ٣٠ ٤٠
٢٩ ١ ٢٠٠

ان نفس الرسالة يضاف اليها فى المخاطبة كلمات « حشو » كما يلى :
٦٠ فى ١٠ و ٨٠ يسحبون ٤٠ و ٥٠ فى ٩٠ الخ •

أما دارساى ــ «Darsai» فانها اعادة ترتيب للأبجدية العربية بمفتاح التذكر الخاص بها ، وهناك ٢٨ حرفا ــ اللام ألف (لا) تستخدم كحرف لكن حرف (د) لا وجود له • ولأن الرمز يتضمن تبادل الحروف المزدوجة فلا يمكن ان يكون هناك عدد فردى من الحروف فى المفتاح •

لذلك فان من المهم ان مخترعى الدارساى • استخدموا اللام ألف وفضلوها على حرف « د » • وقد تبين بالفعل ان الريحانى يستخدم اللام ألف كحرف •

وهناك تفسير محتمل لذلك فى كتاب ا • س • ج جاياكار (لهجة عمان العربية) ، جريدة الجمعية الآسيوية الملكية ، السلسلة الجديدة ــ المجلد ٢١ ، ١٨٨٩ ، المقال التاسع • لندن ، (و • ه • الا ن وشركاه) • فى صفحة ــ ٦٥٢ من الكتاب يقول ان حرفى « ذ » و « د » يضغمان معا بصفة عامة •• مع اتجاه لاستخدام « ذ » •

وليست « ز » حتى فى الكلمات ذات الاستخدام المعمول به وان كان البديل العكس يحدث أيضا • ان « الدارساى » كما ترى معظم المصادر تستخدم فى الحديث وليس فى الكتابة ••

ولم يذكر سوى مصدر واحد ان حرف « ذ » هو الحرف المفقود • وقد لا يكون هناك فرق بين الحرفين حين استخدمت رموز الدارساى فى الأصل •

ان الالتباس المشترك بين الحرفين جعل التمييز بينهما أمرا غير هام ، ولذلك فان هناك حاجة إلى اجراء تحقيقات أخرى حول هذه المسألة • ولقد أطلق اسم بديل وهو « دارسوس » على الدارساى كما جاء آنفا •

يجرى اعداد الرموز باستبدال الحرف الأصلى وذلك بمضاعفة

الحرف • ويبدو أن الحروف المتحركة الطويلة تعامل مثل الحروف الساكنة التى تدل عليها • يستخلص الجدول الآتى الأبجدية من حروفها ويعطى المرادف الرمزى :

الدوجراف حرفان متحركان معا — أو الحرف الأصلى :

المرادف الرمزى	كم حط عو ص لع ل ه
	مك طح و ع لع ص ه ل
الحرف الأصلى	ل ه د ر س ع ب ز ت ذ ن ق
المرادف الرمزى	هل رد عس زب عت ق ن
الحرف الأصلى	ف ى ج ث خ ش غ ز
المرادف الرمزى	ى ف ث ج س خ ز ع

وقد يلاحظ ان التذكير «Mnemanic» يتضمن حرف نون مشدد لكنه يمثل نونا واحدة • تصبح كلمة سمك بالرمز (سين ميم كاف) وتصبح عكق وتنطق عاكاق • ويبدو أنه ليس هناك قاعدة خاصة لاعادة ادخال الحروف المتحركة القصيرة • ويبذل المتكلم أقصى ما يستطيع لينطق كلمة جديدة •

وقد طرح مصدر (من بنى عربة بوادى التعيين) سؤالا لاجراء اتصال برموز الدارساى وهو : هل آخذها •• لا ؟

ويبدو ان دارساى ليست لها علاقة بعلم التنجيم وان كان هناك ما يدل على أنها ترتبط بالطقوس القبلية • ويقال أنها تستخدم حتى اليوم

فى بعض الرقصات القبلية فى شرق اقليم الحجار • ويقال أيضا أن المحوى — The Mahawi — الذى يقوم بتنسيق حركات صفى الراقصين المتقابلين يستخدم الدارساى لتوصيل تعليماته اليهم •

ويقال ان كلمات بعض الأغانى قد صيغت بالدارساى • اما وان كان هذا الرمز يستخدم على هـذا النحـو ، فهو أمر محتمل ومفهوم اذا كانت القبيلة سببا أساسيا فى انتشار الرموز واستخدامها •

ولكن لم يتأكد بعد ما اذا كانت الدارساى هى الرمز المستخـدم • ولقد ذكرت مصادر شبه رسمية موثوق بها أن الدارساى تسـتخدم فى الحديث فقط ولا تكتب عـادة ••• وان كانت مصادر أخرى ترى أنها صعبة جدا فى الحديث ويمكن ان تستخدم فى الكتابة فقط •

ويقال ان نظاما لاستبدال مباشر للكلمات قـد استخـدم فى الكتب المكتوبة باليد للاحتفاظ بسريتها بين عائلات أو مجتمعات معينة •

وفيما يلى بعض الأمثلة :

الأصـل	البديـل
خلفل أسـود	زنجى
فلفل أبيض	رومى
زئبـق	فـرار

النتائج :

ان اللغات الرمزية فى عمان تبدو ، على أساس الدليل المحدود الذى تم الحصول عليه حتى الآن ، انها لعبت دورا هاما فى تاريخ منطقة مـن البلاد كانت تمزقها الصراعات القبلية فى المـاضى بين مجتمعات لها لغـة مشتركة واحـدة وأصل عرقى واحـد •

أما فى البلاد الأخرى فقد ازداد الصراع وسـوء الفهم توترا نتيجة للاختلافات فى لغـة الاتصال ، ومن بعض المتناقضات فى عمـان ان الناس حاولوا فعلا منذ زمن بعيد ان يوجدوا نوعا من الخلاف فى اللغـة الذى لابد ان يسـاعد على استمرار الخلافات القبلية وتعميقها •

وليس فى الامكان تحديد مـدى استخدام اللغات الرمزية فى الماضى حين كان لها وظيفة جـادة لم تكن كذلك خـلال حياة الناس الذين هم على قيد الحياة اليوم وذلك بدون تحقيق جاد واسع النطاق •

والمرجـو ان يساعد هـذا البحث على تسجيل اللغات الرمزية فى سجلات دائمـة ويكون حافزا على المزيد من البحث • ان انشـاء أرشيف من أشرطة التسجيل للمتحدثين طليقى اللسان فى مختلف أنحاء عمان أمر قيم للغاية قبل أن يفوت الأوان •

ولعله لم يعد ممكنا بالفعل ان نجـد متحدثا ذرب اللسان برمـوز الدارساى أو الريجانى •

اننى أود أن أعرب عن عظيم امتنانى لصاحب السعادة السيد محمد بن أحمـد المستشار الخاص لصاحب الجلالة السلطان للشئون التاريخيـة والدينيـة وللعمانيين الآخرين الذين لم يبخلوا على بوقتهم وتحملهم لأسئلة لا تنتهى •• التى لم يكن بعضها غير مثير للحـرج والارتباك حتى يمكن تسجيل الرمـوز •

وأود أيضا أن أعبر عن شكرى للبروفيسور توم جونستون الأستاذ بمعهد الدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن الذى شـجعنى على كتابة هذا البحث وقرأه فيما بعد وقدم لى المساعدة بالنقد والاقتراحات •

د • ه • انسال

أغسطس سنة ١٩٨٠

١ ــ ان كتابة نقل حروف اللغة العربية بأحرف لاتينية يجرى على العموم طبقا للنظام الوارد فى الصفحة الثامنة من دراسات ذى جورنال أوف عمان المجلــد الثالث الجزء الأول الصادر فى عام ١٩٧٧ وقد استخدم حرف ج بدلا من ج (المعطشة) بينما استخدمت الجيم فى الكلام العامى فى اللغات الرمزية •

٢ ــ ونقلت أسماء الأماكن طبقا لهجاء الحروف العربية فى وزارة الداخلية دليل الولايات فى عمان فيما عــدا اسم أو اثنين من أسماء المــدن الكبرى تمت تهجيتها حسب اللهجة الشائعة •

٣ ــ تشمل المفردات عددا من الكلمات العامية أو أشكالا من أصل عربى وتم نقلها إلى الحروف اللاتينية تبعا لذلك •

اللغات الرمزية فى عمان

الرموز الأدبية

- ابجد (الجمل) تكون مكتوبة فى اغلب الأحيان الا انها احيانا تنطق اعتمادا على مرادفات عددية
- دار ساعاح معظم الأحيان تنطق ويمكن أن تكتب ايضا (تنائيات مقلوبة من ابجدية مرتبة) رموز استبدال لكلمات (مكتوبة فى كتب قديمة معينة)
- بيشارى (اسماء الناس)
- ريحانى (اسماء الأشياء تنطق فقط)

الرموز العامية

- انقلاب كلى فى الكلمة (ظرف مقلوب)
- تنطق فقط
  الحروف الساكنة المختلطة والحروف المتحركة تغير الرموز واضافة اكثر من مقطع فى اول الكلمة او وسطها او فى نهايتها للرموز مثل (دارسوس واند يرمى انتاى ..... الخ) (تسمى بشكل متنوع لهجة ـ لهجية)
- رموز بالحرف المتحرك الواحد أو بمجموعة ح . ف . ز س د ك ت ل الخ و ش تسمى لهجة فارسية ودازسية . استبدل كلى للكلمة بالرموز (تنطق فى بعض المجتمعات)

لغات اصلية او مستوردة تستخدم كرموز عامية (مثل : بالوشى وهارسوس وشاهى جيبا لى الخ)

دراسة لشعر البطاحرة وأغانيهم

مسز. م. موريس

Some Preliminary Remarks on a Collection of Poems and Songs of Batahro

Mrs. M. Morris

دراسة لشعر البطاحرة

إن هذا المقال خلاصة لدراسة تمهيدية لمجموعة من أشعار وأغانى البطاحرة التى سجلتها أثناء أربع سنوات قضيتها فى العمل فى ظفار (١٩٧٦ — ١٩٨٠) •

والأسلوب العادى المتبع فى عملية الجمع هو تسجيل قطعة على شريط تسجيل صغير ثم ترجمة النص فيما بعد مع أحد العارفين •

ان هذا الأسلوب العشوائى للتسجيل — حينما يكون ذلك مرهونا بالرغبة فى الغناء أو العزوف عنه من جانب المغنى ، وقد كنت سعيد الحظ لأنه كان معى جهاز تسجيل قد نتج عنه تسجيل عدة مواد مرات عديدة لحوالى خمس وثلاثين قطعة مختلفة الأطوال •

إن تكرار المادة قد حدا بى إلى أن أدرك كم كان ر • س • سارجنت على حق فى ملاحظته ان النصوص تتغير أثناء النقل والتحويل •

وأنه كثيرا ما يحدث أن اختلافات متباينة واسعة لنفس النص يمكن أن تتعايش فى مجتمع صغير نسبيا (ومنطقة محدودة جغرافيا) • وإلى جانب ذلك ، توضح كيف أن عددا محدودا من الأشعار والأغانى المحبوبة تكون ملتحمة التحاما قويا ، وأن بعض المقطوعات يحفظها كل الأشخاص على اختلاف أعمارهم •

وجدير بالذكر أن لغة البطاحرة كغيرها من اللغات هناك لا تكتب وانما يجرى حفظ جميع الأشعار والأغانى •

ان الرواة لهذه الأشعار والأغانى الموثوق بهم هم أعضاء القبيلة الأكبر سنا ، الذين يتمتعون بحرية تامة فى نقدهم لمحاولات الأعضاء

الصغار السن فى المجتمع ان يروا المقطوعات الشعرية والغنائية ويشرحوها ويفسروها .

ان عدم تأكد الشباب وغموضهم ازاء المعانى الصحية للكلمات ، أو الأحداث التى أدت إلى نظم هذه القصيدة أو تلك الأغنية بعينها تتعارض تعارضاً واضحاً مع ثقة الرواة الأكبر سنا حينما يتغلبون على ترددهم الأولى فى المشاركة فى هذا المضمار .

على أن الحد الأدنى من الكلمات العربية التى يلم بها بعض هؤلاء الرواة الكبار السن ، بالاضافة إلى مجموع الكلمات التى أعرفها من لغة البطاحرة ، يعنى فى الغالب توقف التقدم .

ومع ذلك ، فانه بتحقيق جمع مرغوب فيه بقدر ما يمكن بين راوٍ مسن وراوٍ صغير السن (يتكلم كلاهما العربية — بل لغة البطاحرة المعربة) ، فانه يتم بناء أساس مستمر الذى آمل بعد تحقيق مجموعة أكبر من نصوص الشعر المنشور أن أنشرها كاملة فى المستقبل .

والجدير بالملاحظة أنه مازالت هناك مجموعة من الرجال يعتبرون رواة مفيدين لم يستفيدوا بعد من الفرص التعليمية والذين تدور حياتهم كلية حول صيد السمك وفى البحار . وهم ينتمون إلى طبقة فقيرة من مجتمعهم . وهم بخلاف الشباب الأثرياء . قد ندرت رحلاتهم خارج عمان .

ولكن ، ليس هناك شك فى أن لغة البطاحرة فى حالة تقهقر مستمر أمام موجة اللغة العربية الكاسحة ، وان الصغار ، تحت تأثير تعليمهم المدرسى الحكومى فى المستوطنتين الرئيسيتين لدارهم القبلية (حيث يعتبرون تغيير وسيلة التعليم بالطبع هى اللغة العربية) ، كما يعتبرون العربية لغة الهيبة والكرامة .

وكما يعتبرون افتقارهم إلى الطلاقة فى هذه اللغة خطرا يتهدد جهودهم للتقدم فى عمان اليوم ، فى حين أن القلة القليلة منهم — وخاصة الذين اعتادوا الترحال من أعضاء المجتمع يتعاطفون مع لغتهم •

ولكن من الجدير بالملاحظة أن الأعضاء الذكور الكبار فى المجتمع — كما هو الحال مع الحراسيس إلى الشرق — يندر أن يكون من بينهم من يتحدث بلغة واحدة فقط ، نظرا لتاريخهم الطويل من الارتباط بالناطقين بالعربية فى المناطق الصحراوية • وخاصة منافسيهم العاملين فى صيد السمك بالعربية فى المناطق الصحراوية • وبخاصة منافسوهم العاملون فى صيد السمك على طول الساحل ، وهم الجنابيون (Jenaba) •

وإلى جانب ذلك كان أعضاء قبيلة الباهيرا مختلطين مع قبيلة المهرا (Mahra) البدوية فى الداخل كما كانوا تماما مع المهرا المستقرين فى مستوطنة الحسك (Hasik) الواقعة إلى الغرب •

ومن المهم القول انه فى حين ان البطاحرة الذين حاولت اجراء التجربة معهم يتمتعون ، على ما يبدو ، بكفاءة فهمهم للكلام المهرى المسجل (وبعضهم يتكلم هـذه اللغة بطلاقة) ، ونفس الشىء ينطبق على المهرة الذين حاولت معهم اجراء نفس التجربة •

وكان رد الفعل عندهم ، عند سماع الكلام البطاحرى (Bathari) المسجل ، على العموم ابداء احتقار للمحاولة (التى رأوا أنها غير ناجحة) للتكلم باللغة المهرية • وليس ثمة شك فى أن أسباب ذلك معقدة ، ولكنهـا على الأقل تقيم الدليل على أنهم أدركوا ان البطاحرة قريبة للغتهم (وهذا أمر أبدته الدراسات المقارنة) •

وإلى جانب ذلك كان أهل البطاحرة لهم معاملات مع سكان الجـزر الواقعة فى خليج « كوريا موريا » ، وهم يمتهنون حرفة صيد السمك •

وجدير بالذكر ان الناس فى كوريا موريا يتكلمون لهجــة الجبالى (Jibbali) ، وهم ينحدرون من عشائر الشحرة (Shahra) التى استقر بها المطاف فى هذه الجزر ، وخاصة من عشائر بيت حنسوت (Bait Hansot) وبيت ناصر (Bait Nazer) التى وفــدت من داخــل البــلاد ، من منطقة تقع بين الحسك والشوايمية (Ashwaymiyah) ٠٠٠٠ حيث يتحدث الأهالى بلهجة الجمالى التى تتحدث بها أيضا غالبية العناصر القبلية التى ترعى ابلها هناك وتعمل فى صيد السمك ٠

البطاحرة الآن ، قبيلة قوامها زهاء ٣٠٠ شخص يعيشون على طول المنطقة الساحلية لخليج كوريا موريا فى منطقة عمان الجنوبية ، وتمتــد منطقتهم إلى الداخل حتى جنوبى شليم (Sheleem) ٠

وهى منطقة ذات زروع ضئيلة ، وكانت (سابقا) ذات مياه قليلة . بخلاف البحيرات الضحلة التى تميز ساحل عمان ٠ ويدعى البطاحرة أنهم كانوا أصلا يحتلون منطقة أوسع بكثير ٠

وتقول الأساطير أن فقدانهم هذه الأرض مرتبط بذبح « ناقة صالح » على يد أسلافهم من البطاحرة (أو الشحرى) وقد نتج عن هذا الحــادث المنكر الشائن أن استثار غضب الله الذى منع عن دارهم القبلية المطر ٠

أما من نجا من اللعنة التى حلت بقبيلتهم التى كانت كثيرة العدد فقد ارتحلوا شروقا طلبا للرزق وهروبا من غضب الله ٠ وتتحدث روايات محلية أخرى من الساحل الذى يحتلونه الآن على أنه مكان مولدهم ، ويعترفون باعتمادهم على البحر :

« هنا فى البداية لم يخلق البطاحريون ، ولم يوجد أحد منهم ، جرى خلق رجل وامرأة واتفقا فيما بينهما على الزواج ٠ لم يكن لديهمــا

ملبس اللهم سوى « شعر » البحر الذى انجرف إلى الشاطىء ثم ، لفوه حولهم •

لم يكن لديهما ما يأكلانه سوى المحار ، ثم تناسل البطاحريون وتكاثروا حتى زاد عددهم ولم يكن هناك غيرهم فى البلاد : لقد وجدوا فى الصحراء وفى البرارى وعلى طول السواحل ••• ولم يكن غيرهم يعيش معهم •• لم يكن هناك سواهم » •

ومهما كانت الحقيقة التاريخية لهذه المسألة ، فانهم الآن محصورون داخل منطقة أصغر بكثير •

هناك أربع عشائر رئيسية للبطاحرة : اثنتان منهما كبيرتان وهما المعاطرة (Maatereh) والمحابصة (Mehabsah) واثنتان صغيرتان وهما المسرمة (Mesermeh) والمسعره (Masa'areh) • وتقع المستوطنتان الرئيسيتان للبطاحرة عند الطرفين المتقابلين لخليج كوريا موريا •

والمستوطنة التى تقع عند أقصى الغرب هى مستوطنة الشعرايمية والتى تقع عند أقصى الشرق هى الشربندات • ويوجد فى الأخيرة خليط من العناصر الجنابية ، وهى قريبة من الحد الاقليمى لقبيلة الجنابة الكبيرة فى سوفاره (Soghara) والجازير (AL Jaazir) •

هنا تعيش الغالبية العظمى من البطاحريين • ومازالوا يعتمدون إلى حد كبير على البحر فى رزقهم •• الاصطياد من الشواطىء أما بالشباك والحواجز ، ومن فوق الصخور بالشص ، أى « الخيط والسناره » ، أو السباحة فى البحر مع احتفاظ كل واحد بذراع من ذراعيه حول جلد ماعز منفوخ لنصب المصائد للسمك الكبير • وخاصة أنواع سمك القرش المختلفة ، التى مازالت زعانفه تمثل أهم الصادرات البحرية •

ويجرى اصطياد السلحفاة البحرية ، وأن كان ذلك يجرى عن طريق الصدفة ، ويمثل بيض الانثى من السلحفاة تغييراً يرحب به أهل المنطقة لطبق السمك اليومى • ويجرى كذلك الاصطياد بالرمى والطعان بالرمح ، وازداد عدد البنادق فى المنطقة مع نمــو الثروة •

وفى فصل الرياح الموسمية ، حينما يكون البحر هائجا بحيث ينحسر الصيد ، ينزح معظم أفراد القبيلة عن المنطقة إلى الداخل حيث يعمدون إلى إصلاح وتجديد مهمات وأدوات الصيد ، وتجفيف وتمليح محصولهم السابق من صيد البحر •

لقد كانت طريقة حياتهم فى المــاضى غير البعيد صعبة وشاقة للغاية ، وكانت المواد الغذائية مثل التمر والزبد والدقيق من الكماليات النادرة ، وكان غذاؤهم اليومى يتألف فى الغالب من السمك وزيت السمك والمحار من جميع الأنواع والسلحفاة البحرية التى يندر اصطيادها •

أما اليوم فالحياة أسهل بكثير ، فقد حفرت الآبار وتحمل الطائرات أسبوعيا المــواد الغذائية والمعونة الطبيعة (لأن الحياة الشاقة المــاضية قد خلقت مستوى منخفضاً من الصحة فى صفوف المجتمع كله) •

وإلى جانب ذلك تم تعبيد الطرق فى الشرق والغرب وأصبح ميسوراً الآن الانتقال والسفر بالعربات والسيارات والمراكب وأصبح الأهــالى يتقاضون مرتبات من الحكومة ، وافتتحت المدارس ، وجعل النقل بالثلاجات من الممكن نقل السمك الطازج إلى أســواق جديدة ، وسهل كذلك تسويق السمك المجفف والمملح التقليدى وذلك بفضل وسائل النقل المحسنة •

وقد حرص أعضاء القبيلة من الشباب على انتهاز الفرص الجديدة ، واشتد حماس الناس ، صغارا وكبارا ، بتحصيل العلم والدراســة بعــد ان أصبح التعليم رسمياً •

وقد عجل ذلك بحل اللغة والروابط القبلية الوثيقة السابقة بين صفوف البطاجرة التى شكلتها العزلة (الجغرافية واللغوية) والفقر •

ان الذين يشعرون بأسف لانقضاء الأيام السالفة قلة قليلة ، وحينما يقرأ المرء وصف لوريمر (Lorimer) لهـؤلاء الذين يعيشـون فى نفس المنطقة ، يجد وصفه لهم كما يلى :

« انهم فقراء جـداً بحيث لا يستطيعون بناء أكواخ •• هم يهاجمون الغرباء العزل ، ولا يخضعون لسيطرة أى انسان ، ويبدو انهم يقضـون حياتهم فى حالة شبه جـوع مزمنة •• انهم جد فقراء •• ويعيشون كلية على السمك •

وهم محرومون حتى من الملابس ، ويخرجون إلى البحر بعوامة من المـاعز أو الخراف •• وقد شوهـد حوالى عشرين رجـلا يدخلون البحر بهذه الطريقة ويعبرون مسافة تقدر بميلين » ••• انه حيثما نقرأ هـذا الوصف لا يسعنا إلا ان نرحب معهم برخائهم الجديد •

ان النسـاء ، وخاصـة فى الطرف الغربى من الـدار حيث نسبة التزاوج بين النساء والجنابيين الناطقين بالعربية ، قليلة ، يمارسن نفـوذا محافظا قويا ، ويغنين بأطفالهن ويتحدثن معهم باللغة البطاحرية أثناء قيامهن بتأدية أعمالهن المنزلية ، وهؤلاء الأطفال غالبا لا يسمعون حديثا باللغـة العربية إلا عند ذهابهم إلى المدرسـة •

ومع ذلك ، فإن غالبية الشباب هم الذين ينظمون الشعر باللغـة العربية لأنهم يفضلونها على البطاحرية (مع أن العربية التى تنظم بهـا الأشعار كثيرا ما تكون متأثرة جداً بالبطاحرية) •

أما اللغة البطاحرية، مثلها مثل الشاهراء، قد وصفت بأنها ذات مستوى

ضعيف ، مع ما تحمله هذه التسمية من قيود ضمنية ، على أن رجـال البطاحرة ، يوافقون بطبيعة الحال على هذا الوصف لوضعهم الاجتماعى ، وأسباب عدم حملهم السلاح ترجع إلى عزوفهم عن الحرب والقتال •

ولكننى سجلت قصصا من رواة ياثاريين تصف الصراعات والنزاعات بين أنصار البطاحرية وخصومها ، وكان يجرى تبادل اطلاق النار وطعنات السيوف • ومع ذلك فان من المهم ان نذكر أن جميع نصـوص هـذه القصص والروايات يلعب فيها الخيال جـزءا هاما فى انتصارات أبطال البطاحرة •

وان هذه الروايات تتحدث عن جنية بطاحرية مسلحة تستطيع بقدرتها السحرية الطيران مسافات طويلة وقوتها التى تجعل الرجال يفقدون جميع احساسهم بالقدرة على اختيار الاتجاه الذى يسيرون فيه سواء كان رجل البطاحرى مسلحاً بسيف أو مسدس •

ولكن هناك حكاية شائعة بين البطاحـرة تروى شراستهم عنـد استثارتهم ، وهـذا يتعلق — بالبرتغاليين — الذين نزلوا على الشاطىء من سفينة محطمة ، وبعد ذلك ببضعـة أيام أسـاءوا فهم كرم البطاحريين واستضافتهم اياهم ، إلى أن عيل صبر البطاحريين •

فبعد أن تمادى البرتغاليون ولم يستطع البطاحريون أن يتحملوا غطرستهم فجرت مذبحة عظيمة قتل فيها جميع البرتغاليين عن بكرة ابيهم بالرغم من تفوقهم بالسلاح والعدد ، وقد انسابت أنهار من الدماء •

على أننى اعتقد انه ليس من المستبعد أن تكون لهذه الحكاية بعض الحقيقة التاريخية • أو أنها على الأقل تعكس بعض ما تحويه الذاكرة عن تورط البرتغاليين على طول هذا الجزء من الساحل •

ومع ان البطاحرة يزعمون أنهم غافريون إلا أن الرواة الحناويين قد وصفوهم بأنهم من حناويين لا يجوز الاعتداء عليهم أو التقاتل معهم • ولعل من المناسب القـول بأن نصوص الأشعار التى جمعتها لا تتعلق أى قصيدة منها بالحروب القبلية أو الغزو أو الاغارات على البطاحرة •

وستوصف المجموعة هنا من وجهات نظر مختلفة : الموضوع ، مـع أمثلة من النصوص ، واللغة ، مع بعض المقارنات مع لغات أخرى فى المناطق المختلفة فى شبه الجزيرة العربية والملاحظات النحوية حيث يبدو ذكرها مناسبا والسجع والشعر الموزون مع الايجاز ، وأخيرا بعض التعليقات على جميع هـذه المـواد •

هناك اغنيات كثيرة ينشدها المغنى حيث ينعى عزلته وقسوة الحياة التى يحياها بمقارنتها مع الحياة السهلة اليسيرة التى يحياها الآخرون ، ومثال ذلك :

١ ــ هنا اناس ينعمون بالراحة فى هـذا العالم

وانا أعانى من الرمال المحرقة فى ذروة الصيف

٢ ــ تحيات لضباب الصباح وسـديم الشمس

ان كبـدى سقيمـة

مـن القـىء المتكـرر

لم تذق عينى طعـم الراحـة

اننى منهـك ولم اكسر صيـامى

وأصبح كـلامى ثقيـلا وبطيئـا

٣ — اننى فى خضم الصعاب وأسماك القرش
فى حين انك تزينين وجهك

وهناك أشعار نادرة تتحدث عن زوجة تركها زوجها لتنعى وحدتها وغياب زوجها ، وفيما يلى معنى لشعر من هذا القبيل ، حيث تنتقد الزوجة زوجها لعدم بذله جهودا للعودة لزيارتها هى وطفليهما :

٤ — اننى اعانى من الوحدة
وانك أنت أيضا وحيد

اننا فى موسم الرياح الموسمية وانك فى خضم ضبابها

وبيتنا لا يبعد عنك كثيرا
وعندى وديان الأحلام الصغيرة

يا الهى ... ماذا جنينا
حتى تفرق بين المسلمين

أليس من الأفضل ان تقضى الليل معنا

سيكون لك كل الشرف والكرامة وانا سأشرفك

وشعر المدح شائع ، وليس مقصوراً على مدح البشر . وهكذا : فان امرأة نظمت شعرا فى مدح عنزة ، ومطلع القصيدة :

٥ — الزواج حرمته عليها
(حتى) لكل من يعرض مائة

(انها) متوحشة وحرون
اللهم إلا إذا أخذت بالقوة

وفيما يلى جزء من قصيدة شعرية فى مـدح سلحفاة (وبالتأكيد . يشمل المدح الرجل الذى اصطادها) .

سلحفـــــــــــاة تحـــــــــرير
هنـــــا أصبحـــت معروفــــــــة

كانت تقتات على أفضـــل الحشــائش البحرية
ولا تعـــانى نقصـــــا فى الطعـــام

وهى ليســت هزيلـــــة وضعيفـــــة
وليســت سهلـــــة الانقيــــــــــاد

والــــذى اصطادهــــا ابـــن ميســى
مـــع هبـــوب الريـــاح الشماليــة

وهناك أيضا شعر مــدح تقليدى ، وفيما يلى نوع منه :

٧ ـ مكنـــداش حـــــذر ريحـــــوش
مـــن بين أهــــالى شاربيثـــــــات
وعينـــــــــاه حمـــــــــــراوان
تزيدهمـــــــا الحنـــة جمــــــالا
وخطمـــــــــــة وعقـــــــــــال
وهـــو طـــويل القامـــــة عـــريض المنكبين
وهنـــاك خنجـــــر مقـــوس وبندقيـــــة
يعلقهمـــــــــــــا فى البيـــــت

وتغنى الأمهات الأهازيج لبناتهن يصفن فيها الجمال الذى يتمنينه لهن :

٨ ـ عزيزتـــى هى شحـــم الكــــــلى
عزيزتـــى هى نصـــف ســنـــام الجمـــل

ستأخـــــــذ ابــن بكعليـــــــت
وستعـــانى مــن آلام الكبــــــــد

٩ — شريفــــــــة ليســت مثلهـــــــن
جميلتى ذات الــرداء الأحمـــــــــــر
شريفــــــــة ليســت مثلهـــــــن
جميلتى ذات الــرداء المنســوج باليــد
حلوقهن اكتسبت لــون الصــدأ الأحمـــر
وكأنها لطشــت ببقــــــع الصــــــدأ
إنكن تجملن أنفســـكن بالملابس المصبوغة
عندما تلف أرديتكن بأحــكام حــول أردافــكن
شريفــــــــة ليســت مثلهـــــــن
انهـــا مثـــل قلب شجرة نخيـــل بريـــــة

ولقد نظم والد المرأة الشابة نفسها قصيدة يمتدحها ، نورد فيما يلى جزءا من معناها .

١٠ — سنــذهب بحثــأ عــن القيصانــة (*)
حتى لو كانت هناك تيارات شديدة ورياح موسمية
شريفــــة ، سنــذهب كلنــا معـــك
إلى خليـــــــج ربكيـــــــــت
بعيـــدا عن الحــرارة المحرقــــــــة
بعيدا عن حيث لا تهب الريــاح الباردة
والسحب أخـــذت تتجـــه جنوبـــا
وقـــارب فصـــل الرياح الموسمية نهايته

والأشعار ذات الأبيات القليلة كثيرا ما تنتظم حول حدث بعينه ، مثل حادث مطاردة ذئب لعنزة ولكنها نجحت فى الدفاع عن نفسها ومثال ذلك :

(*) سمكة رخوة الجسم لهـا غطــاء للأنف .

١١ — لعـل اللـه يحفظ العنـزة
بعـد أن دافعت عن نفسـها
وكمـا حكيت لابـن علـى
غـابت الشمس بين السحـاب

وثمة مثل آخر لذلك ، شعر يصف وصول قارب من دبى طال انتظاره :

١٢ — أعشاب البحر تدور يا ولـدى لحاباب ،

وجـاء المركب الينـا رأسـا من دبى
وإذا أردت ان تقص شعـرك
فهنـا حلاقـون هنـود

وفيما يلى جزء من قصيدة طويلة نظمها رجل عن جِنِىّ رآه فى منامه وتوعز جميع الفضائل التى يعجب بها البطاحريون إلى هذا الجِنى • والقصيدة طويلة بحيث لا يسمح المجـال بنشرها كلها وانما أورد فيما يلى بعض أبياتها •

١٣ — تحيـات إلى ايـديى
تحيـات إلى ايـديى
قـد جـاء مـن ربكييت
لم يـأت على دابـة مؤجـرة
كان يحمـل على ظهـره حمـلا ثقيـلا
زيادة على مـا كان يحمـل على كتفيه
جـاء فـوق الصخـور البحريـة
ونـزل بالـوادى
ويطلب كبشا كاملا كسـداد أولى لقرض
أى شخص يأتى لقضـاء الليـل معى
لا عليه ، فلا يخشى شيئا ، فرجلكم الشيخ غنى بالحليب

أما غالبية القطع الأخرى فى مجموعتى فهى من الشعر الهجائى ، فالهجاء يكون نصيب الجبان والبخيل والاستهزاء بمثل هؤلاء من الجنسين ويجرى ذكر الضحية عادة ، الرجال والنساء على السواء ، بالاسم .

وهذه الأشعار شائعة جدا ، وهى المطلوبة حيثما تكون هناك جلسة غناء ، وتحيتهم لهم تكون عادة بصيحات الاستحسان . مجموعة من الأشعار الساخرة التى تتعلق بالمخاطرات العاطفية لشخصية محلية معروفة .

ان مدى وتنوع اللغة العاطفية المستخدمة رائع ، ولكن هذه القطع ليست ذات أهمية خاصة لأنها مكررة وذات طابع عاطفى للغاية .

وفى حين ان أسباب شهرة مثل هذه القطع يمكن تصورها فاننى أرى أنه ليس ثمة ضرورة لأكثر من مجرد ذكر وجودها هنا .

وفيما يلى بعض أمثلة من الشعر الهجائى :

١٤ — لقد سمعت ابن سوم
يتقاتل على اتان (حمارة)

ان موضوع هذه الأغنية جنابى ، وتعتبر الحمير مخلوقات للتسلية وهى محاطة بالخرافات والأساطير .

١٥ — يفتح ويغلق فمه كثعبان البحر
ويصغر شاربه كوشق صحراوى

١٦ — قدماها معوجتان وتمشى مقوسة الساقين
وشفتها ترمها على

١٧ — شاعر يتغنى بأغنية مرحة
حينما تأتين من الجزيرة

١٨ — ياله من حاجب ومالها من أكياس تحت العينين
ياله من حاجب وما لها من نظرة ثاقبة
رأيته يخرج من الماء ويغطس فيه
مثل جوزة الهند

١٩ — رأيناه بشفته الأرنبية
من قمة رأسه إلى أخمص قدميه
انكم شهود ، يا رجال
حينما تبليت قد أمسك
لقد تملكه الرعب من ضربة العصا
ومن طعنة السيف

وفيما يلى بعض المقاطع التى تتسم بالجدية أيضا :

٢٠ — انها بلا نهاية
حينما تشاوم فينكاع التاجر
فأشياؤه باهظة الثمن
وملح دائما من أجل الدفع
فإذا ألم بك
أنت يا ابن الجمال
أنت يا صاحب المخزن
الذى ليس له عمل سوى حمل الأشياء والرحيل

والشاعر التالى يلعن منافسه لحبه فتاته :

٢١ — يا ليت مرضا عضالا يصيبك
ويا ليتك تموت فى نومك
ويا ليت الموت يكون نصيبك
وأنا أبقى على قيد الحياة

ان وصف ر • ب • سارجنت للشعر الحضرمى على أنه « نوع من الاختزال فى جميع الحياة العربية ، ينطبق أيضا على الشعر البطاحرى ، ونحن نعلم بصفة خاصة ما الذى يستحسنه ويقدره البطاحريون أنفسهم •

٢٢ — « معيوف يعطى بملء يده ويديه »

٢٣ — « يحيا صاحب حقيبة التبغ »

٢٤ — « لأى شخص يقضى الليل معى
لايخشى شيئا لأن صاحبكم الكهل غنى بالحليب

٢٥ — حينما يتسابق يكون أخف (على قدميه)
وحينما يتوقف فهو قوى
وأى شخص يعترض سبيله
يلقى ضربات سيفه

٢٦ — ان بطنه متخم
ومع تفريغ شحنة للسفينة الهندية
يفرغ الجوال ،
ويلقى به بعيدا

٢٧ — يتناول طعامه من اللحوم المقددة والشحوم
وعنده أفضل اللحوم المقددة (الجملية أو البقرية)
وعجينة من اللحوم والشحوم الطازجة

٢٨ — الجائع أصبح متخما
ولم يخلف وراءه سمكا

٢٩ — أريد أيركزى ان تزورنى فى الصباح الباكر ،
مع اناء اللبن الذى تهزه

٣٠ — انهم يباركون ويمتدحون كيميت
فهى حمراء كبلح طازج
وتأخذ حبتين منها فى وقت واحد
ومازالت تملأ الطبق بالحجارة الساخنة

٣١ — ان لبنى غنى بالزبد

٣٢ — عندى عقد من الفضة وعقد من الذهب لشبايشه
كثير هؤلاء الذين يطلبون يد شبايشه

ولقد جمعت معظم الأشعار من المستوطنات الساحلية فى البطاحرة . أما وان الحيوانات الكريمة مثل الجمال ، نادرة عندهم فأمر ينعكس فى القطعة الشعرية الوحيدة فى المجموعة التى تذكر الجمال .

وقد وصف هذا الجمل بأنه فى حالة سيئة للغاية :

٣٣ — « لقد تطلعت وأنا منهك من فوق الصخر ،
وكان الجمل يشرب من نبع ماء
هو جمل عجوز ، وأشعر هذا الصباح بضعف من الجوع
وكان حزام سرجه متدليا من بطنه »

وإلى جانب ذلك جمعت عددا من المقطوعات التى تتضمن حكمة عادية . ولكن هذا البحث لم يتناول هذا القطع ، وأسوق فيما يلى مثلين اثنين منها :

٣٤ — « لا فائدة من السنارة بدون قطعة رصاص
ولا فائدة منها كلها بدون طعم »

٣٥ ــ الناقة لا فائدة منها بلا جمل
والجمل لا فائدة منه بدون ناقة
ولكن إذا كان الجمل قويا وسمينا
يمكن تحميله ويكون مفيدا
والناقة إذا كانت حلوبا
يمكن السقى منها وتكون مفيدة

وهذه الأشعار يعرفها كل شخص ، ولغتها مستقيمة ، ان جميع القطع التى قمت بترجمتها قد سمعتها ملحنة ويغنيها الناس ، وقد سجلت معظمها على شرائط تسجيل • ان عدم انساق طول الأبيات الشعرية غالبا ما يتلاشى عندما يجرى غناؤها •

ويعتبر البيت الذى يتكرر مرتين أو ثلاث مرات اللازمة التى تتكرر فى الأغنية • ولقد قضيت وقتا محددا فى محاولة تحليل عروضى . للنصوص •

ان معظم الأشعار الغنائية تقسم إلى مقاطع وتكرر بحيث تشكل ما يوصف بالكورس ، وغالبا ما يحدث ذلك بايقاع يختلف عن الهيكل الرئيسى للشعر • ولكل أغنية بيت « رئيسى » تسمى به ، ويعمد المغنى إلى تكرار هذا البيت •

ان هذه المجموعة والتسجيل والتحليل لنصوص كتلك التى تشكل مجموعتى يتم انجاز جمعها على أكمل وجه فى فترة من الزمن تقتضى بالمشاركة الوثيقة مع الشعوب التى تعكس النصوص ثقافتها ••

وقد علمت من تجربتى ان كثيرا من أعضاء المجتمع يتغلبون مع مرور الوقت على عدم الثقة المبدئية والغرابة من اهتمام باحث بهذا الجانب من حياتهم ، ولا يلبثون ان يتعاونوا إلى أقصى الحدود •

وأود هنا أن أسجل شكرى وامتنانى لجميع رجـال البطاحرة الذين تحملوا بصـبر الأسئلة المتكررة والاستجواب والاستعلام التى لابد وان بدت لهم عديمة الجـدوى • على أحسن الفروض ، وعلى أسوأها ، بأنها (وقحة) وان كان يجرى التعبير عن ذلك بطريقة تتسم بالدعابة •

الفلكلور والروايات الشعبية في ظفار

بروفسور . تى . جونستون

Dhafari Folklore and Folktale

Prof. T. Johnstone

بدأت القصص والأساطير الشعبية تحظى باهتمام متزايد بين مختلف المستويات فى غضون القرن الماضى • وعلى المستوى الشعبى أعيدت كتابة مجموعات القصص والأساطير الشعبية وصقلها وتهذيبها بدرجة كبيرة حتى تتناسب مع الأطفال •

إن الهدف الأساسى لجمع الأساطير الشعبية لم يعد معروفا تماما ، ولكن من المؤكد أن عملية الجمع التى قام بها الأخوة « جريم » كانت لأغراض علمية بحته ولم تكن لمجرد تسلية الأطفال أو تخويفهم •

ولم يحظ القائمون بجمع القصص والأساطير الشعبية مثل « جون فرانسيس » والذى بدأ عمله فى عام ١٨٥٩ بأى مشاركة وجدانية أو تعاطف من جانب أبناء جيله •

جاء ذلك فى مقدمة كتاب «More West Highland Tales» لجون مكاى الذى صدر فى كل من أدنبره ولندن عام ١٩٤٠ • وفيه أحس بضرورة تخصيص جزء كبير من مقدمة كتابه ليكون بمثابة اعتذار عما فعله أبناء عصره لعدة سنوات •

ولحسن الحظ أصبحت الفنون الشعبية والأساطير موضوعات قيمة تستحق الدراسة وزاد الإقبال عليها فى أيامنا هذه • وكان لفهرس ستيث — ثومبسون الفضل الكبير فى جعل الأعمال المقارنة شيئاً ميسراً نسبيا •

وتعتبر الأساطير والقصص الشعبية فى الوقت الحاضر شيئا هاما للدراسات الأنثروبولوجية « علم الانسان » والاجتماعية ، وقد قام علماء علم الانسان مثل ليفى ستيراوس بدراسات معقدة عن الأساطير الشعبية البدائية والتى تستحق دراسة جادة حتى لو كانت غير مقنعة تماما •

أن الهدف من هـذه المقدمة لم يقصـد به اعطاء تفسـير واضح للأساطير الشعبية لظفار ولكنه جاء بها لمجرد إعطاء وصف تفصيلى كامل للقصص التى جمعها خلال العشر أو الاحدى عشر سنة الماضية .

ولكن أشير أيضا إلى أن هذه الأساطير الشعبية تعتبر مسلية جدا عندما تقاس بالمعايير الدولية . ولكنها تعطى معلومات اجتماعية ضئيلة جـدا .

ولحسن الحظ فإننى استطعت إلى جانب الأساطير الشعبية أن أجمع عدداً كبيراً من القصص الحقيقية والتاريخية والتى تعطى خلفية اجتماعية جيدة . وعن القيم التى تحكم تصرف الرجال والنساء الذين يعيشون فى المنطقة الجبلية والتى ظلت منعزلة لفتـرة كبيرة ولم تتـأثر بأى شىء خارجى .

وقـد كتبت كل هـذه القصص باللغـة المهرية والجبلية «Mehri and Jibbali» وكان الهدف الأول من جمعها هو إيجاد نصوص صادقة أمام محللى اللغة تكون بمثابة مثال أمامهم يحتذى به .

وتتناول الأساطير الشعبية حكايات الأبطال الشعبيين مثل « أبو زيد الهلالى » و « أبو نواس » إذا كان من الممكن اعتبار الأخير بطلا . وليس هناك أى شك فى بطولة أبو زيد الهلالى إذ كان مثالا للشجاعة والفروسية والشهامة وخاصة بالنسبة للسيدات والآنسات وقت الشدة .

وكان يمتاز بحنان دافق ولكنه لا يتنازل ولا ينزل بمستواه إلى من هم أدنى منه وأقل فروسية : وهو فى الوقت نفسه لا يتشدد إلى حـد تعريض نفسـه للخطـر خاصة مع الجنـود « المرتزقة » المنتشرين فى طريقه .. وعلى كل فإنه فارس بمعنى الكلمة .

ولكن ليس كل شيء فيه انسانيا مألوفا . وكان بعض الذين اختارهم ليكونوا أخـوة له فى السلاح يحظـون بوجه فائق الحسـن والجمـال حتى أنه كان يرتدى قناعا لإخفائه ، وكذلك كان لصوته رنين وطلاوة فائقة عند الغناء .

أما أبو نواس فهو بطل من نوع مختلف تماما إذ لم يقم بأى عمل يدل على شجاعة فائقة . بل على العكس فإن الأساطير التى تليت عنـه كانت كلها تدور حول فسقه ومجونه وكان دوره فيها يشبه إلى حد كبير الشخصيات التاريخية للدول الأخرى .

وإلى حـد ما لعب بيرنز فى اسـكتلنده دوراً مماثلا ولكن تفـوق عليه جوك ماكول الذى يحتمل أن تكون له علاقة بفيون ماك كومهال البطل العظيم الذى ظهر قبل الميلاد .

وفى روسيا القيصرية جسَّم بوشـكين دور الفاسـق فى مثل هذه القصص .

لقد نمت شخصية أبو نواس وتطورت بصورة تفوق قصة أى بطل آخر من أبطال القصص التى تتلى فى حجرات التدخين ، ولم يكن أبو نواس مجرد بطل ماجن فقط بل كان يتمتع بحذق وذكاء شق بهما طريقه الذى رسمه لنفسه .

وكان يتمتع بمعنويات مرتفعة دائماً كما كان مخادعا واثقا من نفسه ادرجة كبيرة . وكان لا يكتفى ببيع الأشياء التى لا يمكن بيعها والتى كانت الرغبـة تتزايد لاقتنائها وإنمـا كان يبيع أشياء من نسج خياله المحصـن .

والمعروف أن أبا نواس لم يبع للتجار الشجرة التى تطرح فاكهة من الذهب والأحجار الكريمة ، ولكن كان فى مقدوره أن يفعل ذلك بسهولة .

وهناك وجه آخر هام فى شخصية أبو نواس لا يقل أهمية عن الآخرين وهو ما يجعله بعيداً كل البعد عن أن يكون بطلا أو حتى بطلا كوميديا .

وكان من سماته معاداته للفاشية ولكن لم يكن ذلك دائماً لنصرة المظلومين والمضطهدين . وكان ذلك يمثل دائما نوعا من الكفر وعدم الثقة إلى جانب خيانته الدائمة للمرأة .

وعلى سبيل المثال كان أبو نواس يحظى بمعاملة حسنة من جانب أحد الحكام ولكنه أساء استغلال ثقته فيه واضطر الحاكم إلى الحكم عليه بالإعدام .

ولكنه استطاع النجاة بحياته من حبل المشنقة وذلك بعد أن أقنع أحد الأبرياء بأن يأخذ مكانه واستطاع أن يستحوذ مرة أخرى على ثقة الحاكم عندما زعم له أنه كان يزور والديه فى الجنة ، وفى النهاية تمكن من إقناع الحاكم وابنه بزيارة الجنة وأصبح هو نفسه الحاكم .

وفى رواية أخرى أن اثنين من التجار الأغنياء زارا أبا نواس يريدان استرداد دين لهما عليه . فعرض أن يذبح زوجته بدلا من شاة لأنه فقير إلى درجة أنه لا يملك ثمن شاة .

وعندما رفض التاجران تمادى متصنعا أن يذبح زوجته ، بينما هو فى الحقيقة قد علق كيساً من الدم مخبأ حول عنقها وبكى التاجران وهنا

طمأنهما أبو نواس وأعادها إلى الحياة مبينا لهما أنه قد استخدم سكينا سحرية .

وأصبح التاجران وهما شقيقان شغوفين بالحصول على السكين الرائعة السحرية بينما هو يساوم عليها لإبراء دينه بل والحصول على مكسب جانبى .

وشرح لهما ضرورة تعلم التعويزة السحرية ويؤكد لهما أن عملية بعث الموتى لن تحدث إذا لم يكونا خالصى النية وطاهرين تماماً .

وقام التاجران بذبح والدتهما حتى الموت ولكنها لم تبعث من الموت عندما رددا الكلمات السحرية . وروع المشاهدون بينما أخذ الشقيقان يتهمان أحدهما الآخر بأنهما غير طاهرين وغير خالصين روحيا .

واستلا خنجرهما وتطاعنا وسقطا ميتين . ومثل كل ضحايا أبى نواس فانهما يثقان بشدة فى أبى نواس ولم يفطنا الى الخدعة حتى وهما فى النزع الأخير وحتى لو أدركا الخدعة فلم يكن فى مقدور أحد أن يعرف ذلك .

والنقد اللاذع فى هذه القصة غير موجه ضد السلطات المركزية ولكن ضد طبقة التجار ، وبسبب معارضته أو كراهيته سكان الجبل لبيع ماشيتهم فى حالة Qara (Ehkilè) — أو جمالهم فى حالة المهرة «Mahrah»

ولذلك فانهم كانوا دائما مدينين لتجار المدينة الذين كانوا يمدونهم بالأرز والسردين للعلف وكان جميع سكان الجبل فى الأيام الخوالى يستطيعون إلى حد ما مواجهة مشكلة تأجيل ديونهم عن طريق الجدل المقنع .

ولما كان أبو نواس لا يتمتع بأى حس أخلاقى أو مسئولية أخلاقية تجاه أفعاله التي عادة ما تترك آثرها على وجـوه المتفرجين الأبرياء أو تتسبب فى موتهم (بواسطة شخص آخر . هو أيضا لا يشك فيه) فإنه من الممتع أن نلاحظ أنه غالبا ما يتدخل نيابة عن فقير أو ضعيف أو أى شخص خدعته أو غشته السلطة •

ومن ذلك على سبيل المثال أنه تدخل لصالح صبى صغير يحاول أن يجمع بعض المال لمساعدة أمه وذلك بالجلوس طيلة الليل فى بركة من الثلج مقابل مكافأة •

ولكن الحاكم غش الصبى ليمنع عنه المكافأة العادلة مدعيا أن النار التى أشعلتها أمه على بعد أميال من البركة المثلجة قد بعثت الدفء فى أوصاله طوال فترة سهره •

ويلقن أبو نواس الحاكم درساً فإنه يمثل عليه حيلة مماثلة للحيلة التى لعبها الحاكم على الصبى • ويثوب الحاكم ويعطى للصبى مكافأته •

والشىء المشترك الوحيد الذى يجمع بين هذه القصص هو الكوميديا • وهى قصص غـير واقعيـة بالمرة حتى أن شـخصا عاديا لا يسـتطيع أن يأمل فى تنفيذها فى الحياة الحقيقية أو الواقع •

إن فى كل منها عنصرا معتادا للمجتمع وهى بذلك لا تحتوى على أى عنصر لتوجيه وتعليم الصغار فى هذه القصص •

ومع الإعتراف بأن المهارة فى الجدل تحوز الإعجاب . الا أن هذه من نوع مختلف • فالبلاغة القبلية يجب أن تكون مصحوبة بنوع من القدرة على التوافق مع المنطق والوضوح والأسلوب الجديد • وهناك حكايات

شعبية كثيرة ذات نغمة أخلاقية عامة تختلف تماماً فى هدفها عن حكايات أبى نواس وأبو زيد •

ومن هـذه القصص نسمع عن حـكام بذلوا أقصى ما فى وسـعهم لضرب الفساد فى البلاط الملكى وفى المحاكم وفى السـوق حيث التجـار ينقصون فى الكيل والمقياس •

ونسمع عن التضحية بالنفس كما فى حالة (عزيز) الذى سـاعد صديقه على دخول منزل حبيبته بحيلة ألبسه فيها ملابس امرأة • وقام بحراستهما أثنـاء اللقـاء السرى وظـل ينزف دما حتى مات وهـو يدافع عن الباب ضد المتطفلين المتحمسين للدخول بينما يتمكن صديقه من الهرب • والبطلة فى هذه القصص تلعب فقط دوراً ثانويا مجهولا ، ولم تشر القصة إلى ما فعلته عندما جاءت الإدانة •

وهناك كثير من القصص المتعددة الأفكار • وهكذا فإن إحدى هذه القصص (يعتقد راويها أنها حقيقية) تصور عاطفة البنوة وتبرز أيضا الشجاعة فى مواجهة أعداء يتفوقون فى العدد ، وكذلك إخلاص الجمـل لراكبه • وقد اختفى البطل فى هذه القصة ، وبالأحرى اختفى جسده •

وبات من المعتقد أنه طار مع الملائكة كمكافأة له على عطفه واهتمامه بوالدته وذلك يظهر بوضوح فى رفضه الزواج حتى لا يضطر إلى اعطائها اهتماما والتفاتا أقل •

والشجاعة فى الدفاع عن حقوق الفرد العادلة هى موضوع روايات كثيرة ، وكثير من هذه القصص يعتبر حقيقياً •

إن المهريين «The Maharah» لديهم روايات كثيرة من هـذا النوع ؛ ويعتبرهم الآخرون الذين على نفس المستوى الاجتماعى مثل الجـارا

«The Gara» أكثر الناس شجاعة وكنموذج لمثل هذه الحالة فان صبياً مهرياً شجاعاً «Mahri» دافع عن قطعانه حتى النهاية ، ولما كان لا يملك إلا طلقات قليلة وبندقية قديمة فإنه ظل يعمل حساب كل طلقة يطلقها .

وعندما يأسره المغيرون يكونون فى حالة غضب شديد ولذلك فإنه عندما سألهم الإبقاء على حياته طالما لم يعد سلاحه قابلا للاستعمال رفض طلبه بشدة .

وتقوم رواية شعبية أخرى لأحد الأجداد على حادثة حقيقية بشكل مؤكد فهى تحكى عن بطل أمهرى كان يعيش فى مكان منعزل مع أسرته فى نجد ولكن يتعقبهم الأعداء ويخونه زوج أخته الذى يأتى إليه بمجموعة من خصومه إلى خيمته أو معسكره .

ويفر إلى مكان مرتفع ويستطيع أن يقتل عدداً من الأعداء بمسدسه وبعض الكرات والرصاص المصنوع محليا . وعندما تنفذ ذخيرته يطعن واحداً أو اثنين بخنجره الذى لا يلبث أن ينكسر أيضا وأخيراً يستطيع أن يقتل عدوا آخر بأن يمسكه من خصره ويقفز به من القمة ملقياً حتفه هو الآخر .

ويتميز أعداؤه من الغيظ ويعودون إلى معسكره ، بعد أن فشلوا فى قتله الى جانب فقدان عدد كبير من رجالهم ، فيقتلون رجلا مسنا وطفلا رضيعا رافضين توسلات زوجته لرحمة الصغير وتركه حياً .

وكانوا يصيحون أن ابن الثعبان لابد أن يكون ثعبانا مثله (ويطلق على الثعبان — فى اللغة الأمهرية اسم ديسوس ويخشى منه بصفة خاصة لأنه لديهم بالإضافة الى أن بعض فإن له ابرة تلدغ فى ذيله) أما زوجته فقد أبقوها على الحياة . وعندما علمت وتحققت من أن أخاها هو الخائن :

بالرغم من أنه لميشترك فى المعركة ، فقد بحثت عنه فى معسكر الأعداء وقتلته بمسدس مستعار .

ومع ذلك فإن الاخلاص فى النساء لا يمجد ولا يطرى بالقياس إلى سجب خيانتها دائما ، وتحذر روايات كثيرة من غواية المرأة ففى إحدى القصص ذات التركيب المعقد والتى فيها كثير من المؤامرات ينقذ رجلا أخته الرضيعة من سيف والده الذى تعهد بقتل كل مولودة أنثى .

فقد تعلق بأخته الى حد كبير وعندما بدأ والده يشك فى أن شخصية ابنه الثانى أنثى أيضا هرب مع أخته على ظهر حصانه . وقضى كل وقته فى جمع التوت والصيد من أجلها وممارسة الألعاب .

وتقابل الأخت أميراً شاباً وسيماً مع حاشيته يوماً ما ووافقت الأخت على الذهاب معهم إذا تمكنت من اخراج شقيقها من الموضوع . وتغرى شقيقها بأن يلعب معها لعبة الوثاق ، وتوثقه بإحكام إلى الحد الذى جعله يشكو . ولم يكد يتم تقييده حتى يركب الأمير وحاشيته ومعهم البنت الخائنة قبل أن يتمكن الأخ من فك وثاقه .

وعلى الرغم من عدم تحديد الدافع لهذا إلا أن الحادث يلعب دورا فى المؤامرة .

وتم التوفيق بين الشاب ووالده من جديد ووافق على أنه كان من الأفضل قتل الأنثى لدى ولادتها . ويبدو أنه ليست هناك قصص عن الأشباح (فى اللغة الجبلية سوبرو) على الرغم من أن العادة جرت على وضع قليل من الطعام لأرواح الأقارب وشاغلى المكان من الموتى وفى قليل من الذكريات الشخصية فإن هنـاك إشارات إلى رؤية أشباح تصاحب جمالهم من الأشباح أيضا ويتراقصون حول نيرانهم .

ولا يخشى أحد الأشباح طالما كانت غير مؤذية إلا إذا استفزت • وفى احدى القصص التى يعتقد راويها أنها حقيقة وهى « توفى شقيق أحد الأشخاص على ما يبدو وتم دفنه وقد انزعجت الأشباح الموجـودة فى حوش المقبرة من بكاء الرجل المستمر حول قبر أخيه وأبلغته أن شقيقه لم يمت ولكنه موضوع تحت تأثير سحر قامت به إحدى الساحرات التى نقلته بعد ذلك الى احدى قرى الهند وحولته الى عنزة » •

والى جانب ذلك أعطوه تعليمات فيما يتعلق بالأسلوب المناسـب للامساك بها حتى تضطر إلى تحويله من جديد إلى رجل • وعند نقطة ما تتقمص أحدهم أو كلهم روحا تتحدث من خـلال فم واحـد منهم • ويعتقدون أن سبب المرض كله هـو السحر ولذلك فإن تعـويذة فعالة ومضادة تحظى بجائزة كبرى •

وأشهر نصيحة يقدمها رجل طيب تكون ذبح حيوان وإراقة دمه تحت أقدام الرجل المريض • ويصحب ذلك بعض التعليمـات العامة • وتعليمات جانبية مثل لون الحيوان الضحية ومكان ذبحه ومن المرجح عادة أن يكون المكان المحدد هو المكان نفسه الذى حدثت فيه الإصابة أو العضه أو اللدغ أو فى مقبرة فى حالة الاصابة بجرح أو مرض •

وهناك خشية كبيرة من السحرة وربما العرافين ولكن بصورة أقل • ولتنفيذ أغراضهم يركبون الضباع «Hyenas» ويمكن تمييز سحرة الجبل من الحلقة أو القرط الموجود فى آذانهم •

ويتجمعون أيام العطلات فى « خوار رورى » تاركين خلفهم فيما يبدو شبح شخص نائم • ويمكن كذلك أن يستدعوا الحيوانات ذات الروح الحارسة مثل «The Serck» والـ «Serck» هذا حيوان أبيض يقـرب حجمه من حجم بقرة صغيرة ويظهر ليلا ويأكل النـاس • وكذلك يأكل

السحرة كما يمكنهم أن يحولوا شكلهم وأشكال الآخــرين غير أن أكثر ما يخشى منهم هو قدرتهم على جلب المرض للناس والماشية .

وليس هناك سوى القليل نسبياً عن السحرة فى الأساطير الشعبية ولكن توجد نسبة كبيرة منها فى القصص التى يقال عنها أنها حقيقية . ومن ذلك أن والدة أحد الأشخاص وشقيقاته يضمرن له كراهية شـــديدة ويقمن بالبحث ومناقشة خطة لقتله .

ويتفقن على أن تغير إحداهن شكلها إلى ثعبان مثلا وتعضه عضـــة قاتلة . ويدور هذا الحديث أمام قطة يتضح أنها قطة من الجان تحب الرجل فتقوم بدون أن يشعروا بقتل الثعبان المسحور عندما يأتى لقتله .

وغالباً ما تظهر حكايات عن السيدات المسنات فى الروايات الشعبية ولكنهن يعاملن بغير تعاطف ، ولكن تقل درجته أو تزيد حسب قربهم من السحرة باعتبارهن يشجعن ويدبرن العمليات اللا أخلاقية .

وعلى عكس الساحرات يظهر الجان كثيراً فى القصص غير أن دورهم فى الأساطير الشعبية ليس متوافقا تماما مع المعتقدات الشائعة لشعب ظفار ، ففى المعتقدات الشعبية ينظر إلى الجان على أنها مؤذية بينما فى الأساطير الشعبية يعتبر الجن صديقا أو عدوا للانسان أو يتخــذ دوراً محـــايدا .

ويبدو أن سبب التناقض هذا يرجع الى أن كثيرا مـــن الروايات الشعبية هذه تحدث فى منطقـــة أكبر كثيرا من ظفار . وعـــدد كبير من الأساطير المكتوبة بالأمهريـــة مثلا تحدث بصورة مختلفة فى مجموعـــة النصوص الخاصة التى جمعتها الإرسالية النمساوية فى جنوب الجزيرة منذ قرن تقريبا .

وفى الحياة الواقعية يعتقد البعض بأن باستطاعة الرجل أن يتخذ زوجة من الجن ويعتبر هذا الموضوع مشتركاً أيضا فى الأساطير الشعبية .

وأفضل مثال عن الجن الطيب المتعاون هو عن إحدى الزوجات الجنيات ، فقد رأى رجل مجموعة من العذارى يستحممن ووقع فى غرام إحداهن . ونصحه البعض أن يستولى على ملابسهن عندما يذهبن مرة أخرى للاستحمام .

وفعل ذلك وتمكن من الزواج من محبوبته التى فقدت قوى معينة عندما فقدت ملابسها . وعندما اضطر الرجل الى السفر فى رحلة أصدر تعليمات إلى والدته بعدم إعطاء الزوجة ملابسها السحرية وبالرغم من أنها فعلت إلا أن الزوجة عادت إلى أسرتها وذهب الرجل يبحث عنها .

وقد ساعده والد زوجته فى عدد من الاختبارات المناسبة كشرط للسماح لها بالعودة إليه عن طريق الاتصال بالجن . ومنحوه القوى السحرية الضرورية لإنجاز مهام تفوق قدرة البشر — ويقهر الحب الجميع .

وكما أشير إليه من قبل فإن الأساطير الشعبية تختلف إلى حد ما عن المعتقدات الشعبية ففى القصص التى يعتقد أنها حقيقية لا يوجد حكايات عن ثعابين لها دور خير ، ولكن هناك اعتقاداً قويا عن دور الثعابين فى حراسة الكنز .

وقد تكون هذه الثعابين الحارسة من الجن . وهناك حكاية يعتقد أنها حقيقية ، فقد حدد مجموعة من المهربين «Mahrah» موقع كنز فى

وادى «Nahtz» والتقوا برجـل من المشايخ (الذى له قدرات خاصة) وافق على القراءة بصوت عال من كتاب مقدس وذلك لإبعاد الثعبـان الحارس عن طريقهم وذلك فى مقابل نسبة مئوية من الكنز الذى يعثرون عليـه .

وأخذوا الشيخ وأحد رجال القبائل من غير المهربين معهم الى مكان الكنـز .

وبينما هم يحفرون والشيخ يتلو قراءاته بدأ الرجل غير المهرى بتذمر قائلا إن حارسهم الروحى كانت مهمته سهلة بالنسبة لما سيحصل عليه من نصيب من الكنز .

ووصل التذمر إلى ذروته عندما ظهرت الومضة الأولى للذهب . وعندما سمع الشيخ حديثهم أغلق كتابه المقدس بغضب .

وهنا ظهرت حية كبيرة ألقت بالرجل القبلى من فوق الصخرة حيث لقى حتفه بعد أن كسر حوضه . وقام الأمهريون بنسج قصيدة ساخرة عن الحادث الذى كسر فيه حوضه الصغير «akéremet»

وهناك روايات أخرى عن حدث غير عادى يحكى ما يحدث أثناء كسوف الشمس عندما يقوم الأهالى بإخافة الشبح الذى يخنق الشمس وذلك بصك الحجارة مع بعضها وجعل الأطفـال وبخاصة الأيتـام منهم ينخرطون فى البكاء . وهذه الطقوس لا تختلف عن تلك التى وصـفها الموصلى عن الصحراء السـورية فى وصفه لأسلوب حياة بدو الروالا لـ «Rwala Beduin»

وبالرغم من وجود قصص عن الإغارة أو الغارات ، فإنه من الواضح

أن الأحداث الموصوفة وقعت منذ وقت طويل . إذ توجد رائحة حب استطلاع أثرية قديمة فى هذه الروايات •

وربما يبدو أن الإغارة على قبائل خلفار من قبل قبائل خلفارية أخرى لابد وأن تكون قد توقفت منذ زمن بعيد • فالغارات التى ورد وصفها قد شنت كلها من قبل جماعات قبلية من خارج خلفار •

والعداوة مع ذلك : مسألة مختلفة . فمنذ عشرين عاما مضت لم يكن من المأمون بالنسبة للرجل القبلى أن يخرج من منطقته القبلية دون إبرام اتفاقيات هدنة مؤقتة مع كل القبائل التى سيتعين عليه المرور فى أراضيها •

وهذه الاتفاقيات كانت تبرم بصيغة ثابتة من الكلمات يندرج تحتها كل شخص يتصور أنه يمكن أن يقتل المسافر • ويحمل المرء الانطباع بأن هذه الصيغة ينبغى أن يلتزم بها الجميع بنفس الدرجة التى يلتزم بها الإسكندنافيون بصيغة القانون الشفوى فى «Njals Saga»

وفى إحدى الروايات المسلية عن رحلة من هذا النوع حيث ذهب رجل ليأتى بزوجته من منزل أهلها وكان يتحتم عليه أن يكون أكثر دهاء من حماته • فأطال البقاء وانتهت أو كادت تنتهى مدة هدنته بسبب تأخره •

ولكنه كان لا يزال مستعداً لأن يخاطر بحياته عندما نفذ منه الدخان أو الطباق وكان عليه أن يدخل قرية له عداوة مع رجال قبائلها حتى يحصل على الدخان •

ويقنع الرجل — إلى حد بعيد أو قليل • رجلا عجوزا بأنه من المشايخ (مشايخى) ولكن لأن المشايخ (مثل الأسياد) لا يحملون أسلحة •

فإنه وجد بعض الصعوبة فى إقتناع الرجل بأنه (مشايخى) وبمجــرد الانتهاء من إقناع الرجل ، تعرفت عليه امرأة من قبيلته كانت قد تزوجت فى القرية ولكنها لم تخنه ، وعاش مع ذلك ، ليقاتل يوما آخر .

وآمل أن أنشر هذه الحكايات الشعبية وغيرها من القصص (حوالى ١٢٠ قصة ككل) فى غضون الأعوام الخمسة أو الستة القادمة فالحكايات الشعبية فى معظمهـا مسلية وجيدة البناء وتتفوق بالمقارنة بالأســاطير الشعبية الأوروبية .

ولما كانت تؤخذ فى مجموعها من النصوص التاريخية غير المكتوبة ومن التجارب الشخصية لبعض الأفراد فإنها تعطى صورة واضحة عن ظفـــار .

ثالثاً

دراسات عن المعادن
والصناعات في عُمان

استغلال النحاس في عُمان
في الألف الثالثة قبل الميلاد

د. جي. فايسجاربر

III mill. Copper in Oman and the Qustion of Magan

Dr. G. Weisgerber

تعتبر سومر Sumer القديمة فى بلاد ما بين النهرين بلدا فقيرا فى مواردِ المواد الخام (باستثناء النفط) ومع ذلك كانت فيها منذ ٤٥٠٠ سنة صناعة معدنية مزدهرة وخاصة فى النحاس .

من أين هذا النحاس ؟

تحكى اللوحات السومرية على الأقل عن مصدر للنحاس مصنع فى أرض النحاس فى (**ماجان**) .

سميت (**ماجان**) لأول مرة منذ ٤٤٠٠ سنة ، والذى أطلق هـذا الاسم عليها هو سرجون عقاد ، الذى يروى لنا أن سفنا من « ديلمون » و «ماجان » و « ميلوها » ، كانت تلقى مراسيها عند أرصفة هذه البلدة .

فى حين أن السجلات الأخيرة عن « ماجان » تبلغ عمرها ٣٨٠٠ سنة ولذلك لعبت دورا هاما على مدى ٨٠٠ عام .

إن المتفق عليه اليوم بصفة عامة هو أن ديلمون يجب ربطها بالبحرين ومنطقتها وأن الجزيرة كانت تعمل دوريا كمركز تجارى حيث لم تكن الديوريت وأشجار النخيل والنحاس من « **ماجان** » تنتج وانما كان التجار من « أور » و « لارسا » يستوردونها من « ماجان » منذ حوالى ٤٠٠٠ سـنة

وفى العصور اللاحقة كانت سفن « مجان » تمنع من انزال مراسيها فى سومر ، وكان تجار ديلمون يتحكمون فى المرحلة الأخيرة للتجارة ، ولكن أين يمكن أن يكون موقع « **مجان** » نفسها ؟

إننا وان كنا لا نستطيع أن نجيب عن هذا السؤال ، وهو سؤال فقهى إلا أن فى الإمكان اسـتنتاج بعض الحقائق وافتراض بعض البيـانات

الأثرية :

١ ـ كانت « ماكان » تقع جنوبى ديلمون / البحرين .

٢ ـ وكانت « ماكان » بلدا جبليا لوجود سلسلة من جبال «ماكان» فيهـــا .

٣ ـ تحتوى جبال « ماكان » على الدوريت بكميـات هائلة ونوع رائع .

٤ ـ وكانت بلاد « ماكان » غنية بخام النحاس . كيف كان يتم تصنيع هذه المادة الخام الى نحاس ؟ كان العمال فى ماكان مثل عمال المناجم والحدادين وغيرهم قادرين على إنتاج كميات فائضـــة من النحاس على مدى القرون ، لا لسد حاجة شعبها فحسب وإنما للتصدير إلى الحضارات الأجنبيـــة .

٥ ـ كانت تجارة الصادرات هذه تحتاج الى نوع من التنظيم ، ولذلك اشتهرت البلاد بصناعة سفن الشحن والملاحة إلى مسافات طويلة .

٦ ـ أدى إنتاج النحاس بكميات وفيرة وصـــادراته إلى ازدهار ثروات البلاد وقيام كيان نظامى ، وإلى جانب ذلك أدت الى قيام كيان يشبه نظام الدولة . مثل إنشاء المدن والبلدان ومراكز رئيسية ومراكز ثانوية الخ .. وهيئة حاكمة .

ويمكن أن تظهر هذه من المبانى الرئيسية والحرف اليدوية والفنون والآثار ، والآثار الباقية التى تقيم الدليل على أهمية الشعائر والحياة الدينية .

٧ — لابد أن هناك دليلا أو على الأقل آثارا للاتصال بين بلاد مابين النهرين « وماكان » وميلوها Meluhha

بعد أن أقمنا هذا النموذج النظرى ، لننبرى الى رؤية الحقائق التى يمكن جمعها من الآثار العمانية لنحدد موقع « ماكان » القديمة فى عمان الحديثـــة .

فى منتصف السبعينات كان لدينا ، نحن العاملين فى متحف المناجم الألمانى ، الانطباع بأن معظم النقط الآنفة الذكر يمكن التماس الردود عليها فى جبال عمان • ولقد أظهرت على وجه التحـديد عمليات البحث والتنقيب عن النحـاس التى كانت تقـوم بها شركة التنقيب العمانيـة المحدودة •

وتسمى اليوم « شركة المناجم العمانية (عمان) » إنه كانت هناك فى جبال عمان خرائب هائلة وبقايا وفضلات من مخلفات صـــهر مئات الألوف من أطنان من الخبث (شكل رقم ١) •

وقد قررنا لذلك أن نبدأ بمشروع يتعلق بنشاط التعدين فى عمان : والتأكد ما إذا كان هناك دليل على وجود إنتاج واسع النطاق للنحاس منذ حوالى أربعة آلاف سنة •

أن كل ما قمنا به قد أصبح ممكنا بفضل المساعدة التى قدمتها لنا إدارة الآثار بوزارة التراث القومى والثقافة التى نشعر بأننا مدينون لها بالجميل •

ولقد اكتشفنا فى الموسم الأول أن جميع أكوام المخلفات من الخبث الكبيرة فى جبال عمان من أصل إسلامى ، ولكن النتائج الهامة لهـؤلاء العاملين فى صهر المعادن فى العصر الوسيط ليسوا موضوع هذه المحاضرة

ومع مرور الوقت تعلمنا كيف نميز بين المخلفات السابقة ، والآثار التى مضى عليها زهاء أربعة آلاف سنة من المعـادن المصـهورة فى العصر البرونزى •

وبدأنا فى عام ١٩٧٩ التحقيقات فى موقع بالقرب من قرية مايسار «Maysar» فى وادى سمد «Wadi Samad» (الذى أكتشفته بعثة هارفارد) ، ووقفنا فى الحال على دليل واضح على إنتاج النحاس فى العصر البرونزى •

وجدير بالذكر أن سلسلة جبال عمان غنية بالنحاس وذلك بفضل تكوينها الجيولوجى • وحتى الآن أكتشف حوالى ٥٠ مستودعا كبيرا وأن عدد المستودعات التى استغلت ينتظر أن تكون ضعف هذا العدد •

ان هذه الأنشطة الصغيرة الخاصة بأعمال المناجم والصهر عادة تكون موضوعات أفضل لأبحاث عن المناجم والآثار من المستودعات الضخمة التى استغلت فى العصور الوسطى •

إننا على قدر ما نستطيع أن تؤكد أن الصناعات الإسلامية الأولى أدت الى اختفاء أو تدمير ملامح وكيانات ما قبل التاريخ •

ان موقع إنتاج النحاس فى العصر البرونزى فى « الميسار — ١ » قد حفظ من الدمار فى العصر الوسيط بفضل هبوط مستوى مناجم النحاس الذى أصبح فى الأزمان اللاحقة موقعا غير جذاب •

وكان الخام الكبريتيدى يتطلب معرفة متقدمة للغاية عن تقنيات صهر النحاس التى كانت متطورة بالفعل فى أواخر الثلاثة آلاف عام قبل الميلاد ، وأن السمة الكبريتيدية للخام سمة مشتركة بين جميع مستودعات

النحاس العمانية حتى أنها أصبحت فى هذا التاريخ (وليس قبلا) هامة اقتصـــاديا •

وفى وادى ميسار هناك أكثر من ثلاثين منشأة من منشآت ما قبـل التاريخ ، معظمها من القبور ، أو مقابر أو مستوطنات مازالت محفوظة حتى الآن •

ومع مرور الزمـن جرت حـركة استيطان رائعـة ، فى حـين أن المستوطنات والمقابر فى العصر البرونزى كانت مواقعها فى جنوب الوادى أما جميـع منشآت العصر الحـديدى فقـد كانت فى الشـمال عنـد سفوح ومنحدرات الجبال وذلك مرده (كما نعتقد) إلى اختراع نظم الفلج •

يمتد موقع ميسار — ١ على طول الضفة اليمنى للفرع الأوســـط لوادى سمد «Samad» ولمسافة حوالى ٢٠٠ متر طولا و ٥٠ مترا عرضا (شكل — ٢) ، ويتميز سطحه بحفرات ضحلة وخبث وبقايا من الأوانى وعدد قليل من أحجار الصوان وعدد هائل من شظايا الأفران •

ولقد كشفت الحفريات حتى الآن على وجودجدران لبعض المنازل (لوحة ١ ، ٢) •

المنزل — ١ كان يشمل فرنا للصهر مع ثقب فى مقدمته لاستخراج الخبث والنحاس • ولقد تآكل منزل آخر نظـرا لموقعـه على طـرف الوادى ، ولكن مازال هناك جدار منه فى حالة جيدة بسبب حسن بنيانه واكتشف فى فناء المنزل فوهة بئر (لوحة — ٣) •

وقد تم تفريغ البئر حتى قاعدتها على عمق ١٤٫٥٠ مترا • وبلغ النطاق المائى الذى قيس على عمق ١٣٫٢٠ مترا — تماما حيث جرى

توسيع البئر لاختزان مزيد من الماء • وليس ثمة شك فى أنه منذ ٤٢٠٠ عام •

كان النطاق المائى تماما كما هو اليوم ، وهذه حقيقة لا يمكن التقليل من شأنها عند بحث تغيرات المناخ منذ ذلك الوقت •

وكان يجرى رفع الماء بواسطة أوعية تدلى فى البئر ، وكثيرا ما كانت هذه الأوعية تسقط فى الماء ، واكتشفت أثناء عمليات الحفر •

وعثر أيضا على صندوق وبعض الأكواب المصنوعة من الاستيتيت وهو نوع من الأحجار (لوحة — ٤) والى جانب ذلك ، عثر أيضا على مسلة برونزية وحوالى مائة مطرقة ، وأحجار للطحن والسحق التى كانت قد سقطت فى البئر ، إن غالبية أنواع الأوعية التى عثر عليها كانت حتى الآن مجهولة ، وقد أدى اكتشافها الى توضيح صناعة الأوانى الفخارية العمانية قبل الميلاد بثلاثة آلاف عام •

المنزل — ٢ — فى حالة متوسطة وتعتبر جدران الأساس التى يبلغ طول الواحدة منها ٢٨ مترا وسمكها ١ر٤٠ مترا ، ركنا واحدا من المبنى ولكن وظيفتها مازالت حتى الآن مجهولة • ومع ذلك ، فإنها تعتبر أحسن الآثار التى عثر عليها •

وقد استخرج منها كتلة من شظايا سبائك نحاسية (الشكل — ٣) وختم فريد ، ولهذا الختم شكل منشورى مع قسم منحرف الشكل يحمل صورا على الجوانب الكبيرة الثلاثة • وكل صورة منقوشة تمثل حيوانين اثنين ، إبلا وكبشا بريا ، وثورا أحدب الظهر وعقربا ، وكلبا ثم كبشا بريا أيضا •

ومن بين هذه الحيوانات تمتاز البقرة البرية عنها كلها بالجاذبية • (لوحة — ٥) وهذه تتناسب تماما مع الأدوات الفخارية التى عثر عليها

وفى « أم النور » حيث رسم بالزيت ثور محدودب الظهر بالإضافة الى قطع فضية صخرية •

وفى الفترة من ٣٠٠٠ الى ٢٠٠٠ سنة قبل الميلاد ، كانت هذه الحيوانات تسجل بالرسم فى كل من بلاد مابين النهرين والهند • وهذه التفاصيل والختم نفسه تقدم دليلا قويا على العلاقة بين شبه جزيرة عمان إذ ذاك والحضارتين •

المنزل ـــ ٣ ـــ أتاح أول دليل على طبقتين مختلفتين من حيثتراصف الطبقات والوظيفة (لوحة ـــ ٦) • وقد عثر فى المنطقة الصغيرة من هذا المنزل على حوالى ٣٥ موقدا ناريا على أشد المستويات انخفاضا •

وهى تحتوى على أحجار كثيرة مدببة الأطراف ورماد أسود وداكن • إننا نعتقد أن هناك كانت توقد النيران حيث كانت بوتقات التكرير تحمى • وعثر فى أرضية هذا المستوى المؤلف جزء منها من الطمى على قدر كبير يحتوى على كمية كبيرة من الفحم النباتى .

كما عثر فى منخفض مخطط صغير على فأس نحاس • إن كل هذه الأشياء التى عثر عليها تعطى انطباعا عن أن هذه المنطقة الصغيرة كانت ورشة صناعية نشطة للغاية •

وينتمى الوعاء أو القدر الآنف الذكر الى مجموعة من الخمسة قدور التى تعتبر أول أمثلة كاملة لهذا النوع من الخزف الذى عثر عليه فى عمان • كان المستوى الأول كله تحت المنزل السابق ، قد غطى بطبقة من الطمى ليكون بمثابة قاعدة لجدران الأساس لطبقة المنزل •

وجدير بالذكر أن تصميم الرسم الأرضى لهذا المنزل يطابق تقريبا

تصميم المنزل — ١ • وقد استخدم فى حشو الجدران كمية كبيرة من القطع المخلفة من الأفران والقوالب والخبث والأدوات الفخارية •

وقد جاءت هذه الشظايا من مستودعات الفضــلات المتخلفــة عــن الأعمال التى جرت فى الطبقة الأولى • والواضح أنه ليس لدينا دليل على أن انتاج النحــاس قد جرى فى هذه المرحلة الثانية • ولذلك فإن من الضرورى اجراء مزيد من البحث هنا •

ولكننا نعرف شيئاً كثيراً عن الحياة اليومية لهؤلاء الناس . فعلى منحدرات الجانب الآخر من الوادى (الفرع المتوسط) ، توجد مناجم خام النحاس • وتبين أعمال الحفر العميقة فى زهاء ١٠٫٠٠٠ متر مكعب من أين كان يستخرج خام النحاس (ما يسار — ٢) (شكل — ٢) •

وعثر على قمة هذا الجانبمن الوادى المذكور على أكثر من ١٢٨ قبرا تابعة لمقابر عديدة حول المستوطنة وعلى قمم التلال والجبال المجــاورة فى الجنوب والغرب •

وتنتمى القبور ، بالنسبة لأسلوب انشــائها ، الى « جمدة نصر » (Jemdet Nasr) و « أم النور » والى أنماط لاحقة ، وهكذا ، فانها تمثــل ثقافــات وحضــارات الناس الذين كانــوا يعمــلون فى وادى « مايسار » فى العصر البرونزى •

إن معظم القبور لسوء الحظ قد أصيبت بتلف بالغ ، وقد دل التصميم الأرضى للقبور التى تشبه فى طريقة انشائها خلية النحل على أنها منشآت دائرية تتألف من ثلاثة أو أربعة صفوف من الحجارة مرتبة على شــكل دائرة •

وتضم أحيانا غرفة المدفن التى تكون بيضاوية أو مستطيلة الشكل . ومن سوء الحظ أنه ثبت من الآثار التى تم العثور عليها بواسطة أعمال الحفر أن أكثر الطبقات الحجرية انخفاضا هى الطبقة المحفوظة .

ولكن بعض العينات المحطمة الأخرى التى عثر عليها شمال المنطقة ما يسار — ٣ ، تدل على أنها كانت ذات قباب .

وإلى جانب ذلك تثبت الأوانى الفخارية السوداء الرمادية والأوانى ذات اللونين الأسود والأحمر بأن تاريخها يعود إلى منتصف الثلاثة آلاف عام قبل الميلاد .

ولقد عثر على فأس طويلة مسطحة ، وهى فريدة فى نوعها فى عمان مخبأة مع ثلاث جماجم تحت أحجار كبيرة من قبر مايسار ٤ — ١ (لوحة — ٧) .

وليس ثمة شك فى أن المستوطنة والمناجم والقبور متزامنة الى حد ما ، ولكن علاقتها ببعضها البعض مازالت بحاجة إلى توضيح بإجراء حفريات جديدة .

وقد تلقينا منذ ثلاثة أسابيع فقط معلومات مثيرة حول الحياة الزراعية لشعب مايسار . واستطعنا أن نميز من الصور التى التقطت من الجو لوادى مايسار نماذج الحقول بين الفرعين الأوسط والغربى لوادى سمد (Samad) وقد تم تحديدهما إما بحدود حاجزة للمياه أو بحفرات نهائية لشبكة رى فرعية .

وتعتبر هذه أقدم حقول معروفة فى شبه جزيرة العرب . وهناك حاجة إلى مزيد من البحث لإثبات ما إذا كانت أشجار النخيل قد زرعت هنـاك .

وهى حقيقة لن تكون مثيرة للدهشة حيث أنه حدث فى موسم عام ١٩٨٠ أن اكتشف حجر يعود تاريخه الى ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد •

إن السد الذى يمتد من برج مايسار — ٢٥ المحصن الى الشرق ، يجعل لهذه الأنماط الزراعية معنى ، لأنه يحتفظ بالمياه السطحية والطمى •

وينتمى هذا البرج الدائرى المحصن الذى يبلغ طوله حوالى ٢٢ مترا ويبلغ سمك جداره الخارجى ١٫٦٠ مترا ، الى نمط بناء كان شائعاً منذ ثلاثة آلاف سنة ، لأن هذه الأنماط كان يمكن إيجادها فردية أو فى مجموعات بالقرب من كل مستوطنة من مستوطنات هامة من العصر البرونزى (لوحة ٨) •

والواضح أن هذه الأبراج فى كل من مايسار و « بات » وهيلى «Hili» وفيرق «Firq» ، تعكس نظاما اجتماعيا مكن القرويين من بناء مثل هذه الكيانات الضخمة •

لم يقم أفراد ببنائها ، ولكنها يمكن أن تكون قد سكنها أفراد من علية القوم • وفى خصبة «Khasbah» الواقعة على بعد عشرة كيلو مترات جنوبى مايسار ، تظهروظيفة هذه الأبراج بوضوح •

وهناك برجان واحد على كل جانب من جانبى وادى سمد ، على مسافة حوالى ٨٠٠ متر بينهما وكانت تسيطر بوضوح على الطريق التى تسير بحذاء الوادى •

وثمة مبنى مستطيل الشكل تبلغ مقاساته ٢٨ مترا × ٣٠ مترا وقد شيد من حجارة صخرية كبيرة ، يمثل نمطا من المنشآت الهامة التى يرجع تاريخها الى ٣٠٠٠ سنة قبل الميلاد (تم تحديد التاريخ من الأوانى الفخارية التى مازالت فريدة فى نوعها فى عمان) •

أن أكثر النتائج المثيرة للدهشة لأعمال الحفر التى أجريت فى مايسار — ١ هى الأهمية الفريدة التى كان يتمتع بها إنتاج النحاس هناك ، لأن المعدن كان شائعاً هناك • ومن خصائص موقع مايسار — ١ العدد الضخم لشظايا السبائك النحاسية ، ويتراوح قطر كل شظية منها بين ستة سنتمترات إلى ٢٢ سنتمترا •

ولعل القطع الصغيرة منها تمثل العملية النهائية التى كانت تجرى فى البوتقات فى حين أن القطع الكبيرة يمكن أن تكون قد مرت فقط فى المرحلة الأولى من الإنتاج • كيف كان يجرى إنتاج هذا النحاس ؟ .

يعتبر المنزل — ١ ذا أهمية بالغة بالنسبة لإنتاج النحاس فى الأزمان الغابرة •• لقد بنى فى إحدى الغرف إفريز بيضاوى الشكل ، وفرن يشبه ثمرة الكمثرى •

ولقد مكنتنا شظايا الأفران من إعادة تركيب قاعدة دائرية يبلغ قطرها ٤٠ سنتيمترا وارتفاعها ٥٠ سنتيمترا تقريبا • (لوحة — ٩) •

وقد وضع هذا الشكل على أساس خبرة حرارية • فقد كان الجزء الداخلى المغلق يحتفظ بدرجة حرارة قدرها ١١٥٠ سنتجراد وكانت المدخنة الطويلة تسمح لغازات الضغط بالتسرب .

وفى الداخل كان يجرى خلط الفحم النباتى والخام فى طبقات عديدة • وكان الفحم النباتى يحول الخام الكبريتيدى إلى نحاس كبريتيدى أو الخليط الكبريتيدى ، الذى عثرت منه على قطع كثيرة •

وهذا الخليط الكبريتيدى يحتاج إلى عملية إعادة صهر • وأثناء هذه العملية التى كانت تجرى أيضا فى الأفران ، كان الكبريت كله يحترق •

وهناك مرحلتان أخريان فى البوتقات كانت تنتهى بالعملية إلى نحاس نقى حيث كان يسكب فى ثقوب مسطحة فى الرمل (لوحة — ١٠) •

وكان هذا يضفى على السبائك النحاسية « شكل كعكة منفوخة » ذات مسطح • وكانت المراحل المختلفة لصهر النحاس تتحدد بتحليل أنواع الخبث المختلفة •

وليس ثمة شك فى أن انتاج النحـــاس كان من أهم الأنشـــطة فى مايسار • وقد أثبتت ذلك الحقائق التالية : فى مايسار — ١ حيث عثر على أجسام من النحاس أكثر مما وجد فى الحفريات التى أجريت فى بامبور وتيب سبالك وتيب هيسار و « تيب يحيى » فى إيران .

وكانت المستوطنة تنتج سبائك نحاسية أكثر مما عرف من حفريات استمرت ١٥٠ عاما فى منطقة الشرق الأدنى بأسرها •

إن الحجم الصـــغير نسبياً لهذا الموقع يجعـــل هذه الحقائق أكثر استثناء • لقد انتجت مايسار — ١ فائضا من النحاس لم يضارعه أى إنتاج فى البلدان الأخرى فى منطقة الخليج • إن عملية الحفر الصغيرة التى قمنا بها فى حد ذاتها لا تتيح رداً على مسألة « ماكان » •

على أنه أثناء موسم ١٩٨٠ الذى قمنا به بين المنشآت الكبيرة للمناجم والصــــهر فى العصر الوســــيط فى مصره (Masra) وملق (Mullaq) عزلنا لأول مرة الأوانى الفخارية وشظايا الأفران التى يعود تاريخها الى ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد •

وهذا ذو أهمية هائلة • ولعله يدل على أن جميع المواقع الوسيطة قد استغلت فى عصور ما قبلالتاريخ •

وإذا وضعنا ذلك نصب أعيننا ، فإن هذه المواقع مجتمعة قد انتجت فائضاً من النحاس الذى كان فريداً أثناء الثلاثة آلاف عام قبل الميلاد ، وهـذا يؤيد ربط عمـان ماقبل التـاريخ مع « ماكان » ذات المصـادر التاريخيـة •

وصفوة القول نستطيع أن نوجز ما تقدم فى النقاط التالية :

١ ــ تقع عمان بين سومر والبحرين •

٢ ــ وهى بلاد جبلية ولابد أنها كانت مثل جبال رأس « مسندم » • «Mu sandaın» قد بدت جذابة للبحارة السومريين •

٣ ــ إن جبال عمان غنية بالدوريت •

٤ ــ أثناء العصر البرونزى ، كانت عمان غنية بالنحاس إلى حـد أنها كانت مهملة بالنسبة للتخلص من المشتقات المختلفة منذ ٥٠٠٠ ــ ٤٠٠٠ سنة قبل الميلاد •

٥ ــ ٦ ــ تعتبر مجموعات المبانى فى جميع أنحاء عمان دليـلا على وجود نظام اجتماعى متطور حيث كانت الزراعة والرى من الأمور العـادية •

٧ ــ ان وجود وثائق مختومة يعتبر نوعاً من الفن الحقيقى فى بيئة اجتماعية كبيرة حيث كان استخدام الختم شائعاً • وهذا أمر يمكن فهمه نظراً لوجود الاتصال مع ثقافتى سومر ووادى السند •

وفى الختام ، نعتقد لأسباب مختلفة أن جبال عمان تعرف باسـم « كور ناغنه » ، وجبال « ماكان » • إن المسألة هى مسألة وقت وإجراء مزيد من البحث الأثرى قبل أن نحصل على دليل نهائى قاطع •

ملاحظـــات :

مراجـــع :

مرجع للمؤلف : G. Weisberger تحت عنوان « ٠٠٠٠ والنحاس فى عمان »
مشروع عمان لبناء متحف عمال المناجم الألمانى .

وصف الأشكال :

شكل — ١ مواقع أعمال التعدين والصهر فى عمان •

شكل — ٢ مواقع مايسار • م — ١ مستوطنة ، م — ٢ مناجم ذات حفر تعـدين مكشـوفة ، م — ٣ زجمات من الحجـــارة •

شكل — ٣ مايسار — ١ — شظايا من السبائك النحاسية •

كلام اللوحات :

لوحة ١ — مايسار — ١ ، منزل ١ • حفرة فرن فى وسط الغرفة الأولى • وعند المنحـدر فى المناجم الخلفيـة تقع مايسار — ٢ •

لوحة ٢ — مايسار — ١ ، حفريات ١٩٨٠ ، صورة جوية التقطت من بالون •

لوحة ٣ — مايسار — ١ ، منزل ٣ ، منظر من الشرق بئر التهوية •

لوحة ٤ — مايسار — ١ ، منزل ٣ ، وعاء ستيتيتى ، خارج البئر •

لوحة ٥ — مايسار — ١ ، منـزل ٤ ، ختم سـتيتيتى موشورى (٤١٨٢) •

لوحة ٦ — مايسار — ١ ، منزل ٣١ طبقتان استراتيجرافيتان •• جدار حجرى مبنى على موقد من الطمى •

لوحة ٧ — مايسار — ٤ • قبــر ١ ، فأس نحاســية / برونزية (د أ ٤٣٠٥) •

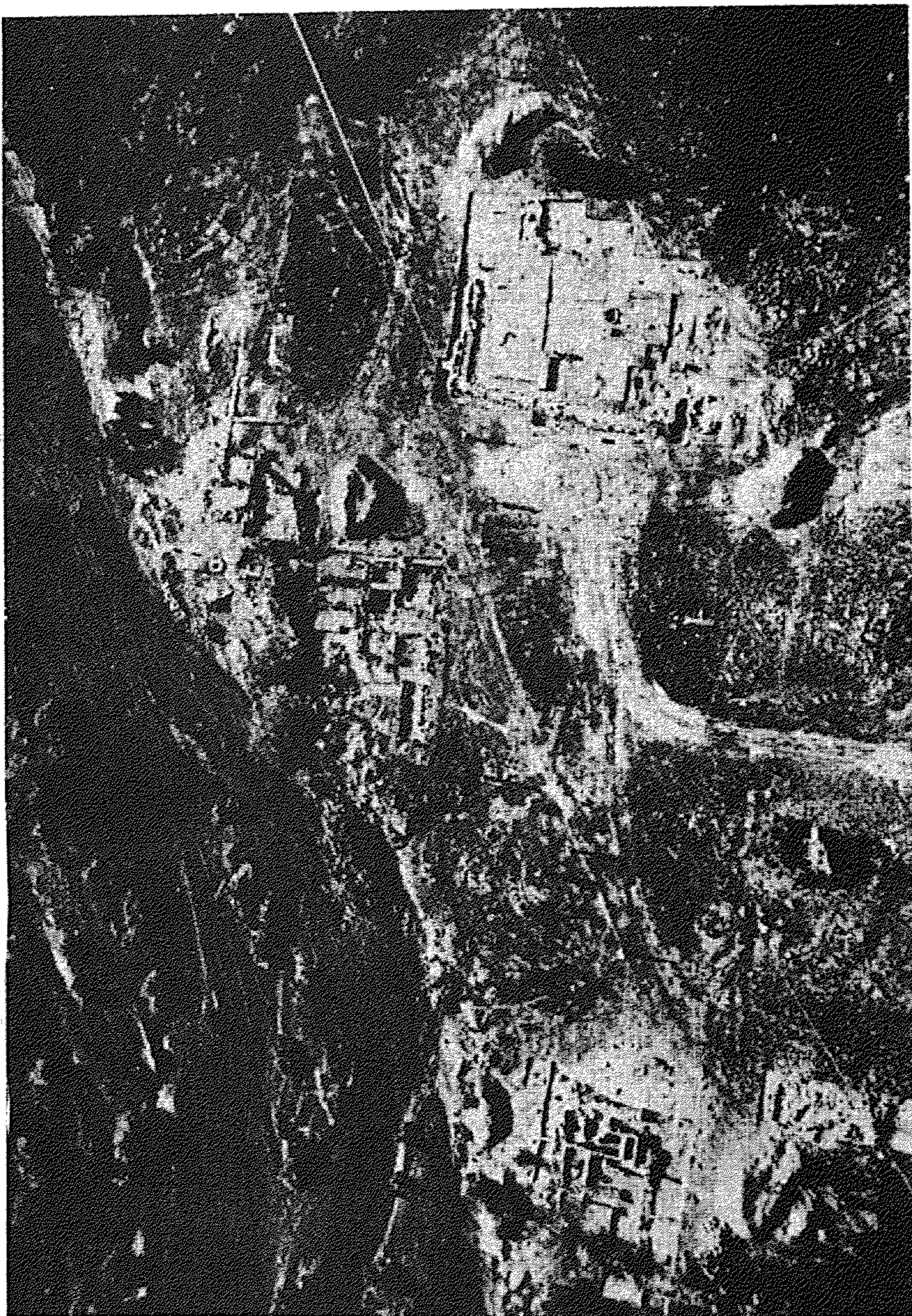
لوحة ٨ — مايسار — ٢٥ منطاد مع كامــيرا يعمل فــوق القلعة المستديرة •

لوحة ٩ — مايسار — ١ • قاع فرن للصهر مملوء بالشظايا •

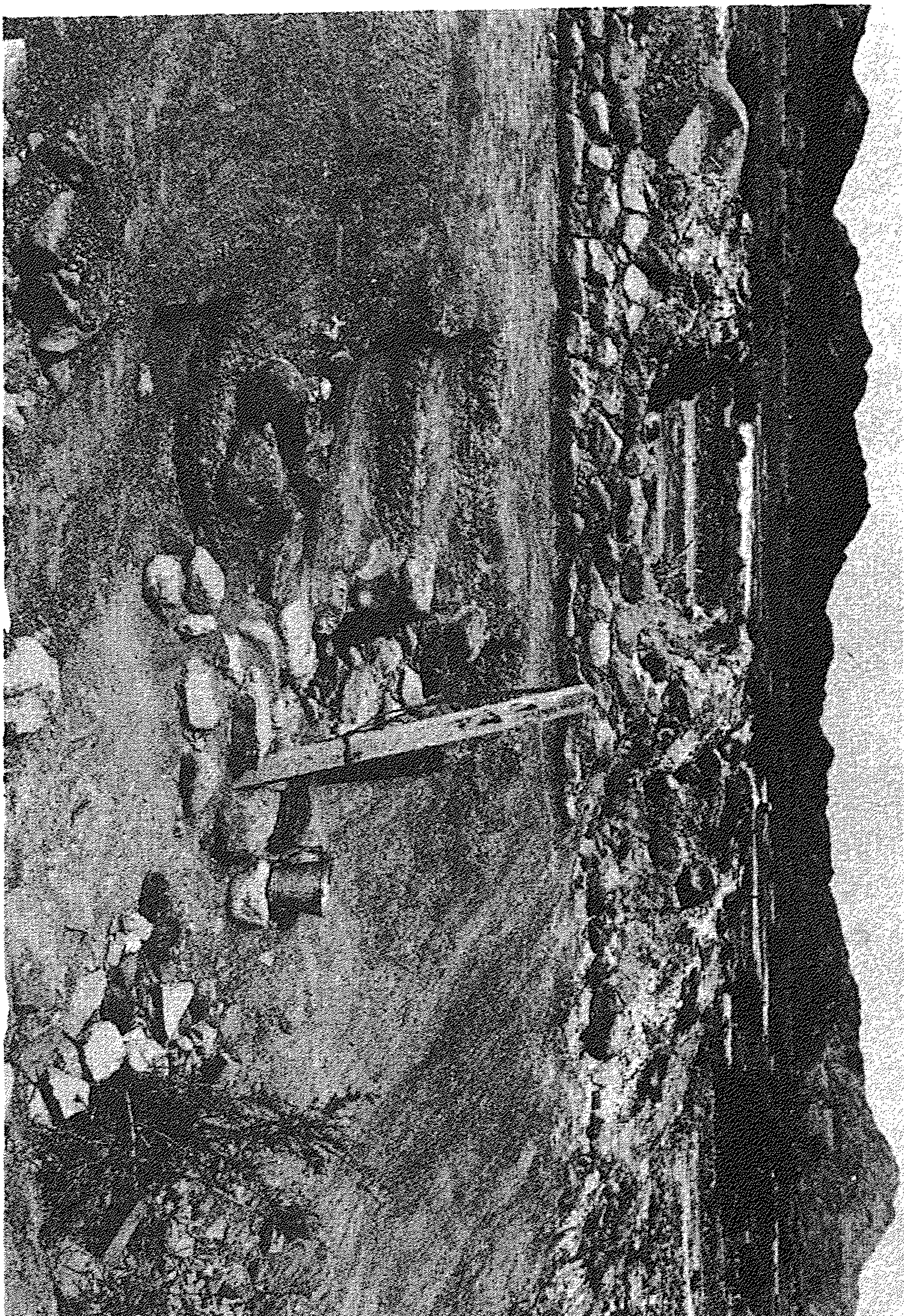
لوحة ١٠ — مايسار — ١ • منزل — ٤ كومة من السبائك النحاسية الى جانبه، موقد عثر عليها عام ١٩٨١ •



لوحة رقم (١)



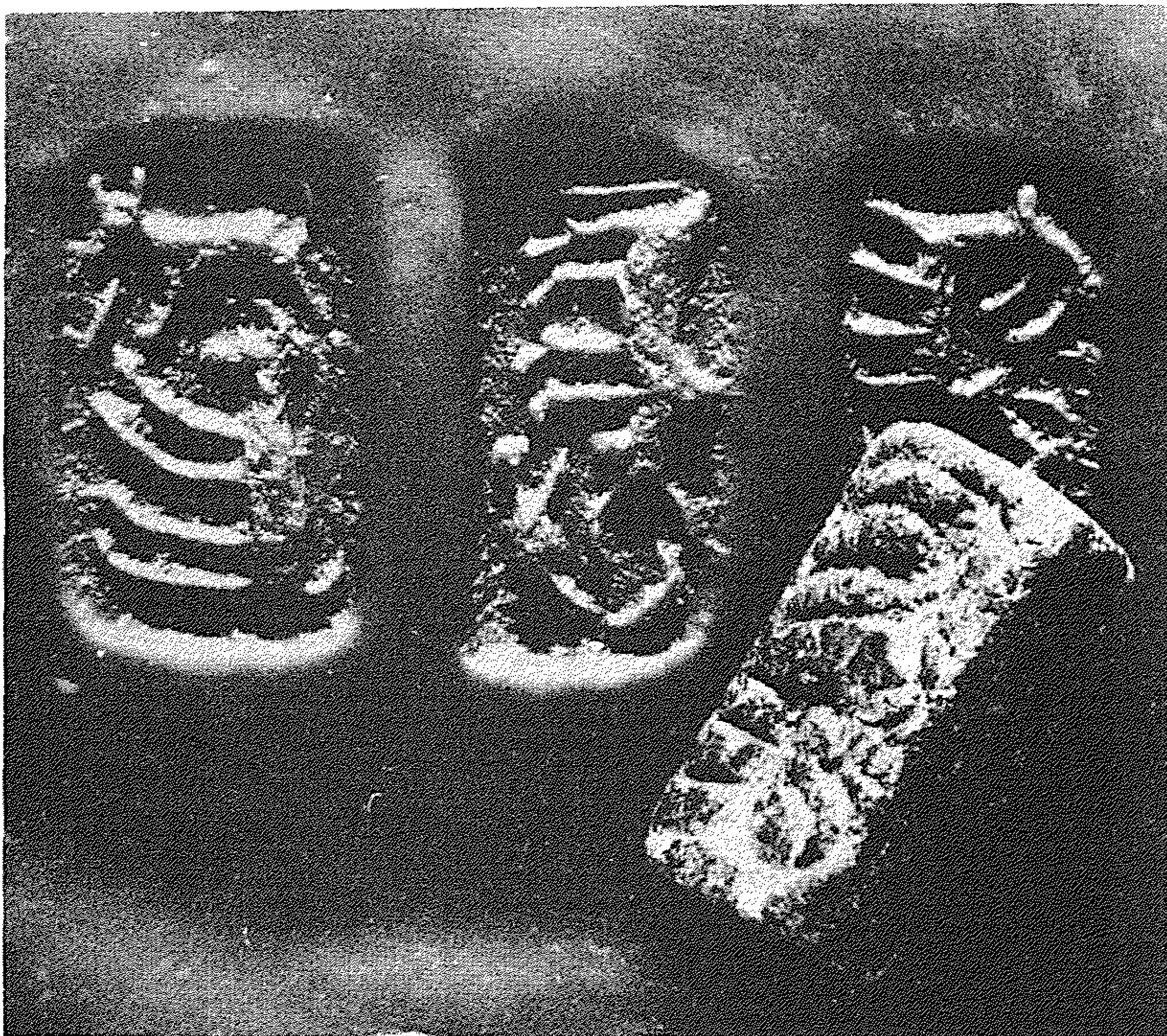
لوحة رقم (٢)



لوحة رقم (٢)

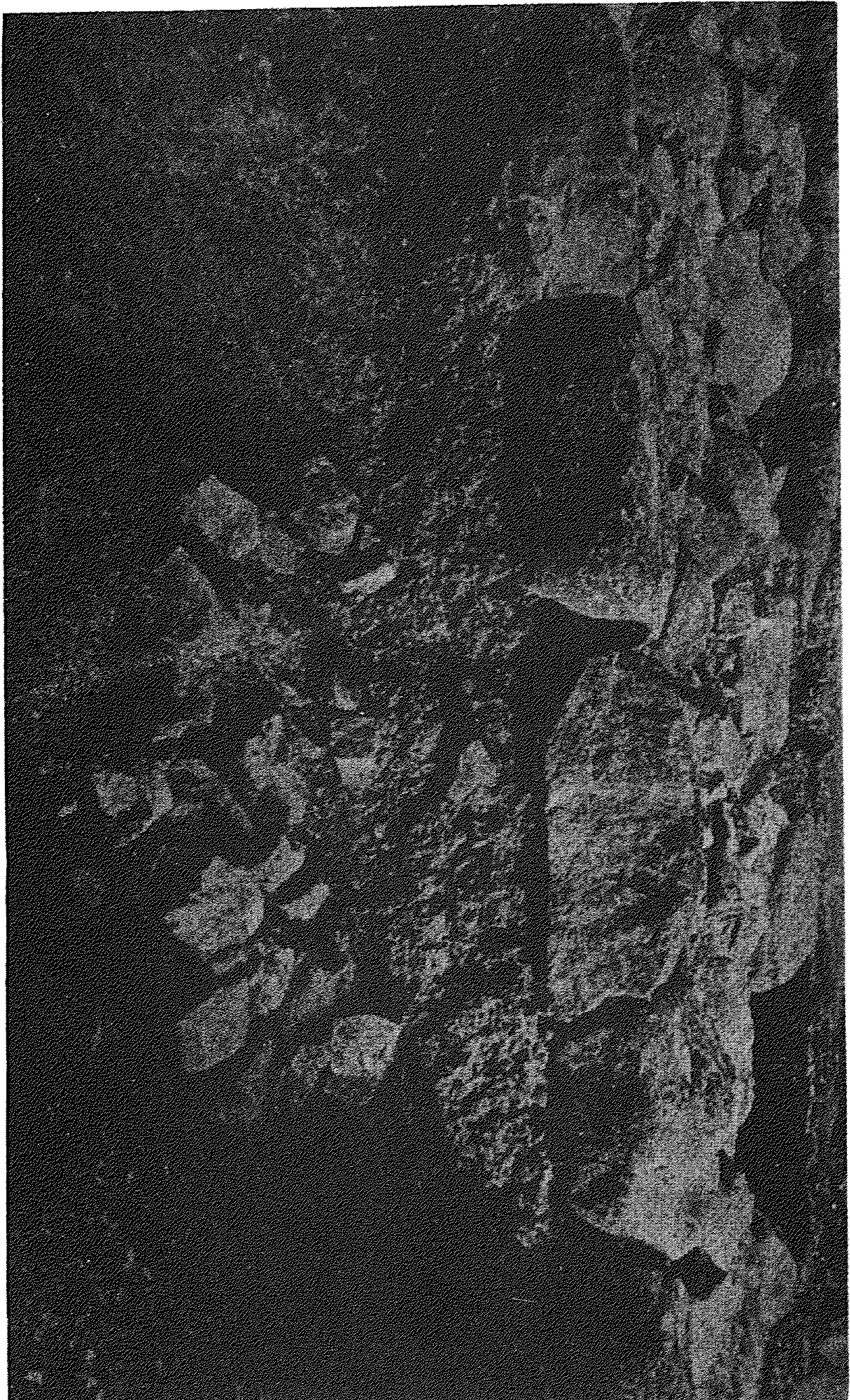


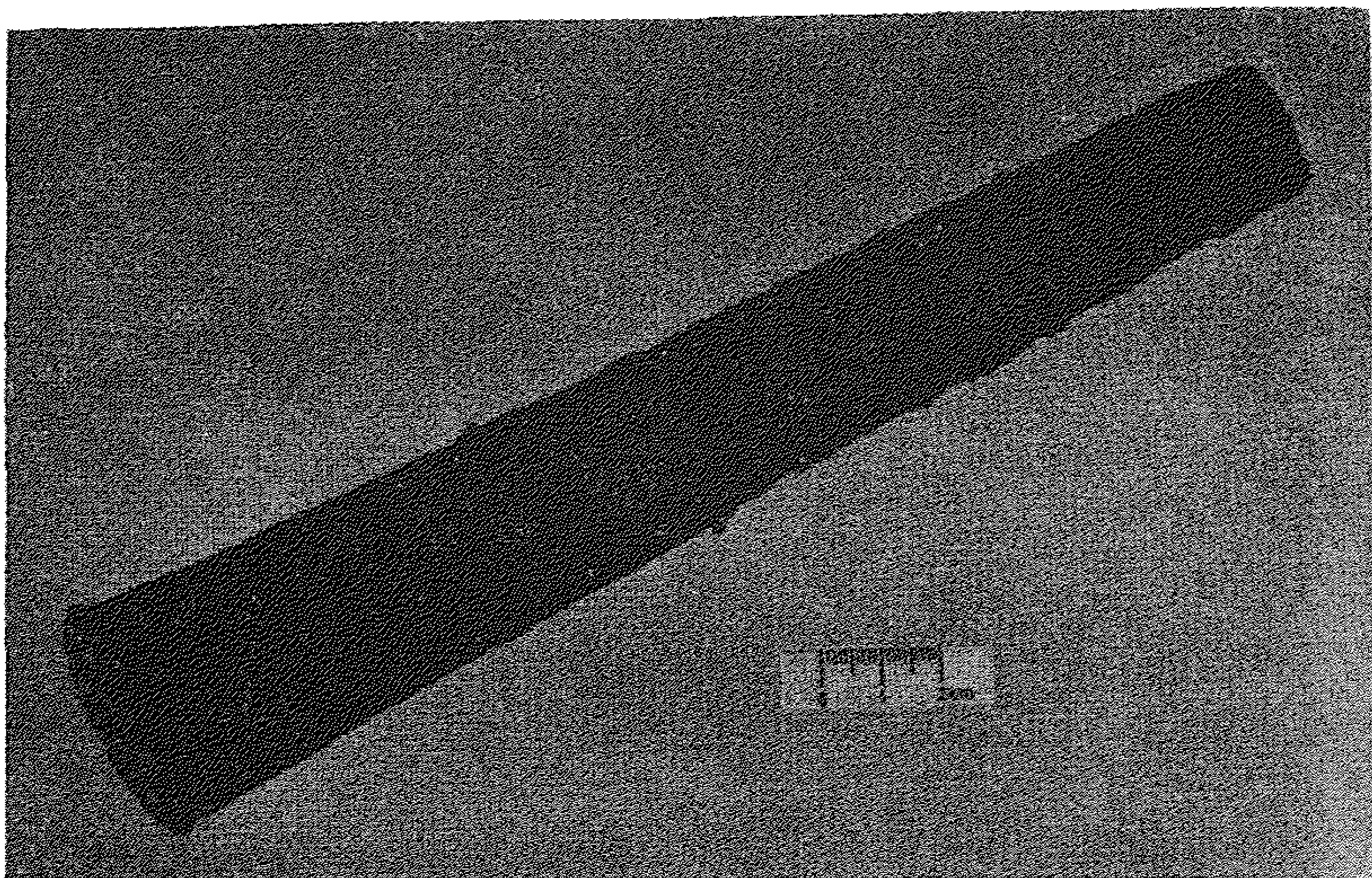
لوحة رقم (٤)



لوحة رقم (٥)

لوحة رقم (٦)

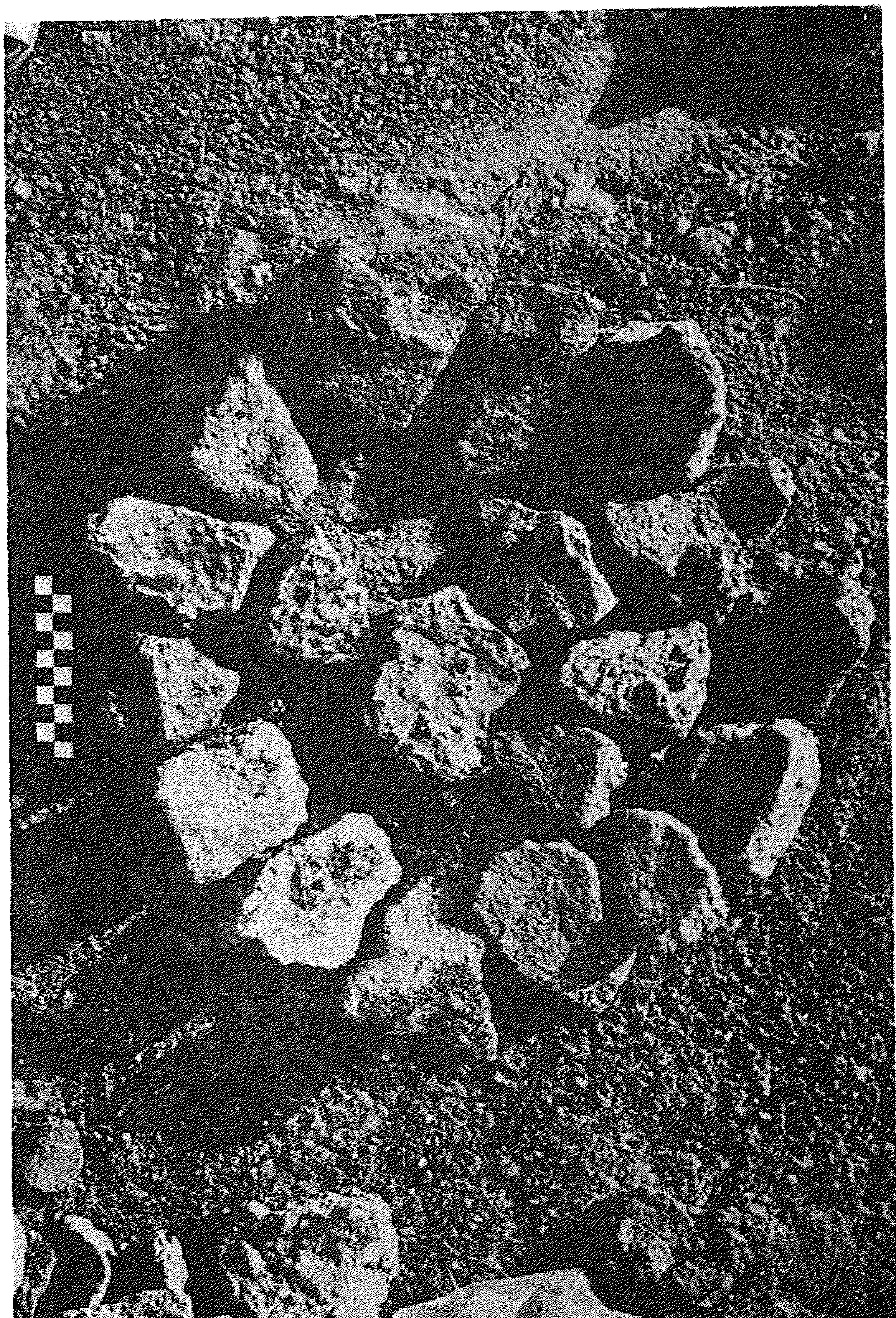




لوحة رقم (٧)



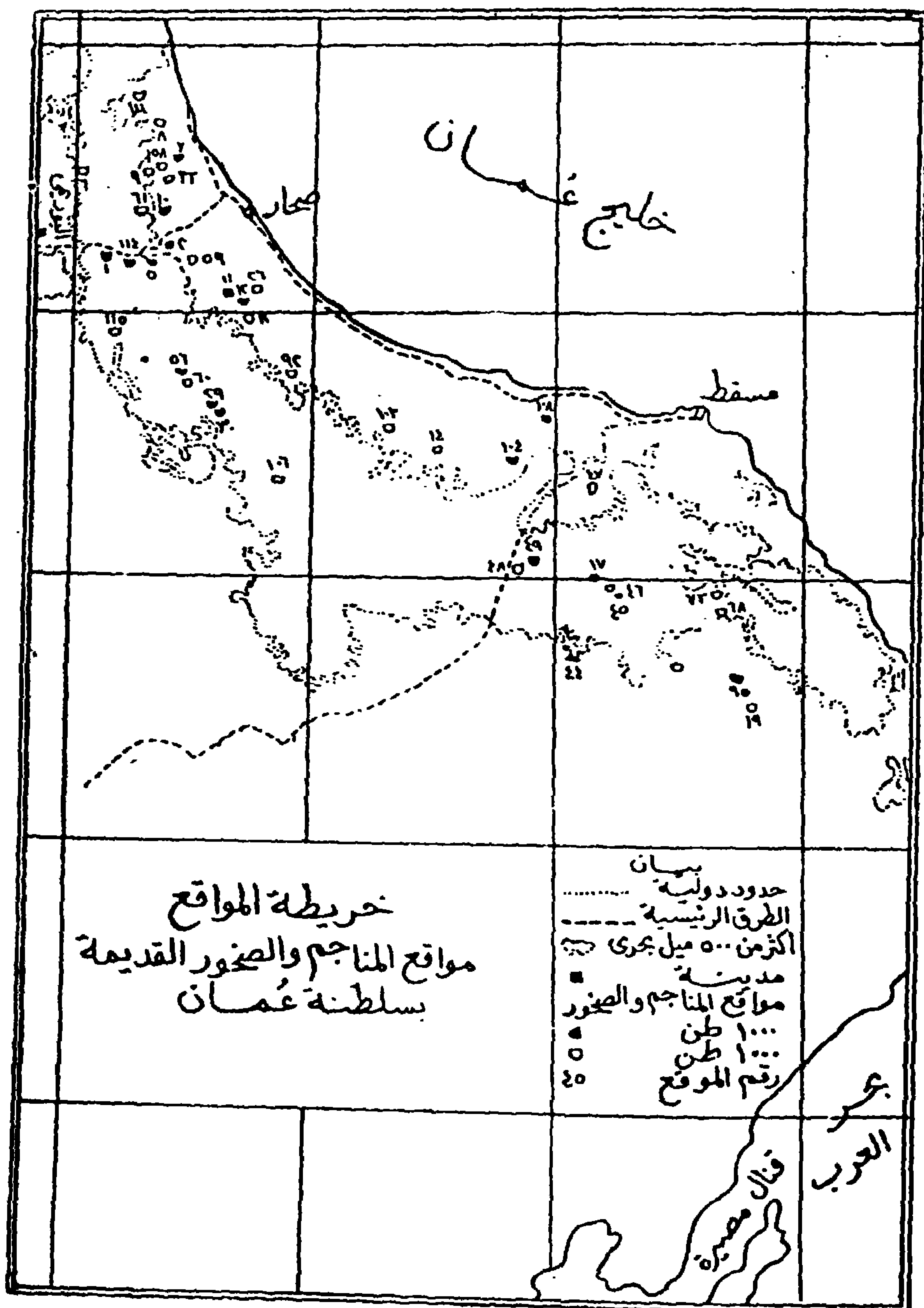
لوحة رقم (٨)



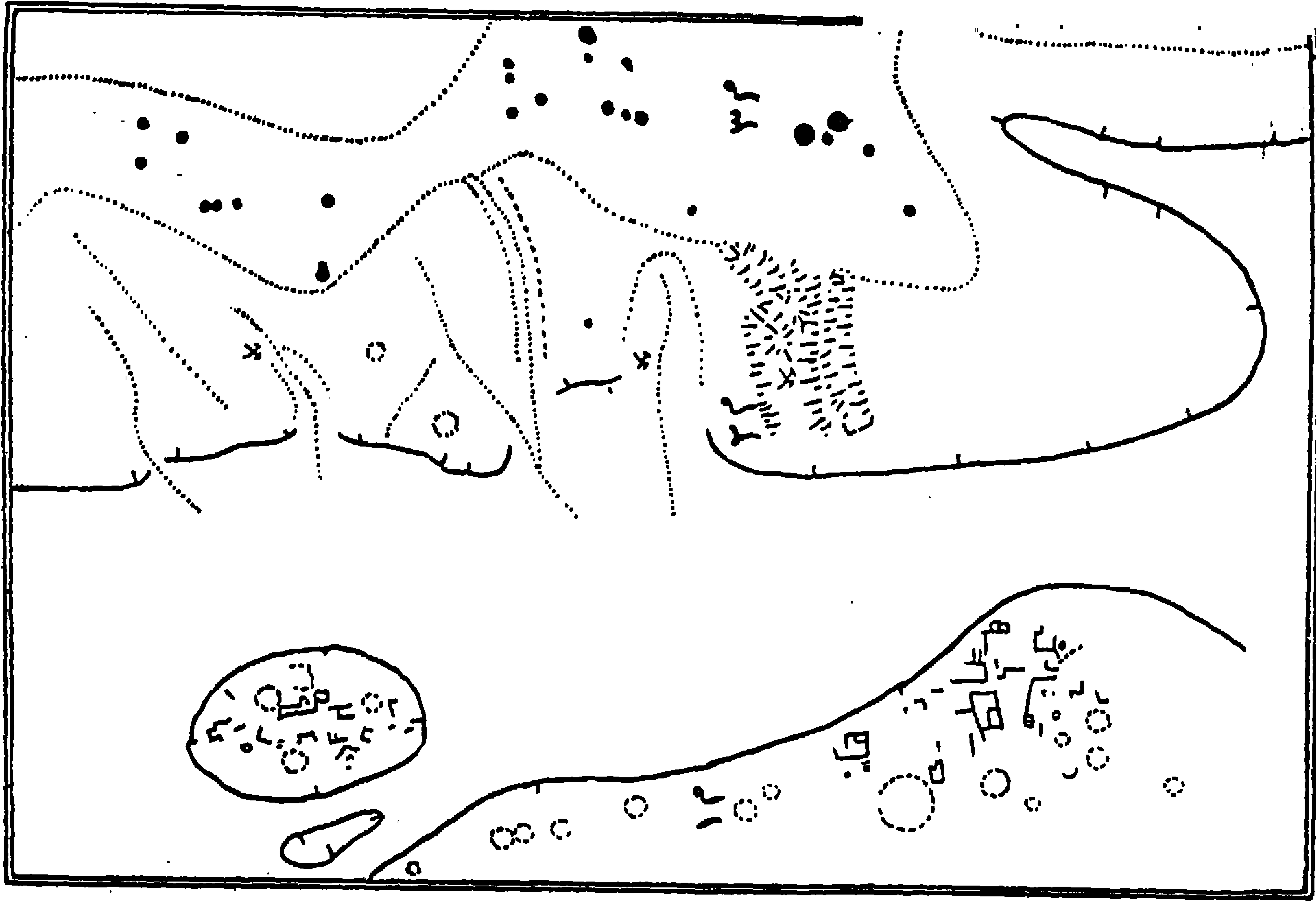
لوحة رقم (٩)



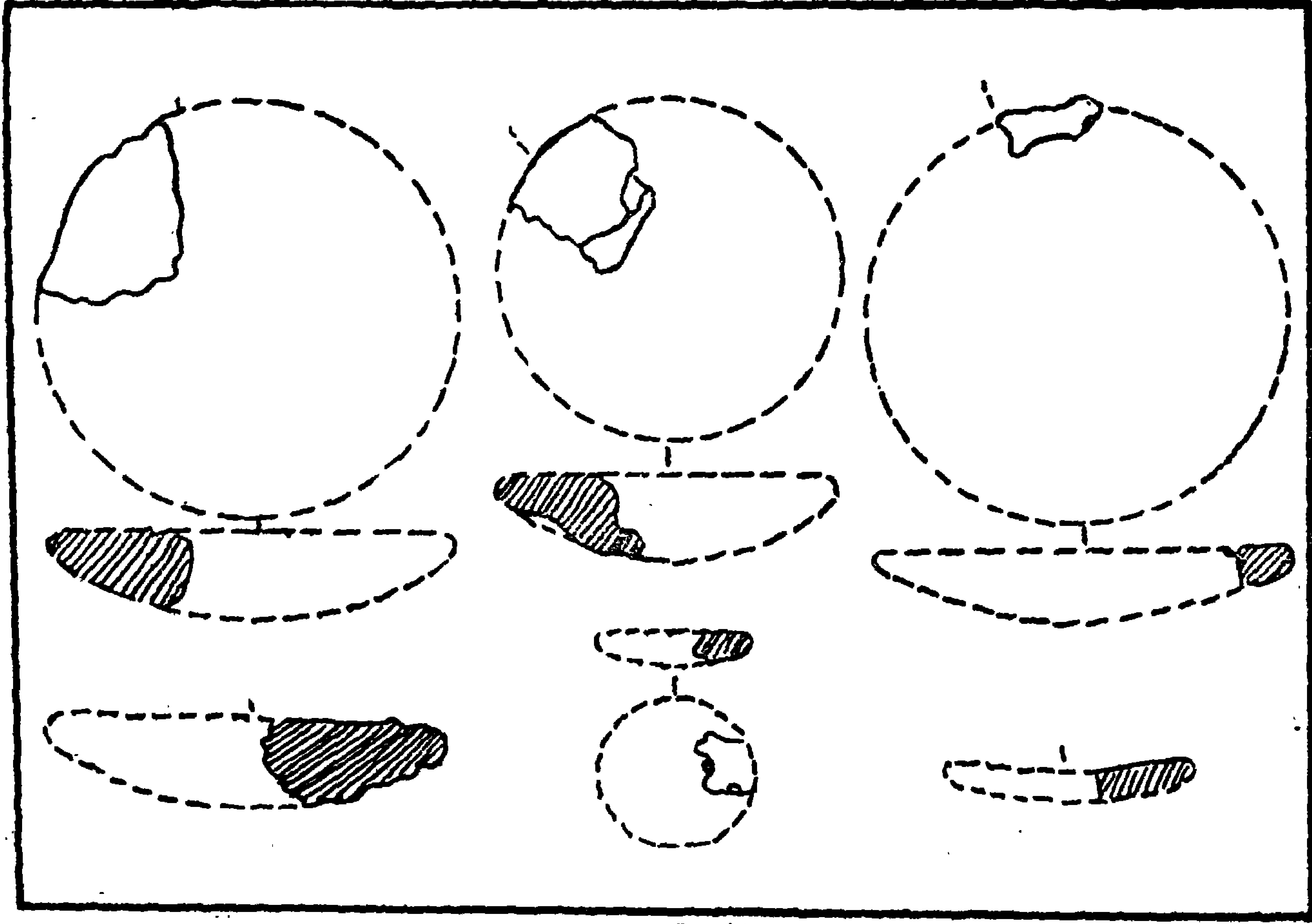
لوحة رقم (١٠)



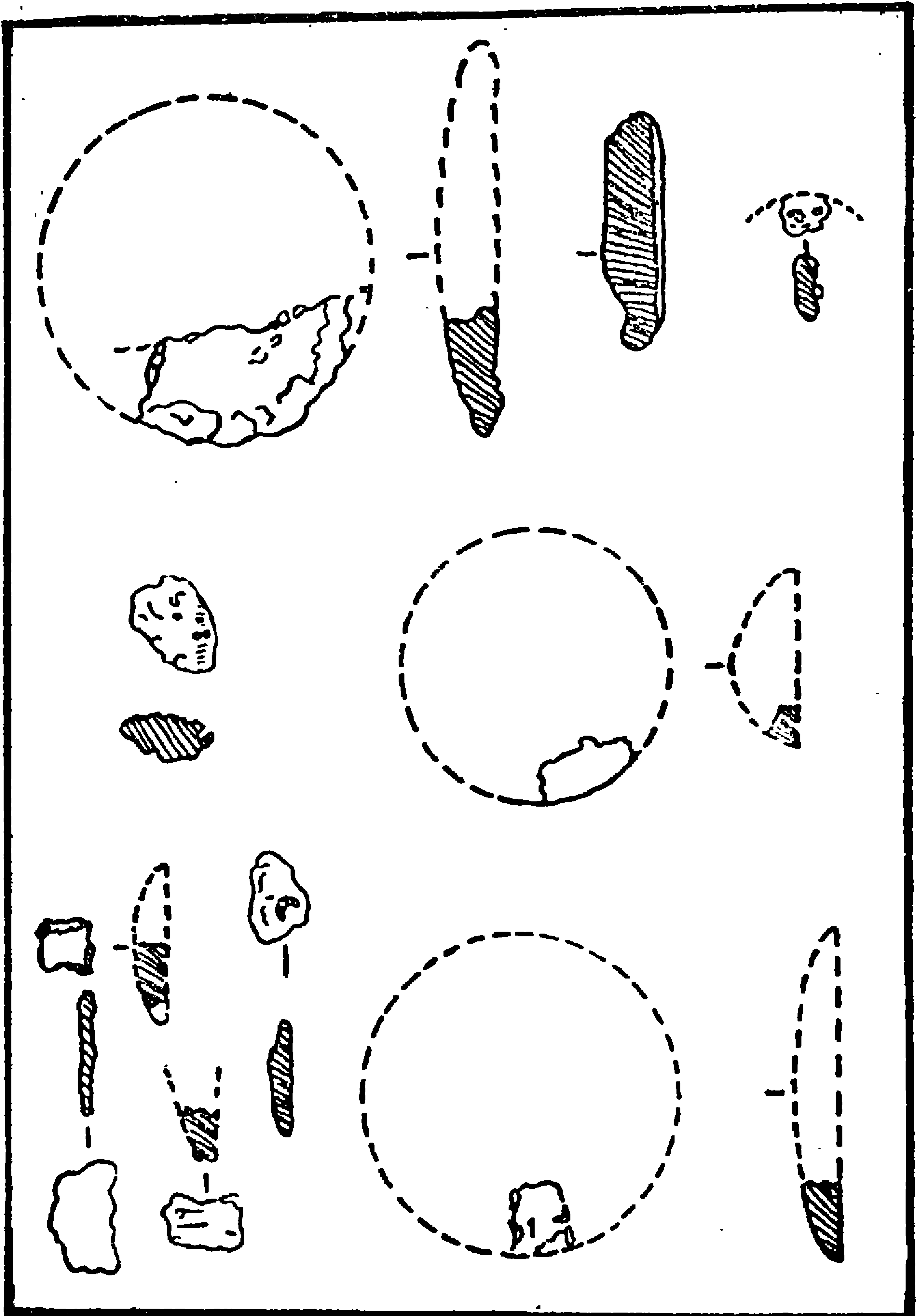
شكل رقم (١)
مواقع اعمال التعدين وصهر النحاس القديمة فى عمان



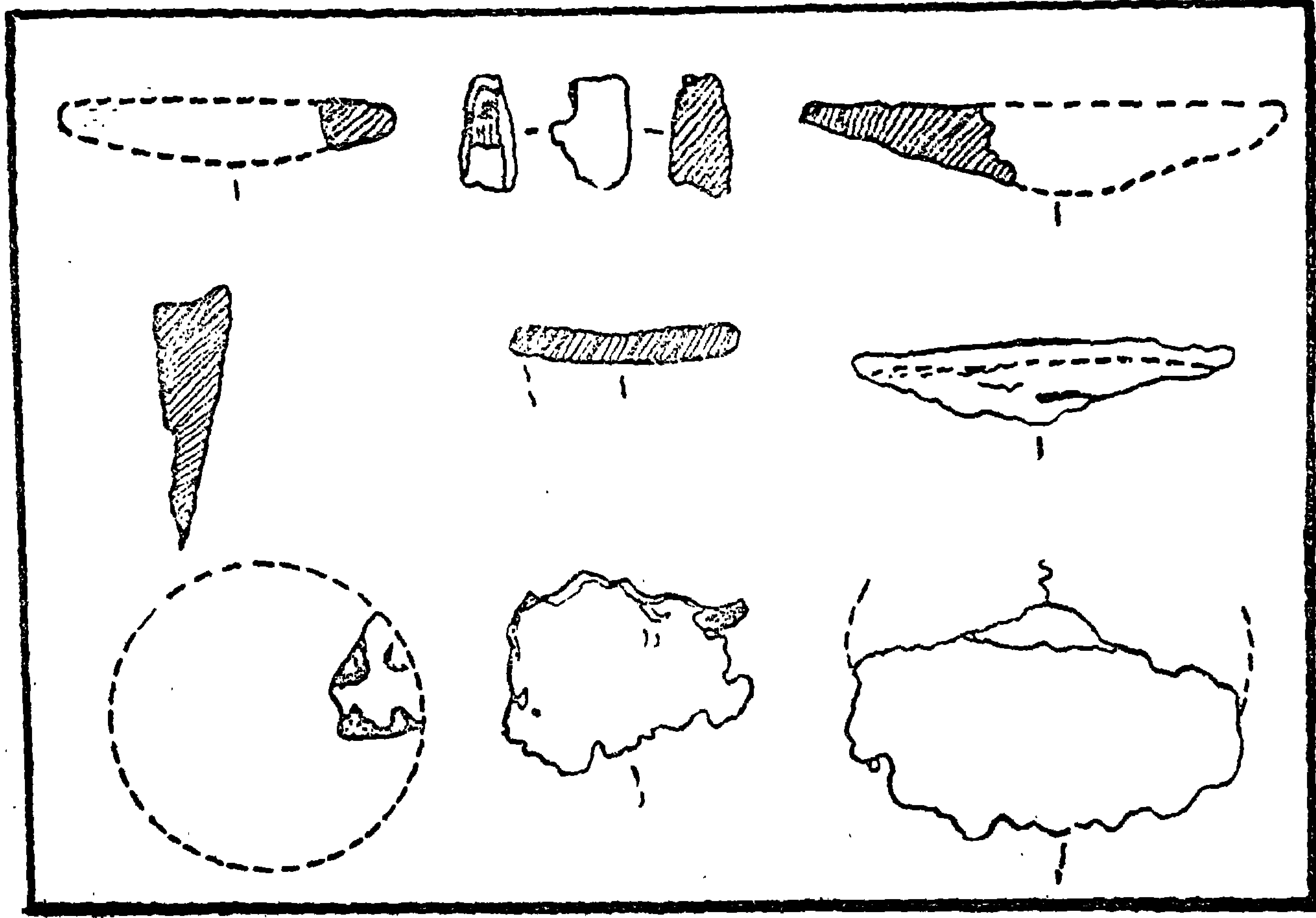
شكل رقم (٢)
مواقع منطقة مايسار القديمة للتعدين (م ١) مستوطنة (م ٢)
مناجم ذات حفر تعدين مكشوفة (م ٣) زجمات من الحجــارة



شكل رقم (٣)
استغلال النحاس فى عمان



شكل رقم (٤)
استغلال النحاس في عمان



شكل رقم (٥)

صناعة وتجارة السّلاح
فى جنوب شـرقى الجـزيـرة العـربيـة
فى العهـد الإسـلامى الأول

مستر . دى . نيكول

Arms Manufacture and Arms Trade in South East Arabian
in the Early Muslim Era

Mr. D. Nicolle

« جعل على أهل بابل والبحرين وعمان ألف درع ، وعلى أهل اليمن ألف درع ومن ذلك الخراج سيوف » (١) .

إن ما دعانى إلى وضع هذا البحث هو هذه العبارة الغامضة التى وردت فى كتاب « الهمدانى » عن جنوب شبه الجزيرة العربية وهو الكتاب المعروف باسم « الإكليل » .

إن من الصعوبة بمكان الشك فى قيمة هذا المرجع لأن مؤلفه حسان ابن أحمد الهمدانى (٨٩٣ — ٩٤٥) كان يمنى الأصل وكتب بشكل موثوق فيه عن كل المناطق فى شبه الجزيرة العربية فى مؤلفات مختلفة (٢) .

ومع ذلك تثور بعض الأسئلة عن هذه الفقرة الفريدة المقتبسة من كتابه . ما هو نوع الأسلحة التى كانت تنتج فى عمان والبحرين والعراق واليمن فى أوائل القرن العاشر ؟ ومم كانت تصنع ؟ وما هى العلاقة التى قد تكون بين صناعة هذه الأسلحة والمعادن المعروفة والثروات الأخرى فى هذه المناطق ؟ أو علاقتها بثروات الحديد وغيرها من المواد الأساسية التى كانت تعتبر كعناصر فى التجارة الدولية ؟ .

يبدو أن الحديد كان يستخرج من معادن فى شمال وجنوب الحجاز ، وكان الجلد اليمنى والنحاس العمانى يدخل فى تزيين تلك الأسلحة والدروع (٣) .

ورغم أن الدلائل الوثيقة المعاصرة التى تعطى أهمية أكبر الى مناجم النحاس فى الأقاليم الإسلامية (٤) الأخرى إلا أن أدلة الحفريات الأثرية تفيد بأن إنتاج النحاس العمانى فى أوائل العصر الإسلامى كان أكبر أهمية مما كان معروفا من قبل (٥) .

وليس ثمة شك فى أن النحاس كان يستخدم فى صناعة الأسلحة البرونزية المختلفة • ولسوء الحظ فإننا نفتقر إلى الدليل القاطع « أو الدليل المدعم بالآثار الذى يؤكد أو ينفى أن النحاس كان حقاً يستخدم بهذا الشكل •

أما الدليل الذى ما زال متاحا فهو دليل عرضى وان كنت أعتقد أنه يشير إلى استخدام مستمر للأسلحة البرونزية فى أوائل العصر الإسلامى •

وقد تكون أدلة الآثار الخاصة بالاستخدام المتصل لمعدات البرونز فى هذه المناطق التى شاعت فى جميع الأراضى الإسلامية لها مغزاها ••• حتى لو تجاهل الإنسان الاتجاه إلى أن البرونز يعيش أطول من الحديد فى ظروف ترابية كثيرة •

ويوحى مثل هذا الدليل بأن التأكيد على الأسلحة البرونزية المختلفة كان مرده إلى تميزه بالبقاء مدة أطول فى أجزاء الشرق الأوسط ، مما كان عليه فى العصور المظلمة فى أوروبا وآسيا الوسطى •

لكن البرونز والمعدات العسكرية الأخرى التى تعتمد على النحاس فى صناعتها استمر وجودها بدون شك فى أوروبا حتى القرن الرابع عشر الميلادى • وإلى جانب ذلك يوحى بأن هذه الحالة كانت واضحة فى بعض المناطق فى الشرق الأوسط •

ولكن ليس فى مناطق أخرى • وهذا بالطبع لا ينبغى أن يكون مثيراً للدهشة ، إذا أخذنا فى الاعتبار اختلاف الموارد المعدنية وغيرها فى كل إقليم •

ولقد عثر بالفعل على ميزان صغير مصنوع من النحاس أو البرونز

فى عمان . أو ربما يكون قلادة للزينة . إن هذا الأثر الذى عثر عليه بمحض الصدفة على بعد كيلو مترات قليلة جنوبى « نزوى » بين أدوات قبور مبعثـرة التى تعبر مبدئيا على أن تاريخها يعـود إلى أوائل الألف عام الميلادية الأولى .

وهذا الميزان يشبه موازين أخرى عثر عليها فى ديورا يوروبوس «Dura Europos» وهى تعتبر طبعاً أكثر إثارة بين عينـات الأسـلحة البرونزية التى اكتشفت حتى الآن وتقع «ديورا يوروبوس» على شاطىء نهر الفرات فى سوريا .

ومن بين الحرف اليدوية التى اشـتهرت بهـا الموازين والمنتجات البرونزية والحديدية والملابس الجلدية الواقية للرجال والجياد .

وكان معظمها متحطماً إلى شظايا ولكن عثر على درعين من دروع الرجال كاملين وسليمين .. إحـدهما من البرونز والأخـرى من رقائق الحـديد .

وباستثناء درعى الجياد وواحد أو اثنين من الأسلحة التى أمكن التعرف عليها ، فإن كل هذه المواد الهامة للغاية التى عثر عليها تتعرض حاليا للتلف بسرعة فى حجرة مخزن تحت صالة عرض بمعرض الفنون فى جامعة « ييل » بالولايات المتحدة . بل ولم يتم نشر شىء عن الأسـلحة التى تم العثور عليها فى « ديورا يوروبوس » حتى الآن (١) .

ويسود الاعتقاد بأن جميع هذه الدروع كانت تابعة للقوات الدفاعية ، وهكذا فإنه يرجح أنها من أصل رومانى — سورى . واكتشفت أيضا أجزاء مماثلة لأسلحة دفاعية فى أماكن أخرى داخل حدود الإمبراطورية الرومانية .. وإن لم تكن أبداً بنفس الكثرة التى عثر عليهـا فى ديورا يوروبوس .

وجدير بالذكر أنه عثر كذلك على أجزاء قليلة من الأسلحة منها خوذة رائعة وكاملة للقوات الساسانية الهجومية .. لكن يبدو أن كل هذه الأسلحة كانت من الحديد .

ويمكن أن تدل آثار أوكسيد النحاس التى يمكن رؤيتها على بعض أجزاء الدروع المنصهرة ، على أنها كانت مصنوعة من خليط من النحاس والحديد .. كالتى شوهدت فى دروع « فيندل » التى صنعت فى السويد أثناء عصور الظلام .

ويعتقد بأن هذه الدروع من أصل شرقى (٧) . ولكن هذا قد يكشف النقاب أيضا عن عوامل أخرى .

والواضح أنه ينبغى إجراء دراسة علمية مناسبة فورا حول الأسلحة التى تم العثور عليها . ومن بين الأسلحة البرونزية ، وهى أيضا أسلحة رومانية — سورية فى الغالب من ديورا يوروبوس ، سيوف وقراب السيوف .. بدون اتصال كما عثر على رؤوس رماح من الأنواع ذات التجويف ورؤوس رماح مختلفة الأنواع وإلى جانب ذلك عثر على رأس فأس حربية .

وقد يكون من الجدير بالذكر فى هذا الصدد أن (ف . مينورسكى) يعتقد أن الفؤوس التى كان يستخدمها فرسان التابرزين ؟ «Tabarzin» كانت من صنع السوياواده «The Suyawardhyeh» فى القرن العاشر فى أرمينيا وهو يميل إلى الظن بأن هذه الفؤوس مصنوعة من البرونز (٨) .

وجاءت رؤوس السهام المختلفة ودروع الخيول البرونزية من هاترا «Harta» فى القرن الثانى ، وهى أقرب إلى الأشكال المعروفة فى منطقة البحر المتوسط منها إلى الأشكال المعروفة فى ايران أو آسيا الوسطى .

وتعرض جميع هذه الأسلحة الأثرية المختلفة فى متحف الموصل • ويمكن أن يثبت أن هاترا ، ذات أهمية خاصة فى هذه الدراسة لأنهـا كانت أســاساً « مدينة ــ دولة » عربية رغم أنها تقع فى نطاق النفوذ الفارسى (٩) •

أما فى المتحف القومى فى حلب فتوجد قطعة سلاح برونزية قيـل أن تاريخها يرجع إلى القرن الرابع •• ووصفت بأنها خوذة بيزنطية • على أننى لا أرى أن ثمة ما يدعو إلى وضع هذا التاريخ موضع شك وإن كنت مقتنعا بأنها مقبض مجن بيزنطى وليست خوذة •

وإذا ما سلمنا بندرة وجود الأسلحة الإسلامية القديمة فإننا ندرك أن العدد الصغير الموجود من الأسلحة البرونزية التى بقيت من القــرن السابع إلى القرن الحادى عشر لابد أن يكون هاماً •

تبدأ هذه الأسلحة البرونزية بجزء من نصل درع يرجع تاريخه إلى منتصف القرن السابع وهو من « قصرى أبو نصر » بالقرب من سيزار فى جنوب ايران •• ويتعاقب فى نصله الحديد والبرونز (١٠) ويحتمل أن يرجــع تاريخها إلى أواخر عصر الساسانيين وليس الى أوائل العصر الإسلامى •• لكن أهمية هذه الحقيقة تقل عن تاريخها وأصلها الحقيقى •

وقد يكون الأمر كذلك حين يأخذ الانسان فى اعتباره السرعة التى تم بها تجنيد الفرسان الساسانيين السابقين (الأساورة) «Asawirah» فى صفوف القوات الإسلامية (١١) •

ولقد عثر أخيرا على خاتم إبهام لأحد الرماة فى الفسطاط بمصر •• وقد يرجع تاريخه الى أواخر القرن الثامن أو منتصف القرن التاسع (١٢) وهو أيضا من البرونز تماما مثل المقبض المرصع وقطع من سيف مفقــود حاليا فى متحف اللوفر فى باريس •

ويبدو أن هذه كلها من أصل مصرى •• وربما يرجع تاريخها الى القرن التاسع أو العاشر • (١٣) وعرض مقبض سيف آخر وجزء من مقبض خنجر برونزى فى لندن أخيرا •• وقد يرجع تاريخهما الى القرن العاشر الميلادى (١٤) • وهما فارسيا الأصل •

وقد عثر على آثار أخرى يعود تاريخها الى القرن العاشر منهـا مهمات برونزية لحماية الخيول ، وذلك أثناء عمليـات حفر أجـريت فى نيشابور ،ولكن لم ينشر شىء عنها حتى الآن (١٥) •

والأهم من ذلك مقبض السيف المكون من قطعة واحدة والذى تم الحصول عليه من سفينة تجارية اسلامية غرقت تجاه ساحل بحر إيجه عند تركيا فىأواخر القرن العاشر أو أوائل القرن الحادىعشر الميلادى (١٦) وهذا معروض الآن فى متحف قلعة بودروم فى تركيا •

قد تشير زينة مقبض السيف الى بعض عناصر هندية والتى يمكن أن تدل على أن أصله يرجع الى شبه القارة الهندية أو أنه قد بوحى بأن صانعى الأسلحة المسلمين ، فى منطقة ما غير محددة كانوا يعملون وهم تحت تأثير قوى للفن الهندى (١٧) •

مثل هذه الاحتمالات تذكرنا بالسيوف الهندية (سيوف الهند) التى كانت مميزة بشكل بارز جدا فى الأدب العربى القديم والكلاسيكى (١٨) •

وأخيرا هناك الاحتمال القوى فى أن سلسلة كاملة من الأجسـام الدائرية والمقببة والبرونزية المحلاة بالزينة من شرق ايران •• والتى يعود تاريخ معظمها الى القرن الحادى عشر أو الثانى عشر • كانت مقابض تروس وليست صنوجا أو أغطية كما كان يعتقد سابقا (١٩) •

أما الزرد (درع) فلا يعتبر عادة من الأشياء المصنوعة من البرونز ،

لأن أغلب دروع الزرد فى النماذج الباقية حتى الآن مصنوعة من الحديد الخالص • ومع ذلك فإن هناك ما يدل على وجود البرونز أو على الأقل آثار نحاس فى أجـــزاء من زرود قديمـــة اكتشفت فى أنحاء عديدة من العـــالم •

وبعد ذلك بكثير أى أثناء القرنين السابع عشر والثامن عشر كانت الدروع (الزرود) المصنوعة من حلقات برونزية ونحاسية شائعة فى فارس والهند رغم أنها ربما كانت تستخدم فى أغراض الزينة فى وقت بدأت فيه الأسلحة النارية تجعل أمثال هذه الأسلحة الوقائية شيئاً غير مناسب (٣٠) •

ولعل هذا الطراز يمثل فصل الانحلال الأخير لتقليد قديم •

والأهم من ذلك بالنسبة للمناقشة الحالية هو احتمـــال أن الدرع الأصلى والدرع الذى كان سائدا قبل الإسلام وأوائل الاسلام كان عادة يصنع من رقائق الحديد المربوطة بقاعدة من النسيج أو الجلد • وليس مكونا من دروع الزرد •

وقد عرضت أخيراً هذه الفكرة فى بحث أقمت فيه نتائجى على أساس الأدلة المكتوبة والمصورة •

وتشمل الأدلة السابقة الأولى تعبيرات شعرية ووصفية ، كانت تطلق على الدرع والعناصر المركبة له مثل **المع** (٣١) ، **منابذ** ، **سرد وسروده** (٣٢) ، **حلق وحلقه** (٣٤) ، **حرشف** (٣٥) ، والجنة من أبلم •

واحتمال أن الدروع كان يجرى تشكيلها مثل حرف النون أو كانت تظهر مثل ظهر السمكة الكبيرة حين تخرج من الماء (٣٧) يعيد الى الذهن فورا وضـــعا كتبه البيرونى للجزء المحـــدب من نصـــل السيف المســـمى ذوالنون (٣٨) بأنه مثل ظهر سمكة •

وكانت كلمة (حلقة) «Halaqah» تستخدم للاشارة الى الدروع التى كانت تطلب كأسلاب أو تعويض أو جزية من قبائل اليمامة حين استسلمت للمسلمين تحت وطأة المجاعة .

وهذا من سوء الطالع للغاية .. لأنه لو أن صناعة الأسلحة التى ذكرها الحمدانى «*Hamadani*» كانت موجودة بالفعل فى القرن السابع فإنه يبدو من المحتمل أنها قدمت بعض تلك الدروع التى كانت ترتديها قبائل اليمامة المجاورة .

والدليل المكتوب الآخر والأكثر إقناعا فى رأيى هو ذلك الذى يصف شكل وحدود حفظ الدروع . فهذه الدروع كانت تنظف من الخارج بالتراب والزيت ومن الداخل بروث الجمل (٢٩) . لأن المعدن والجلد كانا يحفظان فى خليط من هذه العناصر الثلاثة (٣٠) .

وكان لهذه الدروع قعقعة (٣١) فى حين أن دروعاً من أنواع أخرى لم تكن كذلك . وكان لهاعادة أكمام تمتد حتى الكوع فقط (٣٢) . وهذا يعكس المرونة المحدودة للدروع المصفحة . ويبدو على وجه التحديد أن الدرع قد تعرض للتحديد الطبيعى الذى تعرضت له كل الدروع المصفحة من حيث عدم ضمان أية وقاية تحت الإبط .

من هنا اقتضت الحاجة الى أن إتاحة مرونة كافية تعنى أن قاعدته من الملابس أو الجلد بقيتمكشوفة . وأخيرا لو أصيبالدرع بتلف ما ربما بانفصال واحدة أو أكثر من صفائحه فانه يمكن تمزيق قاعدته باليد (٣٤) .
. وهذا ما لا يمكن قولهعن درع « زردى » مهما كان التلف الذى يصيبها .

واذا كان استنتاجى بأن الدرع العربى الأصلى كان عادة درعا مصفحا استنتاجا صحيحا اذن فليس هناك من الأسباب ما يدعو الى الافتراض بأن الدروع المصنوعة من صفائح البرونز والحديد المبطنة بالقماش فى « ديورا يوربوس » والتى شوهدت ، لا يمكن أن تبقى مستخدمة لأربعة قرون أخرى أو أكثر فيما أصبح قلب الأراضى الإسلامية .

ومن الجدير بالملاحظة ، أنه خلال القرنين السابع والثامن الميلاديين كان استخدام الدرع الثقيل أكثر انتشارا بين قوات المشاة ، من الفرسان (٣٥) .

كان هذا صحيحا بصفة خاصة بين المقاتلين العرب . ولقد أوضح الهمدانى أيضا فى كتابه « الإكليل » أن الدروع المصفحة المصنوعة فى عمان والبحرين والعراق واليمن كانت أثقل من الدروع البيزنطية (٣٦) .

وقال على وجه التحديد أن الدرع المصنوع فى فارس كان للفرسان (٣٧) . وربما يتضمن ذلك أن تلك الدروع المصنوعة فى المناطق العربية كانت تستخدم للمشاة . والواضح أنه كان هناك فرق بين هذين النوعين . وإن كان المؤلف لا يذكر ما اذا كان هذا الفرق هو فى البناء أو الشكل أو الوزن .

ويشير الهمدانى فقط بطريقة عابرة الى الدروع المصفحة ، فى اليمن كما يشير بشكل عابر للدروع البحرينية والبابلية والعمانية ، ولكن هناك مصادر أخرى أكثر تحديداً فيما يتعلق بهذه الدروع اليمنية .

وكانت تلك الدروع التى تستخدمها « نجران » تسمى المسيحية فى القرن السابع التى تقع حاليا بالقرب من حدود المملكة العربية السعودية

مع اليمن .. من بين أول ما ورد ذكره حين قال « البلاذرى AL Baladhuri أن ثلاثين درعاً من الدروع المصفحة كانت ستعاد للمسلمين فى حالة نشوب حرب فى اليمن (٣٨) .

وحقيقة أن نجران كانت مشهورة بمناجم الحديد فيما يبدو أنهـا توحى بأن هذه الدروع ربما صنعت بالفعل فى هذه المنطقة .

وثمة حقيقة هى أن هذه الدروع اليمنية كانت عبارة عن صفائح معروفة هنا (٣٩) . ويبدو من المحتمل أيضا وجود قاعدة من الجلد للدروع المصفحة وخاصة فى منطقة مشهورة بانتاجها للجلود .

والحقيقة أن الجلود والدروع ظلت من الصادرات اليمنية الهامة حتى العصر الإسلامى (٤٠) . ولكن الدروع السلوقية المصفحة من سلوق «Saluq» فى اليمن قد فسرها «شوازرنور» على أنها دروع مزدوجة (٤١) .

إن هذا التعبير شائع بين الأجانب المهتمين بالشئون العربية إلا أنه مازال بحاجة للتغيير بأسلوب يقبله مؤرخو الأسلحة ، مع اننى أعتقد بأنه يمكن أن يشير الى الدرع الذى به مسماران من مسامير البرشام فى كل حلقة .. وهو النظام الذى كان يمكن تطبيقه (٤٢) .

وثمة احتمال آخر . وان كان يفتقر الى سند وهو استخدام عوامل تقوية من البرونز فى صنع الخوذات الجلدية القوية . ففى إبان العصر الاسلامى هناك دليل محدد وعرضى يوحى بأن الخوذة واشكالا معدنية أخرى يمكن ادخال جزء من الجلد فى صنعها (٤٣) .

على أنها جميعها لم تكن متنوعة دائما على هذا النحو ويوجد الآن

فى برج لندن للأسلحة خوذة عثمانية تتكون من ألواح جلدية مثبتة فى إطار من البرونز (٤٤) . وقبل ذلك بوقت طويل ، أى فى القرن الثامن أو التاسع بعد الميلاد اكتشفت خوذة جلدية فى « مشتوشيفايا بلجا » «Mochtochevaja Balja» فى شمال القوقاز (٤٥) .

ويبدو أن لها قمة معدنية .. وهى نوع ما من التقوية وان كان ذلك يختفى تحت غطاء حريرى للزخرفة . ولسوء الحظ فإن خوذة « مشتوشيفايا بلجا » لم ينشر شىء كامل عنها مع أنها اكتشفت منذ عشرات السنين .

وهكذا فان معدن قمتها مازال مجهولا . وليس ثمة شك فى أن الخوذات التى على شكل الخوذة الأسبانية باطاراتها الحديدية أو البرونزية التى تقوى الرقائق غير المعدنية مثل القرن وما الى ذلك من الأدوات الجلدية المدعمة التى كانت شائعة فى أوروبا فى عصر الظلام (٤٦) . بل ان خوذات الجلد كانت أكثر شيوعا وانتشارا فى الصين فى ذلك الوقت تقريبا (٤٧) .

وهناك دليل أكثر وضوحا يتعلق بغطاء الرأس وكان غطاء الرأس هذا معروفا باسم « المغفر » «Mighfar» فى كل المناطق العربية فى العصور الوسطى .

ولعله كان فى الأصل مصنوعا من الجلد ومدعما بطبقة من الرقائق أو بدونها .. كما كان يوصف بنفس الطريقة التى يوصف بها الدرع (٤٨) . وفى القرون التى تلت ذلك كان المغفر «Mighfar» يمكن أن يكون ذا أشكال عديدة واضحة .. وان كان الأكثر شيوعا من الدروع كما كانت القلنسوه الشائعة فى القرون الوسطى فى أوروبا .

وبطبيعة الحال سيكون من الخطأ دراسة صناعة الأسلحة فى جنوب شرقى الجزيرة العربية بمعزل عن التجارة الدولية التى كانت تتدفق أمام هذه الشواطىء .

وهذا ينطبق بصفة خاصة على عمان التى كانت توصف فى أواخر القرن العاشر الميلادى **بأنها حدود العالم** بوصفها « سوق تجارة العالم » التى قيل عنها أيضا أن « كل بضائع الشرق والغرب والجنوب والشمال كانت تصل الى هذه المدينة . وتنقل من هناك الى الأماكن المختلفة (٤٩) .

وبطبيعة الحال لابد أن الأسلحة والدروع والمواد الخام كانت تشكل جزءا من هذه التجارة المزدهرة ، والمعروف أن سبائك الحديد كانت ترد من « ترانسوكسانيا » «Transaxania» من منطقة « مارسماندا » الى اليمن ومناطق أخرى مختلفة لتحويلها هناك الى سيوف (٥٠) .

إن تلك المصادر الوثائقية نفسها تشير الى أن الحديد السنهالى والسرنديبى كان يرسل الى خراسان وفارس ومناطق أخرى لنفس الأغراض (٥١) . وكانت السيوف الكاملة أو على الأقل نصالها الواردة من سيلان والهند وحتى ربما الملايو واندونيسيا كانت أيضا قد احتلت مكانة بارزة فى التجارة الاسلامية القديمة عبر المحيط (٥٢) .

ان مثل هذه البضائع كان من المحتم أن تمر عبر قناتين رئيسيتين لتجارة المسلمين فى المحيط الهندى .. وهما باب المندب ومضيق هرمز فى طريقها الى أماكن الوصول سواء فى الغرب أو الشمال .

وكانت الاسلحة المصنوعة فى مراكز انتاج السلاح الاسلامية الرئيسية مثل الموصل تباع فى الهند (٥٣) ، والأسواق الأخرى الواقعة

شرقها • لقد كانت سلعا كثيرة من هذا القبيل تمر فى مراكز تسويق المعادن مثل « صحار » •

وأخيرا تجب الاشارة الى بعض الصادرات الحربية الأقل أهمية فى بعض بلدان شرق شبه الجزيرة العربية وجنوبها • ولكنها هنا تتسم بالأهمية ، فاليمن مثلا كانت تنتج مادة تزين بها مقابض الخناجر (٥٤) •

وخلال القرن التاسع كان خشب « القان» — Qan يصدر من منطقة غير محددة فى الجزيرة العربية إلى العراق لصناعة الأقواس (٥٥) وبعد ذلك بقرنين كانت اليمن ترسل أخشاب الزيتون إلى مصر حيث يتم تحويلها إلى قوس ونشاب (٥٦) •

وعلى الجانب الأخر من شبه الجزيرة العربية استمرت البحرين حتى القرن الثالث عشر على الأقل تنتج رماح الخيزران الطويلة والمستقيمة من النوع التقليدى المعروف باسم رماح المقاتلين العرب الرودانى Rodani والخطى Khatti [٥٧]

ولكن سهام مثل هذه الأسلحة كان يمكن إنتاجها من الخيزران المستورد من الهند ، ويبدو فى الحقيقة أن الخيزران كان يرد من شبه القارة الهندية إلى العراق فى أوائل الألف عام الثانية قبل الميلاد •

أما عمان والمناطق المجاورة لها مثل اليمن والبحرين فلا يمكن وصفها بأنها مراكز لانتاج الأسلحة من القرن السابع إلى القرن الثالث عشر • ولكن المناطق الأكثر أهمية تقع فى غور «Ghur» وفرغانة Farghana إلى الشمال الشرقى والقوقاز ، وأرمينيا فى المناطق الوسطى والأندلس أيضا الى الغرب •

لكن خلال عقود التوسع الإسلامى الأولى •• وفى القــرن الذى سبقها كان ندور المناطق المنتجة للسلاح العربية الأصل هذه دور هام • وقد تكون اليمن •• وعمان والبحرين قد أسهمت بنصيب أقل فى تسليح جيوش الإسلام الأولى • وكانت الأسلحة المستوردة وخاصة التى تدخل من الشرق عبر عدن لها أهميتها أيضا مثل الغنائم التى كان يتم الاستيلاء عليها من الإمبراطوريات الكبرى فى الشمال •

ومع ذلك يبدو من غير المحتمل أن مصادر خارجية أخرى يمكن أن تكون قد قدمت مساعدات أكبر من مجرد قدر ضئيل من المعدات العسكرية التى كانت متوفرة فى شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام ومتاحة لاتباع الرسول عليه الصلاة والسلام والخلفاء الأوائل (رضى الله عنهم) •

لقد قيل أخيرا أن المحاربين فى شبه الجزيرة العربية فى القرن السابع كانوا مسلحين جيدا نسبيا (٥٨) ولو وضعنا نصب أعيننا الموارد البشرية المحدودة فى شبه الجزيرة العربية اذا ما قورنت بالموارد البشرية عنــد الامبراطــوريتين البيزنطية والفــارسية ••• لانتهينا إلى أن الجيوش الإسلامية الأولى كانت أفضل تسليحا على أساس رجل لرجل من أعدائهم المختلفين •

إن أى ضوء يمكن أن يلقيه علم الآثار على إنتاج الأسلحة فى شبه الجزيرة يلقى ضوءا مقارنا على الإمكانيات العسكرية للقبائل العربية فى عصر النبى محمد صلى الله عليه وسلم ، فقد كانت المناطق الثلاث التى حددتها على أنها المصادر المحلية الرئيسية للأسلحة وهى البحرين وعمان واليمن كانت تحت السيطرة الساسانيين الفعلية قبل دخولها الاسلام •

لهذا قد تكشف منتجاتها النقاب عن النفوذ الفارسى • فعمان مثلا ساندت ارستقراطية عسكرية قيمة شملت طبقة من الفرسان الساسانيين

من أصحاب الأرض • (٥٩) وإلى أى مدى كان اعتمــادهم على صــناع الأسلحة المحليين •

إن هذه مسألة قد يستطيع علماء الآثار القاء الضوء عليها فى يوم من الأيام •

لقد أنشأ الساسانيون فى الحقيقة ترسانات إقليمية تعرف باســـم « جانز Ganz فى أنحاء مختلفة من إمبراطوريتهم (٦٠)

إن هناك دليلا قويا على أن الأهمية الإقتصـــادية لعمان واليمن والبحرين قد ازدادت فى ظل الخلافة الأموية والخلافة العباسية •• فى حين أن علم الآثار يؤيد ذلك فعلا على الأقل فيما يتعلق بانتاج النحاس العمـــانى •

ومن الواضح كذلك أن إنتاج عمان الأول وثروتها التجارية قد هبطت خلال القرن الحادى عشر الميلادى ويبدو أن القوة الاقتصادية ومراكز التجارة الدولية ونشاط التعـدين قد انتقلت إلى الســاحل الشــمالى للخليج •

وهذا وحده يمكن أن يفسر السبب الذى لم تعـد ثمــة حاجة إلى تسجيل الأسلحة وإنتاجها فى عمان والبحرين • ومن ناحية أخرى يبدو أن اختفاء إنتاج الأسلحة قد سبقه الهبوط الاقتصادى الخطير الذى حــدث فى القرن الحادى عشر الميلادى •

إننى أقول أن هناك سببين محتملين لاختفاء صناعة الأســلحة فى عمان والبحرين من التجارة الدولية على الأقل ، أولهما أنه كان هنـــاك التوسع ودعم السيطرة الإسلامية فى المناطق الأكثر انتاجا والتى يمكن

أن تكون أكثر تطوراً من الناحية التكنولوجية فى إنتاج الأسلحة وأكثر تقدما فى آسيا الوسطى وأفغانستان وصناعات الأسلحة فى المنطقتين الأخيرتين كانت تعتمد كلية على الحديد •

إن صناعات الأسلحة فى شرق شبه الجزيرة والى حد ما فى جنوبها لابد أنها ازدهرت ورأت أنه من الإمكان الدخول فى منافسة على إنتاج الأسلحة للتصدير على نطاق واسع •

وثانيا — أن أهمية عمان وثراءها وتجارة الترانزيت اليمنية قد تكون نفسها سببا فى تقويض جوانب الصناعة المحلية المختلفة •

وقد شهدت صحار وعدن أسلحة كثيرة ، والحديد الذى يمكن به إنتاج المزيد منها • قد مرت عبر أسواقهما • وعلى هذا النحو نمت الثروة التجارية •

كان لابد أن يستخدم هذا البحث قدرا ضئيلا من الأسانيد القوية وقدرا أكبر من الأسانيد الثانوية فى طرح بعض النظريات الخاصة بانتاج الأسلحة ودور النحاس فى أوائل العصور الوسطى فى جنوب شرق شبه الجزيرة العربية •

ومع ذلك فاننى أعتقد أن هذا البحث خليق بأن يشجع علماء الآثار على أن يكتشفوا أجزاء وأدوات أخرى كثيرة ما تزال غامضة من البرونز أو النحاس أو أية معادن أخرى فى ضوء اكتشافات جديدة •

إيضـــــاحات

(أ) درع من صـــــفائح البرونز •• عصر هان ــ صينى (متحف الميدان للتاريخ الطبيعى ــ شيكاغو) •

(ب) درع برونزية مزودة برزة ــ شظية ــ من ديورا يوروبوس أواخر القرن الثالث الميلادى ــ رومانى ــ سورى (جامعة بال ــ معرض الفن ــ نيو هافن) •

(جـ) نصـــــل درع برونزى مزودة برزة ــ شظية ــ من ديورا يوروبوس أواخر القرن الثالث الميلادى ــ رومانى ســــورى (جامعة بال ــ معرض الفن ــ نيوها فن) •

(د) رأس فاس من البرونز ــ من ديورا يوروبوس أواخر القرن الثالث الميــلادى ــ رومانى ســـورى (جامعة بال ــ معرض الفن ــ نيو هافن) •

(هـ) رأس درع برونزى من ديورا يوروبوس أواخر القـــرن الثالث الميلادى ــ (جامعة بال ــ معرض الفن ــ نيوهافن)

(و) رأس درع برونزى من « هاترا » «Hatra» القـــرن الثـــانى الميلادى (المتحف القومى ــ الموصل)

(ز) رأس سهم برونزى ــ القرن الثانى الميــلادى ــ (المتحف القومى ــ الموصل

(ح) رؤوس سهام برونزية ذات التجويف من هاترا القرن الثانى الميلادى ــ (المتحف القومى ــ الموصل)

(ط) رأس درع برونزى — بيزنطى — القرن الرابع • (المتحف القومى — حلب) •

(ك) نصـــل فردى من البرونز — من قصد أبو النصر بايران — القرن السابع — (المتحف المتروبوليتان) للفن — نيويورك) •

(ل) خاتم لأحد رماة النبال من البرونز — من الفسطاط • (من ٧٥٠ — ٨٥٠ ميلادية) مصر (المتحف الاسلامى — القاهرة) •

(م) مقابض برونزية القرنين • التاسع أو العاشر الميلاديين — مصر (اللوفر — باريس) •

(ن) مقبض سيف « الأمير أبو الغنايم المنصور بالله » القـــرن العاشر — إيران — (معروض فى صالات البيع « سبنكس » فى لندن — ابريل عام ١٩٧٧)

(ص) جزء من مقبض درع برونزى من القرن العاشر الميلادى معروض فى صالات البيع سبنكس فى لندن — ابريل ١٩٧٧

(ع) مقبض سيف برونزى من سفينة إسلامية غرقت جنوب غرب الأناضول فى أواخر القرن العاشر أو أواخر القرن الحادى عشر (متحف قلعة بودرم — تركيا) •

(ف) خوذة جلدية مبطنة بالحرير (مبسطة Mochlchavaja Balja شمال القوقاز ، القرن الثامن أو التاسع •

(متحف الشعب فى لينجراد — الاتحاد السوفيتى) •

(ص) قلادة من النحاس أو البرونز من جنوب نزوى فى عمان مع زينات المقابر ليس لها تاريخ محدد فيما قبل العصر الإسلامى •

(من صورة — مستر ايرك رو — المقر الحالى غير معروف)

(ق) صورة لفارس محارب — بدون تاريخ محدد •

(ر) فى موطنها الأصلى (وادى عداى) ، عمان Wadi Aday

Footnotes

1. Hasan ibn Ahmad al Hamdani, **AL Iklil (part VIII),** edit. Al Karmali al Baghdadi, (Baghdad 1931), p. 257.

2. Hasan ibn Ahmad al Hamdani, **Sifat Djazirat al c Arab, Al Hamdani's Geographie der arab Halbinsel,** edit. D. H. Müller, (Leiden 1884 - 1891).

3. M. Lombard, **Les Métaux dans l' ancien Monde du Ve au XIe Siècle,** (Paris 1974), map 1, «Iron in the Early Middle Ages».

4. Lombard, **op. cit.,** pp. 180 - 187.

5. D. S. Whitcomb, «Archaeology of Oman : A Preliminary Discussion of the Islamic Periods,» **Journal of Oman Studies,** I (1975), pp. 126 - 127.

6. F. E. Brown, «Arms and Armour,» and R. du Mesnil du Buisson, «The Persian Mines,» in **Excavations at Dura - Europos, Preliminary Reports of the 6th Season,** (New Haven 1936).

7. G. Arwidsson, «Armour of the Vendel Period,» **Acta Archaeologica (Copenhagen),** X (1939), p. 36.

8. V. Minorsky, «New Light on the Shaddadids of Ganja,» in **Studies in Caucasian History,** (London 1953), p. 26; Al Mas c udi, **Muruj al Dahab - Les Prairies d'Or,** edit. and trans. C. B. de Maynard and P. de Courteille, (Paris 1861 - 1877). col. II, p. 75.

9. F. Altheim and R. Stiehl, «Hatra,» in **Die Araber in der Alten Welt, vol. IV, edits, Altheim and Stiehl, (Berlin 1967).**
Alten Welt, vol. IV, edits, Altheim and Stiehl, (Berlin 1967).

10. W. Hauser, «The Persian Expedition, 1933 - 1934,» **Bulletin, Metropolitan Museum of Art,** (December 1934), pp. 8 and 10.

11. Al Baladhuri, **Kitab Futuh al Buldan,** edit. de Goeje, (Leiden 1866), pp. 161 - 162, 294 and 529 - 531 :
D. Ayalon, «Preliminary Remarks on the Mamluk Military Institution in Islam,» in **War, Technology and Society in the Middle East,** edits. V. J. Parry and M. E. Yapp, (London 1975), pp. 44 - 45; H. Lammens, **Etudes sur le Siècle des Omayyades,** (Beirut 1930), p. 131.

12. W. F. Paterson, «The Fustat Ring,» **The Journal of the Society of Archer Antiquaries,** X (1967), p. 40; W. Reid, (National Army Museum, London), in private correspondence.

13. Ex - Storm Rice Collection, now in the Louvre, Paris.

14. Exhibited at Spinks Salesroom, London (April 1977).

15. J. W. Allan, **Persian Metal Technology, 700 - 1300 AD,** (Oxford 1979), p. 59.

16. G. F. Bass, «Glass Treasure from the Aegean,» **National Geographical Magazine,** (June 1978).

17. J. K. Schwarzea II, in private correspondence via the Institute of Nautical Archaeology, Texas A & M University.

18. A. R. Zaki, **Al Sayf fi'l c Alim al Islami,** (Cairo 1957), passim; A. R. Zaki, «On Islamic Swords,» in **Studies in Islamic Art** and Architecture in Honour of Prof. K. A. C. Creswell, (Cairo 1965), passim.

19. A. S. Melikian - Chirvani, «Bucklers, covers or cymbals? A twelfth century riddle from Eastern Iran,» in **Islamic Arms and Armour,** edit. R. Elgood, (London 1976), pp. 97 - 111.

20. H. R. Robinson, **Oriental Armour,** (London 1967), pp. 39 - 40 and 94.

21. F. W. Schwarzlose, **Die Waffen der Alten Araber,** (Leipzig 1886), pp. 339 - 340.

22. A. S. M. Lutful - Huq, **A Critical Edition of Nihayat al Su' 1,** (Unpub. Ph. D. thesis, London University 1956), p. 322.

23. Schwrzlose, **op. cit.,** pp. 331 and 340 - 341; Ali ibn al Rahman ibn Hudhayl al Andalusi, trans. L. Mercier, **La Parure des Cavaliers et l'Insigne des Preux,** (Paris 1922), pp. 264 - 268; H. T. Norris, «The Hauberk, the Kazaghand and the c Antar Romance,» **Journal of the Arms and Armour Society, IX (1978),** p. 94; **The Qur'an,** sura 34, verse 11; Ibn Hamdis, **Il Canzoniere di c Abd al Gabbar ibn Abi Bakr ibn Muhammad ibn Hamdis,** edit. C. Schiaparelli, (Rome 1897), pp. 484.

24. Schwarzlose, **op. cit.,** pp. 325 and 339 - 340; Al Baladhuri, **op. cit.,** pp. 27 and 123; Norris, **loc. cit.;** M. Canard, edit., **Sayf al Daula, Recueil de textes,** (Algiers 1934), p. 212; c Imad al Din, al Katib al Isfahani, **Al Fath al Qussi fi'l Fath al Qudsi,** edit. Le Comte Carlo de Landberg, (Leyden 1888); pp. 292 - 293 and 302.

25. Schwarzlose, **op. cit.,** p. 340.

26. Ali Mohammed Ali el Gindi, **Martial Poetry among the Arabs in the Jahiliyah,** (unpub. Ph. D. thesis, University of London, 1952), p. 173.

27. **Ibid.**

27A. Muhammad ibn Ahmad al Biruni, **Kitab al Jamahir fi ma c rifat al Jawahir,** edit. F. Krenkow (Hyderabad 1936), p. 254.

28. Al Baladhuri, **op. cit.,** p. 123.

29. Schwarzlose, **op. cit.,** p. 346.

30. El Gindi, **op. cit.,** p. 171; Norris, **op. cit.,** p. 95.

31. c Imad al Din, **op. cit.,** p. 355.

32. Al Tabari, **Tarikh al Rusul wa'l Muluk,** edit. de Goeje, (lugduni Batvorum 1879 - 1901), vol. II, p. 1354.

33. Al Tabari, **op. cit.,** vol. II, p. 1624; Al Mas c udi, **op. cit.,** vol. II, pp. 345 - 349.

34. Al Mas c udi, **op cit.,** vol. V, p. 50.

35. Al Tabari, **op. cit.,** vol. II, passim; N. Fries, **Das Heereswesen der Araber zur Zeit der Omayaden,** (Tubingen 1921), pp. 43 - 51.

36. Al Hamdani, **Al Iklil,** pp. 255 - 257.

37. **Ibid.**

38. Al Baladhuri, **op. cit.,** p. 85; F. Altheim and R. Stiehl, «Dhu Nuwas,» in **Die Araber in der Alten Velt,** V/1, edits. Altheim and Stiehl, (Berlin 1968), pp. 357 - 358.

39. A. von Kremer, **Culturgeschichte des Orients unter den Chalifen,** (Vienna 1975), p. 80.

40. Anon., **Hudud al c alam,trans,** V. Minorsky, (London 1937), p. 146; Al Jahiz (?), «The Examination of Commerce,» extract **in Historiens Arabes, pages choisies,** trans. J. Sauvaget, (Paris 1946), p. 11.

41. Schwarzlose, **op. cit.,** p. 334.

42. L. A. Mayer, **Mamluk Costume,** (Geneva 1956), pp. 36 - 48.

43. Firdawsi, **Shahnamah,** edit. J. A. Vullers, (Lugduni Batavorum 1977 - 1880), vol. II, p. 52; Al Tarsusi, «Une traité d' armurerie composé pour Saladin,» edit. and trans. C. Cahen, **Bulletin d'Etudes Orientales,** XII (1947 - 8), pp. 116 and 138 - 139; **Maulana Minhaj al Din, Tabakat - i Nasiri; A General History of the Muhammadan Dynasties of Asia,** trans. H. G. Raverty, (reprint New Delhi 1970), pp. 83 - 84.

44. Robinson, **op. cit.,** p. 65.

45. A. Jeroussalimskaya, «Le Cafetan aux Simourghs du Tombeau de Mochtcheva ja Bal ja (Caucase Septentrionale),» **Studia Iranica,** VI (1978), p. 186.

46. C. Blair, **European Armour,** (London 1958), p. 25; M. J. Swanton, «The Manuscript Illustration of a Helmet of Benty Grange Type,» **The Journal of the Arms and Armour Society,** X (1980), p. 1; J. Mann, «Arms and Armour,» in **The Bayeux Tapestry,** edit. F. Stenton, (London 1957), pp. 59 - 60.

47. Robinson, **op. cit.,** pp. 131 and 135.

48. Al Baladhuri, **op. cit.,** p. 361; Canard, Sayf al **Daula,** p. 213; Freis, **op. cit.,** pp. 59 - 60.

49. **Hudud al c alam,** p. 148.

50. Allan, **op. cit.,** pp. 83 - 85 and 138.

51. Allan, **op. cit.,** pp. 85 - 86 and 138.

52. **Ibid.;** S. Q. Fatimi, «Malaysian Weapons in Arabic Literature : A Glimpse of Early Trade in the Indian Ocean,» **Islamic Studies,** (1964), pp. 206 - 207, 211 - 214 and 216; **Chau Ju - Kua,** Chau Ju - Kua **on the Chinese and Arab Trade in the 12th** and 13th centuries, trans. F. Hirth and W. W. Rockhill, (St. Petersburg 1911), p. 3; S. D. Goiten, «Two Eyewitness Reports on an Expedition of the Kish,» **Bulletin of the School of Oriental and African Studies,** XVI (1954), p. 248.

53. B. Spuler, «Trade in the Eastern Islamic Countries in the Early Centuries,» in **Islam and the Trade of Asia,** edit. D. S. Richards, (Oxford 1970), p. 19; Lombard, **op. cit.,** p. 167.

54. Al Hamdani, **Al Iklil, The Antiquities of South Arabia,** trans. N. A. Faris, (Princeton 1938), p. 38.

55. Al Jahiz, **loc. cit.**

56. Al Tarsusi, **op. cit.,** pp. 110 and 132.

57. Muhammad ibn Mansur Fakhr al Din Mubarakshah, **Adab al Harb wa al Shuja c ah,** edit. A. S. Khwansari, (Tehran 1969), p. 261.

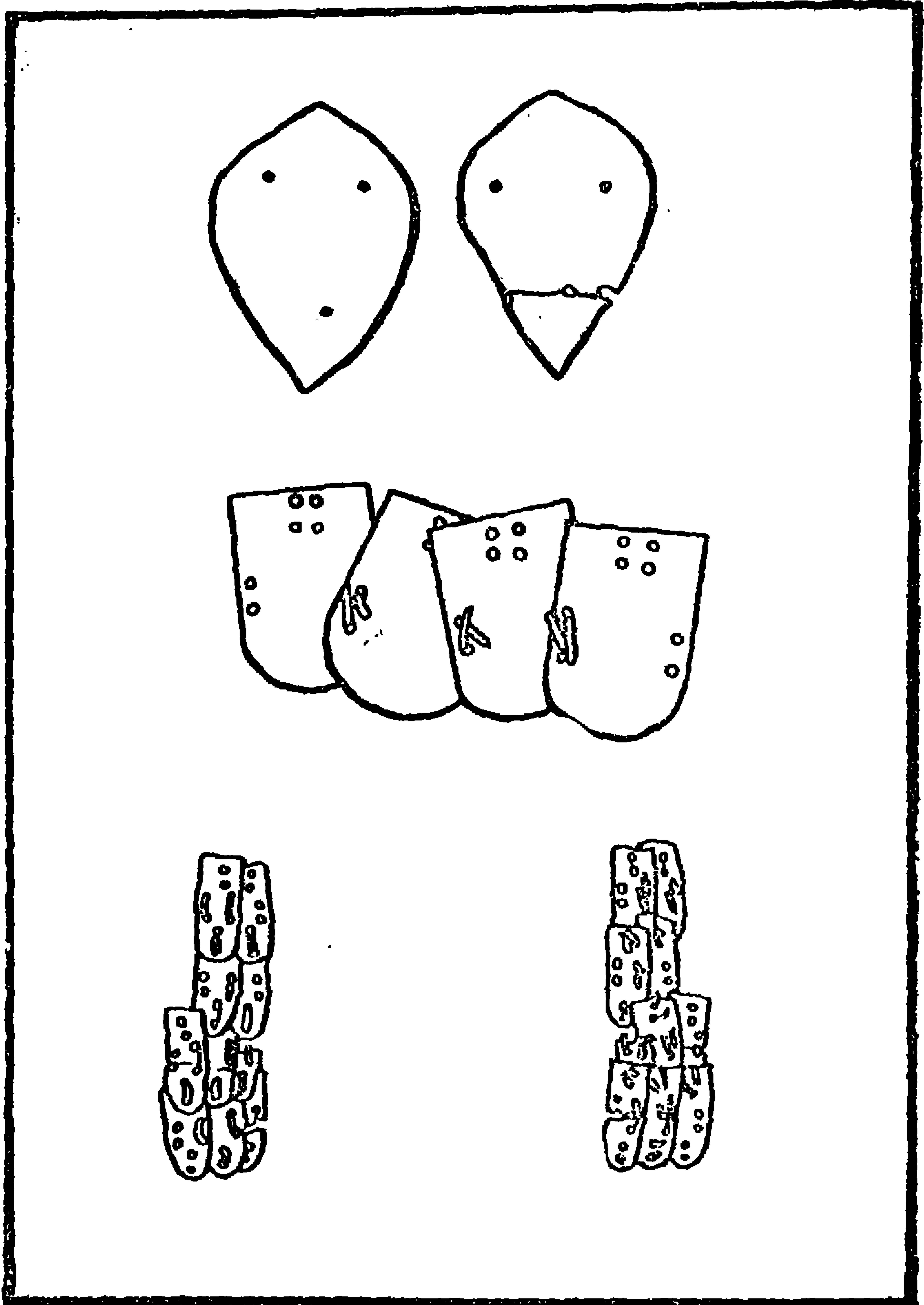
58. Lombard, **op. cit.,** pp. 253 - 255; Altheim and Stiehl, **Dhu Nuwas,** pp. 366 - 367.

59. J. C. Wilkinson, «The Julanda of Oman,» **Journal of Oman Studies,** I (1975), p. 99.

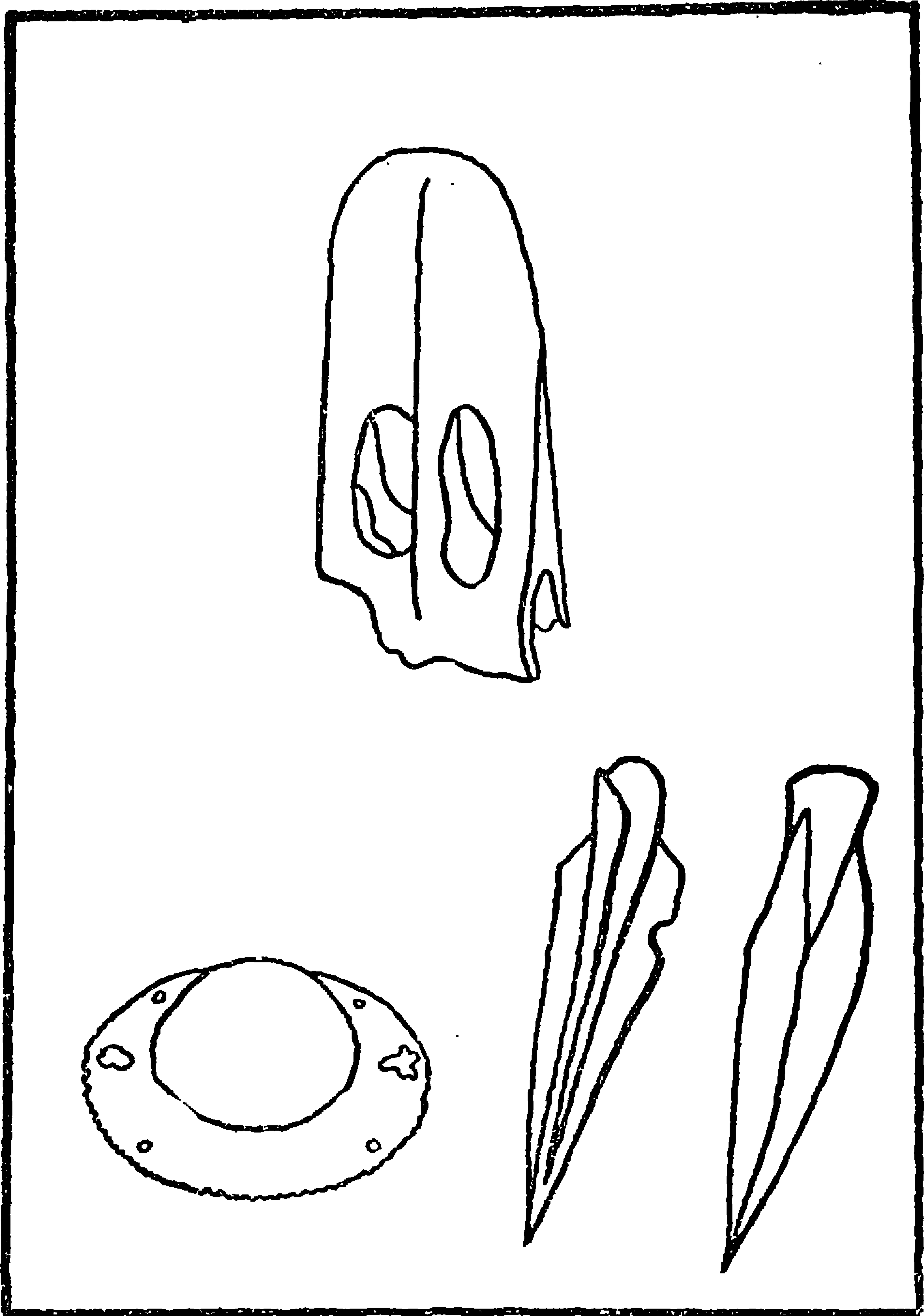
60. Lombard, **op. cit.,** p. 35; A. Christensen, **L'Iran sous les Sassanides,** (Copenhagen 1936), pp. 201 - 213.

Illustrations

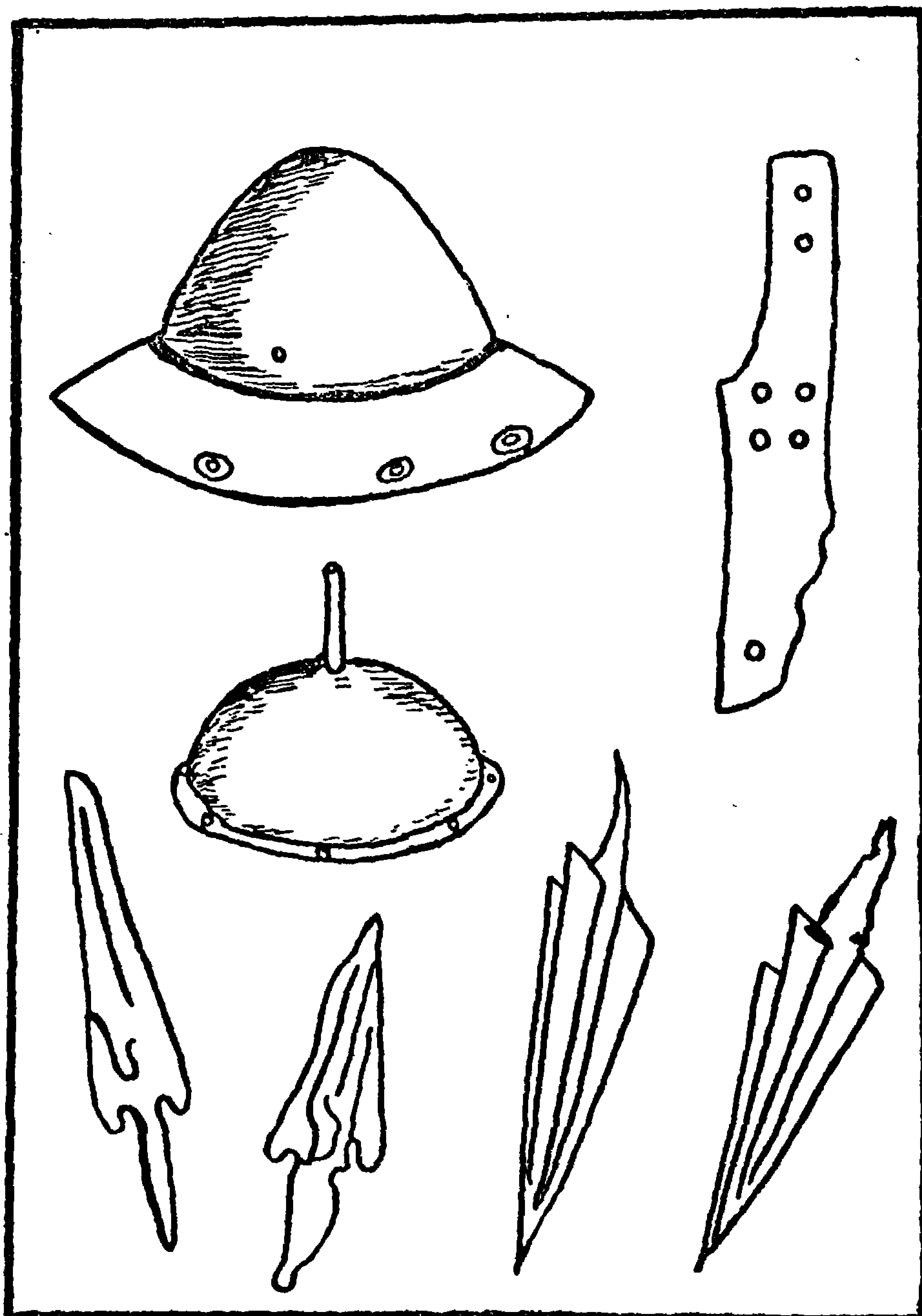
— * —



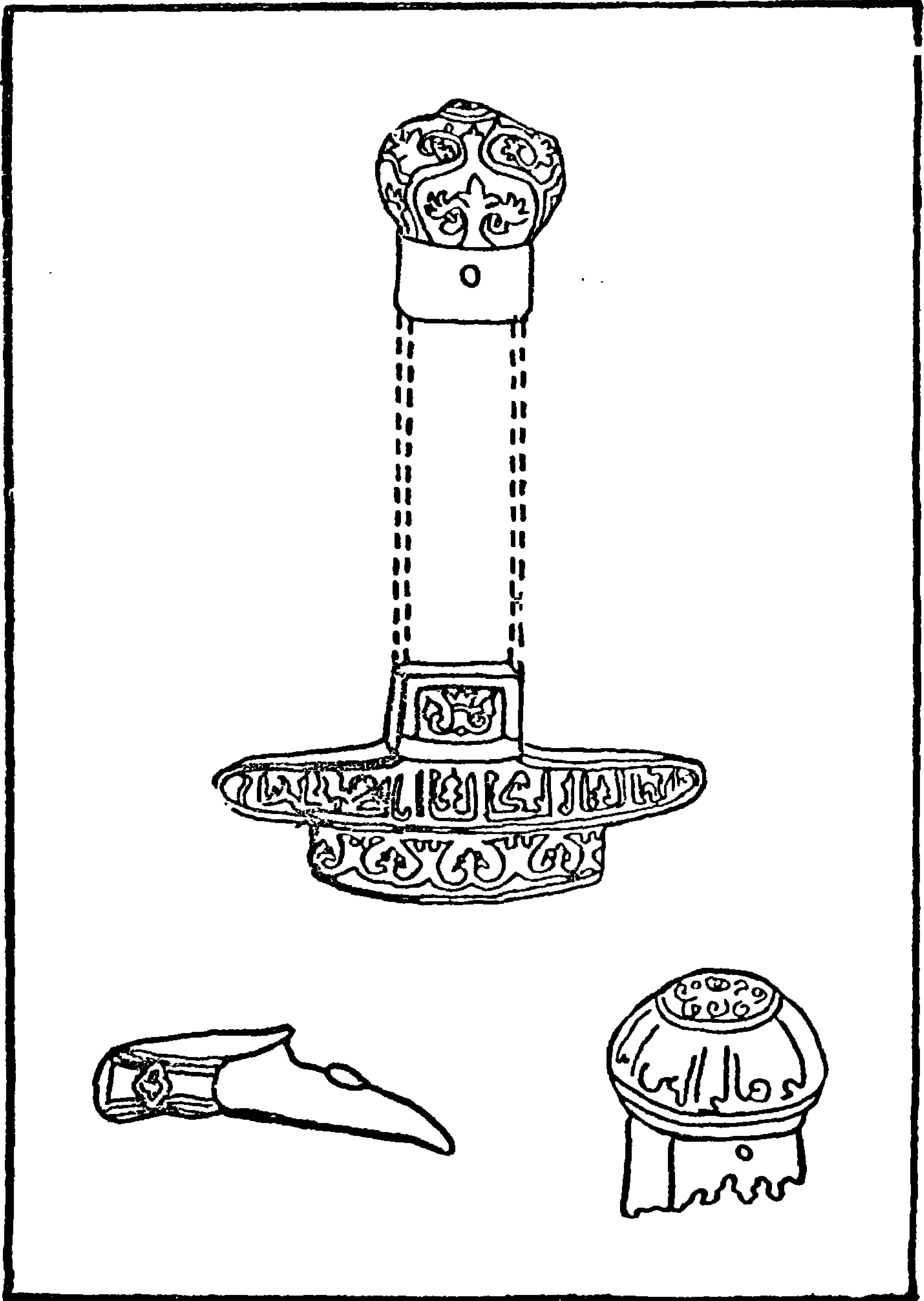
شكل رقم (١)
نماذج مختلفة مصنوعة من النحاس المطروق



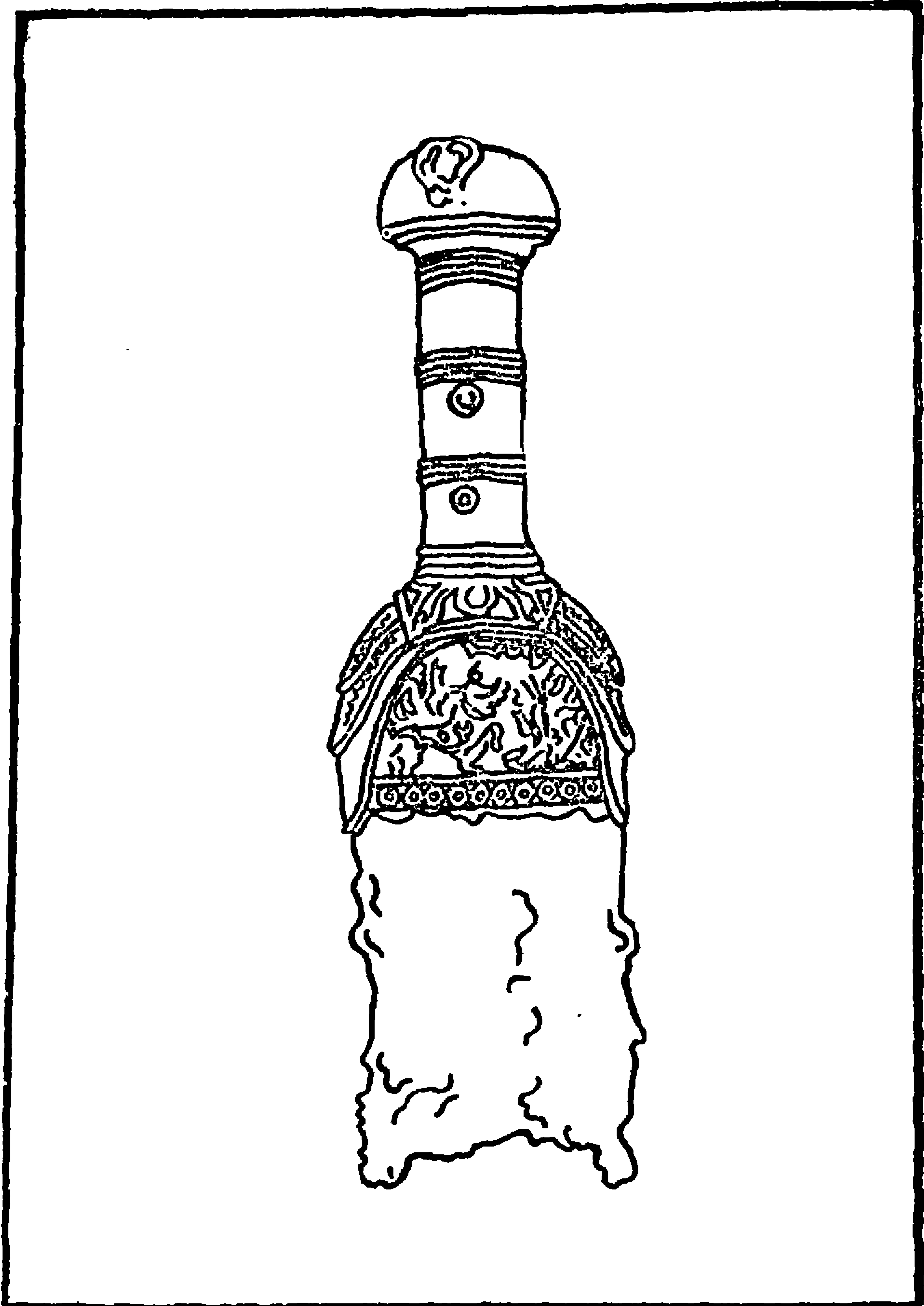
شكل رقم (٢)
عينات من المكاشط والدروع مصنوعة من النحاس



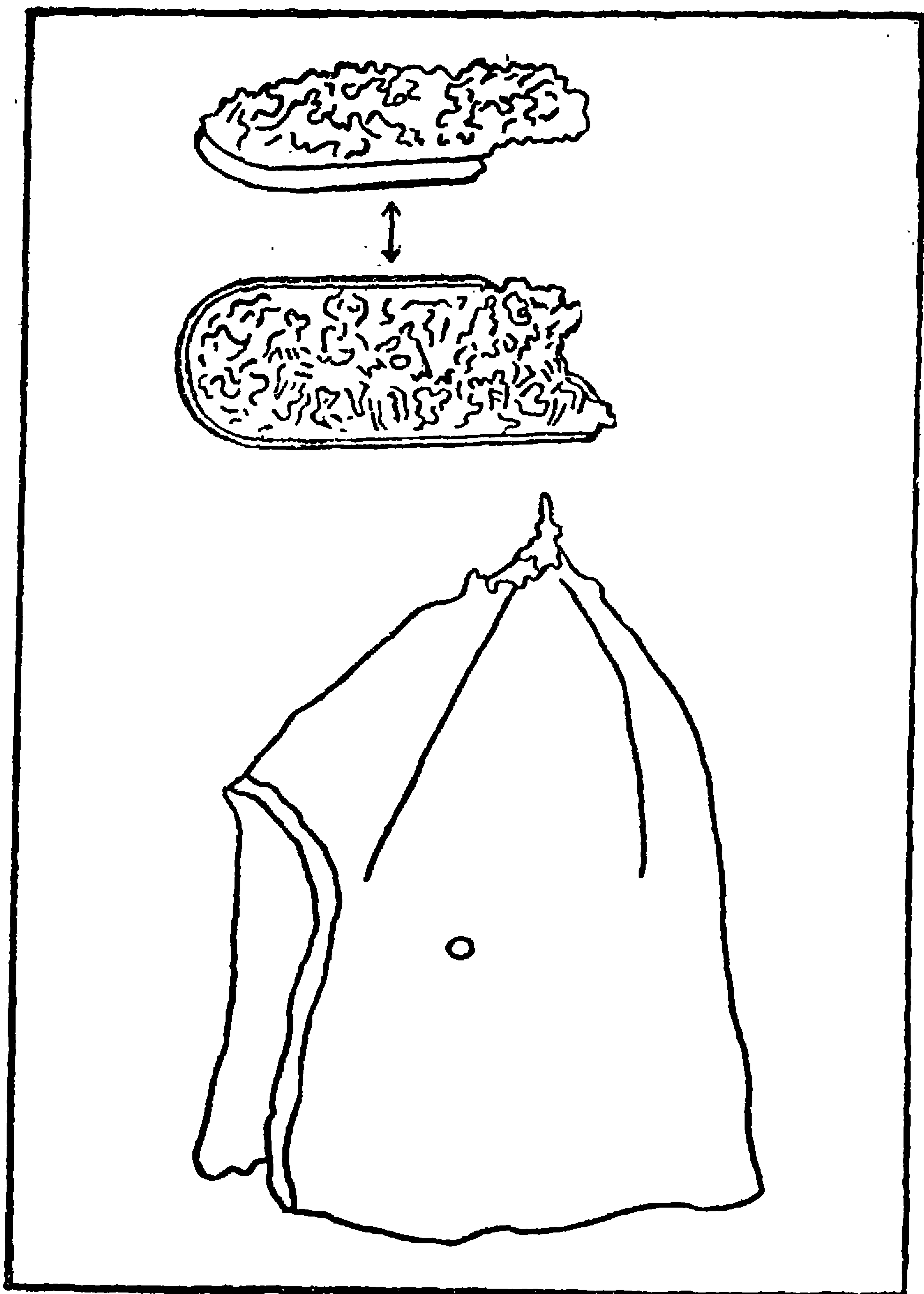
شكل رقم (٣)
عينات من الاسلحة والمكاشط مصنوعة من النحاس



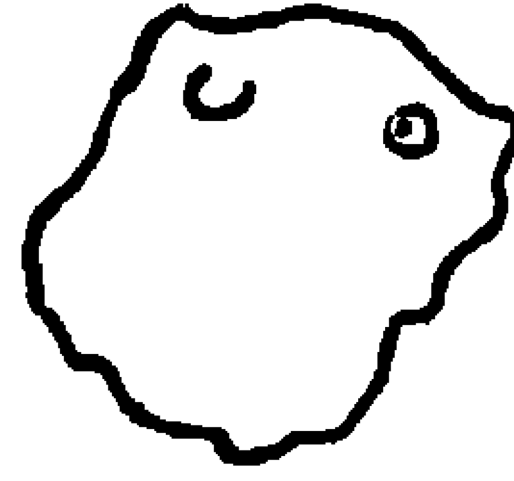
شكل رقم (٤)
نماذج جميلة مصنوعة من النحاس المطروق

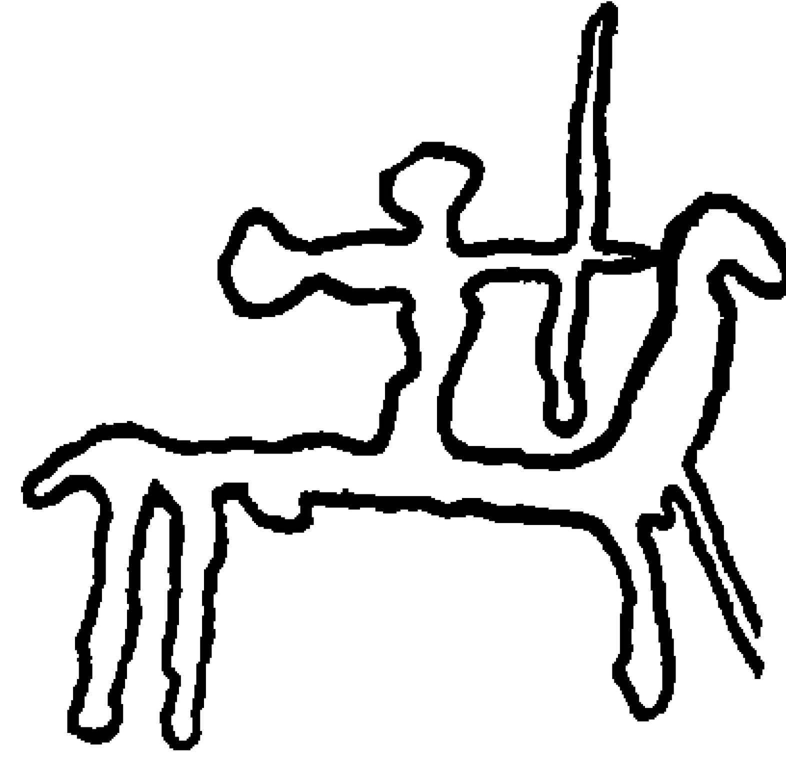


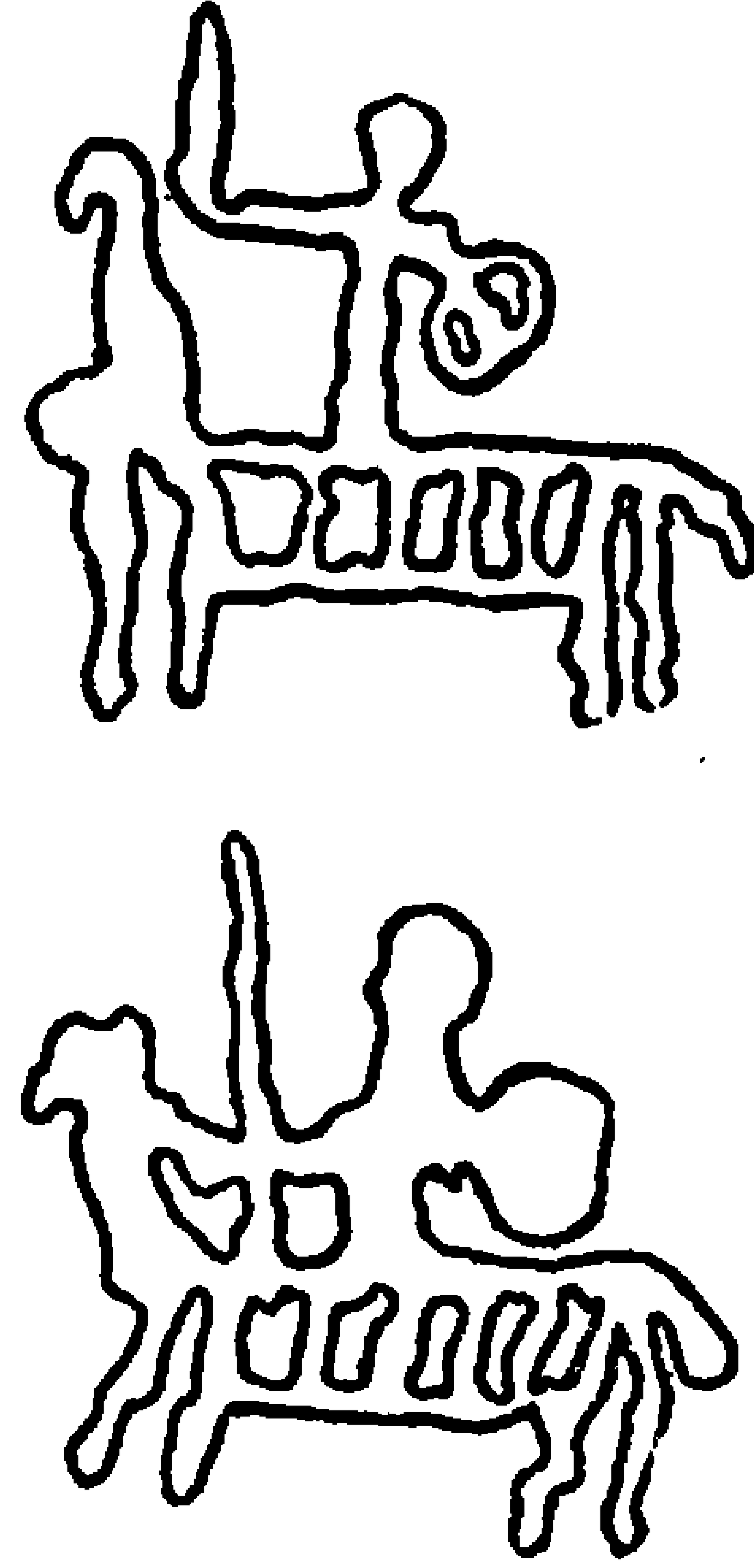
شكل رقم (٥)
نموذج لصناعة الأسلحة محلى بالزخارف والنقوش الجميلة الدقيقة الصنع



شكل رقم (٦)
عينات من الخوذات والدروع المصنوعة من النحاس







شكل رقم (٧)
اشكال جميلة لنماذج تعبر عن الحرب وحمل السلاح مصنوعة من النحاس

الحيوانات البرّية في عُمان

بروفسور . دى . هرسون

The Mammal Fauna of Oman

Prof. D. Harrison

رابعاً :

الحيوانات البرية والأفلاج فى عمان

مقـــدمة

ان ثمة قضية قوية للغاية اليوم لاعتبار التاريخ الطبيعى لبلد من البلدان — أى نباتاته وحيواناته — جزءا هاما لا يتجزأ من تراثه القومى .

ولذلك يبدو أن هذا المهرجان قد يكون المكان والزمان المثاليان للتوقف بحث الموضوع الخاص بحفظ حيوانات عمان الثديية من وجهة النظـر الفلسفية ، لا من وجهة النظر العلمية .

ولعل المؤلف فى مركز يمكنه من تقديم مثل هذا البحث أولا لأنه مهتم اهتماما بالغا بالدراسة العلمية للحيوانات الثديية فى شبه جزيرة العرب بأسرها منذ أكثر من خمسة وعشرين عاما ، وذلك بتقديمه أول عمل أساسى عن الثدييات فى هذه المنطقة (هاريسون ١٩٦٤ ، ١٩٦٨ ، ١٩٧٢) .

وثانيا لأنه فى السنوات الأخيرة شارك شخصيا وبصفة مستمرة فى المحاولات التى بذلت لانقاذ نوع فريد من الثدييات العمانية الكبيرة الفريدة الآخذة فى الانقراض ، وهو حيوان «الطهر العربى» (Hemitragus Javakari) (هاريسون وجالاهر ١٩٧٤ ، ١٩٧٦ : هاريسون ١٩٧٦) .

إن الغرض من وراء هذا البحث فى الواقع هـو اثارة سلسلة من الأسئلة عن حفظ النوع ومحاولة الإجابة عليها ، ولأى شىء يجرى الحفظ ولِمَ هو لازم ، وكيف ينبغى القيام به ، وما هى مجالات الاهتمامات الخاصة الموجودة فى حيوانات عمان الثديية .

ما هو الحفظ ولِمَ هو ضرورى

الخلفيــــة

ولنبدأ بالسؤالين الأولين لبحثهما معا •

من الضرورى أن ندرك أن التغيير فى العالم الحى خاصة حتميــة لا يمكن تجنبها ، فالتطور فى جميع العصور والأزمنة يؤدى إلى ظهــور أنواع جديدة ، فى حين أن أنواعا أخرى ، لا تلبث أن تنقــرض لأنها لم تستطع أن تتكيف حسب الظروف غير المواتية •

على أن هذه العمليات تستغرق أحقابا هائلة من الزمن ، إلى حــد يصعب معه على العقل البشرى أن يلمح أهميتها الحقيقية •

وهكذا فإنه فيما يتعلق بمجموعات الثدييات مثل الأبقار ، بمــا فيها الأنواع التى تعتبر موضع أهمية خاصة فى عمان اليوم ، فان الزمن اللازم لتطور آنواع جديدة منهايقدر بحوالى ٨٣٠ر٠٠٠ عام على الأقل •

كان هناك فى الماضى نوع من التوازن الطبيعى بين التوالد والانقراض لأن عمليات الاختيــار الطبيعى كانت دائما تنجــح فى ملىء الفــراغات الإيكولوجية المتاحة بأنواع جديدة كاملة التكوين تكون قادرة على ضمان استمرار النوع وتنوع الحياة من عصر لآخر •

لقد ظهرت الحياة الوضيعة لنوع من الثدييات إلى حيز الوجود قبل الإنسان بحوالى ٦٠٠ر٠٠٠ عام (فيشر ١٩٦٩) •

إن الوضع الذى نستعرضه اليوم مختلف إلى حد يثير الأسى :

ذلك أن عدداً من الأنواع آخذ فى الانقراض ، وأن « معدل الانقراض » قد زاد إلى حد كبير وأن أنواعا كثيرة آخذة فى الاضمحلال بسرعة كبيرة حتى أنها أصبحت معرضة للانقراض .

والمعروف أنه منذ عام ١٦٠٠ م انقرضت زهاء ٣٦ نوعا من الثدييات وأن هناك ١٢٠ نوعا منها على الأقل معرض لخطر الانقراض ، وهذا يمثل ٢ر٨٥ ٪ من الأنواع التى ما زالت على قيد الحياة ، ويقدر عددها بـ ٤٢٢٦ نوعا تقريبا . (فيشر ١٩٦٩) .

ما سبب هذه الحالة ؟

مما لا شك فيه أن الجواب على هذا السؤال ينبثق من حدث ضخم فى تاريخ الحياة ، وهو ظهور الإنسان .

لقد وقع هذا الحدث وما ترتب عليه من نتائج فى فترة قصيرة من الزمن تقدر بأقل من حوالى عشرة آلاف سنة منذ نهاية العصر الجليدى الأخير .

ويعتبر الانسان (الإنسان العاقل (Homo Sapiens) النوع الوحيد الذى يحقق السيادة على كوكبنا .

إن أنواعاً أخرى لابد أن تتطور وتغير نفسها حتى تتكيف لكى تبقى أو تهلك بفعل الانقراض الطبيعى .

ولكن الانسان يستخدم عقله لتكييف البيئة حتى تلائمه وهكذا

استطاع أن يغير تغييراً أساسيا القوانين الطبيعية للمحيط الحيوى . وأصبح يملك القوة لصنع عالمنا كما أنه يملك القوة لتدميره .

ولقد وصل أثر الحضارة البشرية السريعة الانتشار وتزايد عدد السكان . على بقية المحيط الحيوى حدوداً مخيفة .

وإلى جانب ذلك تأثرت الثدييات من العائلات الحيوانية إلى حد كبير من الانسان فى أربعة طرق وهى :

١ — استغلال مباشر فى الصيد من أجل الغذاء والرياضة .. الخ .

٢ — تدمير البيئة .

٣ — تلوث البيئة بأدران منتجات الحضارة البشرية وفضلاتها .

٤ — قلقلة ميزان الطبيعة — أى « النظم الإيكولوجية » الوطيدة بإدخال أشكال غريبة واستئصال الأشكال الأصيلة .

إن الحاجة إلى الحفظ تنبثق من هذه القضايا . ويبدو الآن أن من الأنسب أن نستعرض بإيجاز الحيوانات الثديية فى عمان حتى تحدد مجالات الاهتمام الخاصة ونصف الإجراءات التى اتخذت بالفعل ونقترح مزيداً من الخطوات التى قد تكون ضرورية الآن أو مستقبلا .

الحيوانات الثديية فى عمان وبحثها من وجهة نظر الحفظ

إن الحيوانات الثديية فى عمان كما أوردها أخيراً هاريسون (١٩٧٧) فى قائمة تتألف من ٤٥ نوعا مقسمة على سبع فئات . ومنذ نشر تلك القائمة

فإن نوعاً من الوطاويط المدرج فى القائمة قد أعيد تعريفه ووصف بأنه نوع جديد بالنسبة للعلم (هاريسون ، ١٩٨٠) فى حين أن نوعين من الحيوانات الحشرية ووطواط وحيوان من آكلات اللحوم ونوعين من القوارض قد أضيفت إلى القائمة بعد عملية مسح أجريت للحيوانات والنباتات فى ظفار (هاريسون تحت الطبع) •

ولقد وجد وطواط واحد وحيوان حشرى واحد منذ نشر القائمة فى ظفـــــار •

والى جانب ذلك قام دليل على وجــود القنفذ فى عمان والفهــد والصــياد (Cheetah) فى ظفار وبذلك تصبح قائمة الحيوانات الحالية تضم ٥٦ نوعا حسب القائمة الآتية •

إن الأنواع التى تعتبر موضع اهتمام خاص عند دعاة الحفظ هى (١) تلك التى اختفت بالفعل فى المناطق البرية فى البلاد ، ولكن يمــكن إعادتها الى موطنها الأصلى (٢) وتلك التى تعتبر مهددة بالانقراض • (٣) وتلك التى لا يعرف عنها سوى النذر اليسير والتى قد يحتــاج حفظها إلى تدابير خاصة ، ولعل ذلك مرده إلى أن موطنها محدود ومحدد جداً • إن هذه المجموعات الثلاث تميز فى القائمة الآتية :

بحر فى « م م » (أى منقرضة محليا) وبحر فى « م ب » (مهددة بالانقراض) وبحر فى « ب » (اهتمام خاص بالحفظ) على التوالى •

MAMMALS OF OMAN : حيـوانات عمـان الثديـيـة :

الفصيلة : ـ (آكلات الهوام ـ آكلات اللحوم)
Order INSECTIVORA Insectivores

القنفذ الأثيوبى
Paraechinus aethiopicus dorsalis Ethiopian Hedgehog

(أ ب) قنفذ برانت
SC **Paraechinus hypomelas niger** Brand's Hedgehog

الفأر المنزلى
Suncus murinus sacer House Shrew

(أ ب) الفأر الصومالى الأبيض الأسنان
SC **Crocidura somalica** Somali White - toothed Shrew

(أ ب) الفأر الأصفر الأبيض الأسنان
SC **Crocidura suaveolens** Lesser White - toothed Shrew

الفأر القرمزى
Suncus etruscus Savi's Pygmy Shrew

الفصيلة : ـ (الخفاشيات والوطاوط)
Order CHIROPTERA Bats

وطواط الفواكه العربى
Rousettus aegyptiacus arabicus Arabian Fruit Bat

وطواط مسقط ذى الذيل الفأرى
Rhinopoma muscatelium Muscat Mouse - tailed Bat

وطواط ذو ذيل فأري قصير
Rhinopoma hardwickei Lesser Mouse - tailed Bat

وطواط زايد ذو الذيل الحاد
Taphozous nudiventris zayidi Zayid's Sheath - tailed Bat

وطواط القبور
Taphozous perforatus Tomb Bat

(أ ب) وطواط مصرى عديم الذيل
SC **Tadarida aegyptiaca** Egyptian Free - tailed Bat

وطواط شوكى
Asellia tridens tridens Trident Bat

(أ ب) وطواط فارسى محدب الأنف
SC **Triaenops persicus macdonaldi** Persian Leaf - nosed Bat

(أ ب) وطواط يشبه حافر الحصان
SC **Rhinolophus blasii** Blasius' Horseshoe Bat

(أ ب) وطواط عريض الأذنين
SC **Myotis emarginatus desertorum** Notch - eared Bat

(أ ب) بوتاسيروتين
SC **Eptesicus bottae omanensis** Botta's Serotine

(أ ب) وطواط سيروتين السندى
SC **Eptesicus nasutus batinensis** Sind Serotine Bat

(أ ب) الوطواط العربى
SC **Pipistrellus arabicus** Arabian Pipistrelle

الوطواط الكُهلى
Pipistrellus Kuhli Kuhl's Pipistrelle

(أ ب) وطواط همريك الطويل الأذن

SC Otonyctreris hemprichi jin Hemprich's Long - eared Bat

(أ ب) الوطواط الأوروبى

SC Nyotalus noctula Noctule

الفصيلة : ــ (آكلات اللحوم ــ آكلات اللحوم)

Order Carnivora Carnivores

الذئب العــربى

Canis lupus arabs Arabian Wolf

الثعلب الأحمر الشائع

Vulpes valpes arabica Common Red Fox

(أ ب) ثعلب روبل الرملى

SC Vulpes roppelli sabaea Ruppell's Sand Fox

(أ ب) الغـُزير العسلى

SC Mellivors capensis pumilio Honey Badger

(أ ب) النمس الأبيض الذيل

SC Ichneumia albicauda albicauda White - tailed Mongoose

(أ ب) رباح جرانت

SC Genetta genetta granti Grant's Genet

(أ ب) الضبع المخطط

SC Hyaena hyaena sultana Striped Hyaena

(أ ب) قطة جوردون المتوحشة

SC Felis Silvestris gordoni Gordon's Wild Cat

(أ ب) وشق شميتز
SC Caracal Caracal Schmitzi Schmitz's Caracal Lynz

(م ب) الفهد العــربى
TE Panthera pardus nimr Arabian Loopard

(م ب) الفهد الآسيوى الصياد
TE Acinonyx Jubatus venaticus Asiatic Cheetah

الفصيلة : — (الوبريات — الوبر) Order HYRACOLDEA Hyraxes

(أ ب) وبر جايكار
SC Procavia capensis jayakari Jayakar's Hyrax

الفصيلة : — (المزدوجات الأصابع — حيوانات مزدوجة الأصابع)
Order ARTLODACTYLA Artiodactyls

(م ب) الطهر العربى
TE Hemitragus jayakari Arabian Tahr

(م ب) الوعل النوبى
TE Capra ibex nubiana Nubian Ibex

(م ب) العنز البرى
TE Capra aegagrus Wild Goat

(م ب) الخروف الأحمر
TE Ovis ammon Red Sheep

(م ب) البقر الوحشى العربى
TE Oryx leucoryx Arabian Oryx

(م ب) الغزال العربى

TE Gazella gazella Arabian Gazelle

(م ب)الريم

TE Gazella subgutturosa marica Rhim

الفصيلة : ـ (الأرنبيات ـ الأرنبيات)

Order LAGOMORPHA Lagomorpha

الأرنب البرى العمانى

— Lepus capensis omanensis Oman Hare

الفصيلة : ـ (القوارض ـ القوارض)

Order RODENTIA RODENTS

(أ ب) الشيهم الهندى

SC Hystrix indica Indian Crested Porcupine

اليربوع الثلاثى الأصابع

Jaculus jaculus vocator Three - toed Jerboa

(أ ب) الفأر النبلى

SC Arvicanthis nilotious naso Nile Rat

الجرذ النبلى

Rattus rattus rattus Nile Rat

الفأر الخيلى

Nus musculus gentilulus House Mouse

الفأر الشوكى

Acomys dimidiatus homerious Common Spiny Mouse

(أ ب) الفأر الشوكى الذهبى

SC Acomys russatus Golden Spiny Mouse

(أ ب) الفأر الشوكى الأبيض

SC Acomys sp. nov. White's Spiny Mouse

العضل (حيوان يشبه الفأر)

Gerbillus nanus Raluchistan Gerbil

عضل جلاجر

Gerbillus dasyurus gallagheri Gallagher's Gerbil

عضل تشيزمان

Gerbillus cheesmani arduas Cheeseman's Gerbil

الجرذ الليبى

Meriones Libycus arimalius Libyan Jird

جرذ صنديفال

Meriones Crassus crassus Sunde vall'ss Jird

بحث

وهكذا • فإنه من بين أنواع الحيوانات الثديية الستة والخمسين فى سلطنة عمان ، هناك أربعة وثلاثون نوعا تحتاج الى بحث هام هنا بصفتها موضع اهتمام خاص للحفظ ، لأن ثمانية منها مهددة بالانقراض (م ب) وواحد منقرض محليا (م م) •

وهناك مجموعة قوامها ٣٤ نوعا من الأنواع الستة والخمسين المعروفة وهى موضع اهتمام خاص للحفظ •

ولكن مما لا شك فيه أنه ليس مما يدعو إلى الدهشة أن نجد أن مجموعة الأنواع التسعة المهددة فعلا بالانقراض هى من الثدييات الكبيرة أو أعضاء اما من عائلة « الحيوانات المزدوجة الأصابع » «Artiodactyls» أو من عائلة البقريات أو من الحيوانات الآكلة للحوم » •

ولكن يبدو أن عمان قد تكون أكثر حظاً من معظم البلاد لأن خسارتها فى فقدان الحيوانات الثديية الكبيرة التى تعود إلى العصر الهولوسينى أقل من غيرها •

وليس هناك دليل قاطع على أن الأسد الآسيوى (Panthera Leon Persica) أو الحمار الوحشى «Eguus hemionus hemippus» قد عاشا فى عمان فى الماضى ، (هاريسون ، ١٩٧٢) •

ولذلك يمكن القول أنه منذ انقاذ الظباء فى شبه جزيرة العرب ، على الأقل فى « أسر » هناك ، لم يحدث انقراض تام لحيوان ثدييى عمانى يعود إلى العصر الهولوسينى •

وليس هنـاك شك فى أن عـزلة هـذا البلد النسبية من التـأثير « الحضارى » للعالم الصناعى النامى إلى سنوات قريبة هو إلى حـد كبير السبب فى هذه الحقيقة :

إن الاستعراض التالى للأنواع التى هى موضـع اهتمام خاص للحفظ ، تعطى تبريراً للتفاؤل والأمل فى المستقبل ، ولكن لا تتيح مجـالا ذا بال للرضا والارتياح •

وتضم القائمة هنا ثلاثة أنواع من الحيوانات الحشرية (Insectivores) على أنها موضع اهتمام خاص للحفظ لأن المعرفة عنها ضئيلة جداً •

وجدير بالذكر أن قنفذ برانت يعيش فى السلاسل الجبلية العالية فى عمان وقد يكون نوعاً « أرمل » • ومع إنه لا يواجه أى خطر ، فان موطنه محدود ولذلك ينبغى مراقبة وضعه وحالته • فهو واحد من الأنواع التى يمكن أن يستفاد من انشاء حديقة وطنية له خصيصا فى الجبل الأخضر وقمر المصيف(Jabel Akhdar Massif)حيث عثر عليه فى وادى سحتان أثناء عملية مسح قام بها المسئولون فى إدارة النباتات والحيوانات العمانية) ١٩٧٥ (هاريسون ١٩٧٧) •

وتتضمن القائمة أيضا نوعين من الحيوانات التى تشبه السنجاب ذات الأسنان البيضاء ، وهذان النوعان قد اكتشفا أخيرا فى جبال ظفار أثناء عملية مسح لإدارة المساحة الحيوانية والنباتية العمانيـة فى عام ١٩٧٧ و (هاريسون تحت الطبع) •

وثمة اكتشـاف جديد هو الحيوان الفأرى الصغير (Suncus etruscus) فى سهل صلالة • ومما لا شك فيه أن الأول واحد من العناصر الأثيوبية الفريدة فى عالم الحيوان الأثيوبى هناك وقد يكون لكلا النوعين موطن

محدود للغاية فى منطقة استوائية أثيوبية محصورة بين جبل الفارا وجبل قمر المصيف •

وهذان النوعان ، إلى جانب أنواع أخرى كثيرة غريبة عن ظفار ، يستفيدان من حفظ موطنهما فى حديقة وطنية / أى حديقة صيانة طبيعية فى تلك المنطقة •

وتتضمن عائلة الوطواط تسعة أنواع تدخل فى اطار الأنواع التى هى موضع اهتمام خاص لحفظها • وتدخل جميعا ضمن فئة الأنواع التى تندر المعرفة عنها ، والتى ليست بالضرورة معرضة للخطر ، ولكن لهـا مواطن محدودة إذا تعرضت للاجتياح مع مرور الزمن ، فإن ذلك سيؤدى الى انقراضها محليا •

وهناك أربعة أنواع من الحيوانات الثديية قد اكتشفت أيضا بالقرب من الجبل الأخضر •

وعثر أخيرا على الوطواط المصرى العديم الذيل فى وادى سحتان «Wadi Sahtan» أثناء عملية مسح قام بها م • د • جالاغر و •ح• روس •

وقـد تمت اكتشافات عـديدة فى القلعـة القديمـة عنـد حـزم (Hazam) بالقرب من الرستاق (Rostaq)

وان حفظ مثل هذه المبانى التاريخية والكهفية كذلك ، يمكن أن يكون بالغ الأهمية لحفظ أنواع الوطاويط •

ويعتبر الوطواط الفارسى العريض الأنف من أكثر الوطاويط فتنـة

فى العالم ، إذ له أنف معقد غير عادى يشبه ورقة الشجر ، وهو مرتبط إلى حد كبير بنظام الفلج (Falaj) القديم فى عمان .

وان اهمال صيانة أنفاق الرى السفلى يمكن أن يؤدى الى اختفائه

أما وطواط سيروتين السندى ووطواط همبريك الكبير الأذنين ، فإنهما لا يمكن أن يكونا نادرين ندرة غيرهما من الوطاويط التى ورد ذكرها .

ويعتبر الاكتشاف الأخير لوطواط « نيكتالوس » فى جزيرة مصيرة «Masirah» على يد العالم م . جنتجز ذا أهمية بالغة .

وقد أضيف هذا الاكتشاف إلى القائمة الواردة هنا ، لأن وضع هذا النوع من الوطاويط يحتاج المزيد من الدراسة .

ومن الضرورى القول ، ونحن فى معرض الحديث عن سياسة الحفظ الخاصة بوطاويط شبه جزيرة العرب ، انه ليس هناك دليل على الاطلاق على أن مرض الكلب تنتقل عدواه بواسطة الوطاويط فى شـبه الجزيرة العربيـة .

إن النوع الوحيد الذى يعتبر ضاراً من الناحيـة الاقتصـادية فى المنطقة هو وطواط الفواكه ، فهو نوع مدمر لمحاصيل الفاكهة المختلفة . أما جميع الأنواع الأخرى فإنها وطاويط حشرية ، ولذلك فانها بالتأكيد مفيدة للإنسان لأنها تقضى على الآفات الحشرية مثل البعوض .

ولهذه الأسباب فإن أى إجراءات وقائية محلية لازمة ضد وطواط الفواكه لا ينبغى أن تضمن عملية رش غازات أو سموم بلا تمييز على الوطاويط فى الكهوف كما حدث هذا الخطأ فى بعض البلدان .

إن أول حالات مهددة بمواجهة الانقراض المحلى هى الحيـوانات الآكلة اللحوم • فالفهد الصياد الآسيوى «Jubatus Venaticus» أصبح على وشك الانقراض فى شبه جزيرة العرب منذ منتصف هـذا القرن (هاريسون ١٩٦٨) •

وجدير بالذكر أن موطن هذا الفهد هو سهول الحصباء حيث يفضل الاقامة فيها لمطاردة فريسته المحببة وهى « الغـزال » ، ولذلك تكون معرضة للصيد من الصيادين الذين يستخدمون السيارات فى رحـلات الصيد • ولقد اعتبرت إلى وقت قريب فى حكم المنقرضة فى عمان •

ولكن جلدالفهدالذى حصل عليه مستر تريفور هنرى مـن بعض الرجال القبليين دل على أن الفهد قتل فى شهر نوفمبر أو ديسمبر من عام ١٩٧٧ فىاقليم جبجات (Jibjat) (١٧° ١٥ شمالا و ٧٤° و٢٧ شرقا) • وهذا السجل يؤيد القول بأن الفهد الصياد شـوهد فى وادى مبتـــان (Wadi Mitan) فى جنوب اليمن (هاريسون ١٩٧٢) على بعـد حـوالى ٥٠ ميلا شمال غربى جبروت «Habarut» وهـذا يعتبر رواية موثوقا بها • ولما كان هذان الحدثان الوحيدين المعروفين عن الفهـد الصياد فى شبه جزيرة العرب ، فإنه يجرى تبيانهما فى الشكل رقم «١» •

على إنه يجب اعتبار وجود عدد قليل من الفهود الصيادة مازالت على قيد الحياة فى البلاد فى حكم المؤكد •

والى جانب ذلك يعتبر الفهد العربى «Panthera Pardus Nimr» نوعا مهددا بالانقراض ، ولكن حالته أفضل من غيره بكثير •

وتدل تقارير موثوق بها على أن الفهد العربى يرعى على سلاسل عمان الجبلية فى أعداد صغيرة • وذلك فى منطقة تمتد من ظفار فى الجنوب

حتى مسندم «Musandam» فى الشمال حيث قتل رجال قبليون واحدا منها فى شهر مارس من عام ١٩٧٩ فى وادى مقلايلى (Maqlayli) (٢٥° و ٥ر٥٦ شمالا و ٥٦° و ٥ر١٦ شرقا) ، وسلم إلى متحف عمان الوطنى .

وقد تم ايضاح جميع الحوادث المعروفة على الخريطة (الشكل ٢) .

ما الذى يمكن عمله لهذه الفهود ؟

مما لا شك فيه أنه يجب أن تلقى حماية تامة ، ولكن هذا الأمر لن يطاع فى أقاليم نائية فى بلد مثل عمان لأن الغالبية العظمى من الشعب هناك مكونة من بدو يعتمدون فى معيشتهم على قطعان من الحيـــوانات المحلية التى تعيش هذه الفهود الكبيرة على افتراسها .

ولعل أفضل ما يمكن أن نرجوه هنا فى عمان ، على المدى الطويل ، هو توفير الحماية لهذه الحيوانات داخل حدود حدائق وطنية .

ومع وجود هذا الهدف نصب الأعين ، فإن فصيلة الفهـــد الصياد « الشيتا » يمكن حفظ نوعها بواسطة الأسر اذا وجدت أية جماعات منها على قيد الحياة فى البرارى . ويبدو أن داخل منطقة ظفار هى المنطقة التى يحتمل أن يوجد فيها الفهد الصياد .

وتضم القائمة كذلك ثمانية أنواع أخرى من الحيـــوانات الآكلة اللحوم هى موضع اهتمام خاص لحفظها .

إن بعض السنوريات الأصغر ليست نادرة كما تقول بعض التقارير القليلة . وهذا أكثر انطباقا على القطة الرملية (Sand Cat)

التى تعتبر من أرشق وأحسن الحيوانات الصحراوية الثديية تكيفـا فى عمـان •

إن هذه الفصيلة من القطط التى مازالت معروفة بفضل حدثين عند المشارف الشرقية لصحراء الربع الخالى ، والتى تتخذ الصحارى الرملية موطنا لها ، مازالت قادرة على رعاية نفسها فى تضاريس يحجم الإنسان عن ارتيادها •

وبالإضافة إلى ذلك فإن القطة البرية والوشق العجمى (وهو حيوان أصغر من الفهد قصير الذنب) غير معروفين كثيرا فى البلاد ، وأن النموذج التى حصل عليه • ر هاتنجدون ، فى ثماريت ، فى ظفار (١٧° ، ٣٨ شمالا و٥٤° ، ١ شرقا) فى أواخر عام ١٩٧٤ ، هو النموذج الوحيد لهذا النوع الأخير فى السلطنة •

ولقد كتب هيلز (١٩٨٠) عن عثور ف • ج • ووكر فى عام ١٩٧٨ على وشق عجمى ميتا على الطريق الى جبل قارا (Jebal Qara)

وقد تضمنت القائمة هنا جميع هذه القطط الأصغر لأن وضـعها يتطلب مزيداً من التقييم والمراقبة فى المستقبل •

أما الضبع المخطط فمازال من الحيوانات الثديية الموجودة فى جنوب شرق شبه جزيرة العرب ، وان لم تكن كثيرة العدد ، ويحتمل أن تكون موجودة بأعداد أكثر فى إقليم ظفار حيث اكتشف هذا النوع المعـروف بسلطانه فى الأصل ، وقد يزداد ندرة كلما امتد نفوذ الإنسان فى هـذه المنطقـة •

وهناك نوعان من الحيوانات الآكلة اللحوم احداهما القطة الزرقاء

(Genetta genetta granti) التى اكتشفتها لأول مرة فى جنوب اليمن ج • ويمان بورى عام ١٩٠٢ • ووصلت أخيرا فى ظفار أثناء عملية مسح أجريت عام ١٩٧٧ • (هاريون • تحت الطبع) ، وقد يكون موطنها فى ظفار محدداً جد • ومما لا شك فيه أنها من الثدييات المحلية الهامةأيضا •

وثمة حيوان ثديى أفريقى آخر أكثر انتشاراً فى عمان هو النمس (المنجوس) الأبيض الذيل • ومن الصعب رؤية هذا الحيوان الجميل لأن من بين عاداته الغريبة أنه لا يظهر الا فى الليل •

وهذا الحيوان لا يتهدده خطر الانقراض ، وان كان وضعه بحاجة الى مزيد من التقييم •

وثمة حيوان ثديى من آكلات اللحوم هو الغُرْير أو (الغرغور) • ونظراً لمنظره الخلاب ، اصبح اسمه يتردد فى الأساطير والأدب الشعبى المحلى ، وهو من بين الحيوانات التى يمكن حفظهما فى حديقة وطنية محلية •

والغرغور يحب عسل النحل ولذلك يقوم بغزوات مدمرة ضد خلايا النحل فى ظفار ، وإذا كان لابد من حفظ هذا الحيوان فإنه يجب اتخاذ اجراءات وقائية لحماية خلايا النحل أيضا •

وأخيرا ، فإن من بين الحيوانات الآكلة اللحوم ، الثعلب الرملى الذى تتحدد إقامته فى الصحراء وهو معروف فقط عند مشارف صحراء الربع الخالى الشمالية — الشرقية • وهو من نفس مرتبة القطة الرملية (Sand Cat) اللهم فيما عدا أنه لم يتأكد وجوده فى السلطنة ، ولكن مما لا شك فيه أنه موجود هناك • واحتمال أن يكون أكثر ندرة فى شبه جزيرة العرب ، فإنه ينبغى عدم تجاهله •

ومن الحيوانات الآكلة اللحوم فى عمان التى لم تحظ بتعليق خاص

هنا ، الثعلب الأحمر والذئب الذى يعيش فى شبه الجزيرة العربية ، لأن هذين النوعين منتشران وكثيرا العدد ، ولذلك فليس هناك ضرورة لأى إجراءات وقائية لحفظهما • ولكن لعل الأخير الذى ما كان ينبغى تجاهله • فان اعداده ستتناقص الى حد كبير فى السنوات القادمة وهو يعتبر عدواً للإنسان الذى لا يتردد فى قتله أينما يجده •

على أن الذئب يلعب دورا هاماً فى توازن الطبيعة بافتراسه الحيوانات الضعيفة والمريضة وبذلك يساهم فى المحافظة على الحيوانات السليمة ، وهو فى عمان يساعد على الحد من الحمر الوحشية التى أصبحت وباء فى البلاد •

وتعيش الأرانب البرية فى عمان • وقد اكتشفت فى جبال ظفار • وتعتبر هذه الجبال موطنها الوحيد المعروف فى البلاد • ان هذا الحيوان الثديى الفريد الذى يعيش دائما بالقرب من الأفيال ووحيد القرن ؛ يعتبر نوعا آخر من الأنواع التى تستفيد من عملية وقاية مواطن الحيوانات فى جبل القارا •

ومن الثدييات التى تواجه أخطر مشكلة بالنسبة لحفظ أنواعها ؛ هى البقريات • ان أنواع هذه الثدييات السبعة من الماعز والخراف والأيائل التى تتضمنها القائمة تواجه خطر الانقراض أو تصبح منقرضة محليا •

وليس من الصعب فهم هذا الموقف حينما يصبح معلوما أن هذه الحيوانات الآكلة للحشائش تعتبر منذ القدم لعبة تقليدية ، اذ أنها تطارد من أجل لحومها ورياضة للإنسان الذى يستخدم أسلحة تزداد كفاءة ، كما أنها تستخدم لأغراض النقل •

والى جانب ذلك أدى انتشار البشر مع تزايد عدد السكان الى

ازدياد الرعى لماشيته الأمر الذى أدى إلى وجود منافسة ايكولوجية غير مواتية مع الحيوانات الظلفية • على الحصول على المواد الغذائية •

إن النوع الأول الذى يعتبر هنا ذا أهمية بالغة أولا لأنه فريد فى نوعه بالنسبة لكل من عمان ولجمهورية مصر العربية ، وثانيا نظرا للجهود الهائلة التى بذلت أخيرا لإنقاذه من الانقراض • وهـذا الحيوان هـو « الطهر » العربى (أى العنزة البرية) التى اكتشفها عام ١٨٩٤ ، أولدفيلد طوماس وأطلق عليه اسم جايكارى تكريما للطبيب الجراح اللفتنانت كولونيل ا•س•ج• جايكار • الذى كان قد أجرى أبحاثا هامة فى هـذا الحقل فى عمان •

وتتخذ الحيوانات من هذا النوع اقامتها فى سلسلة الجبل الأخضر وتوابعها موطنا لها ، وتفيد التحقيقات التى أجريت فى السنوات الأخيرة أن هناك هبوطا خطيرا فى أعداد الجايكارى ، أو العنزة البرية وعليه جرى اتصال فى عام ١٩٧١ بصاحب العظمة سلطان عمان باقتراح يقضى بانشاء حديقة وطنية فى الجبل الأخضر لحماية هذا الحيوان بالتحديد

ونتيجة لهذه المبادرة واهتمام صاحب العظمة السلطان قابوس بن سعيد وكرمه ، حدث تطوران هامان ، أولهمـا التخطيط لإنشـاء مكتب للمستشار الحكومى لحفظ البيئة وقد تم بالفعل إنشاؤه فى أكتوبر من عام ١٩٧٤ •

وكلفت إدارة بحث ومسح الحيوانات والنباتات العمانية فى عام ١٩٧٥ بمهمة استكشاف الجبل الأخضر استكشافا تاماً لا لغرض التأكد من وجود « الطهر » ــ أى العنز البرى ــ هناك فحسب ، وانما لإجراء تحقيقات وعمليات مسح تشمل جميع الحيوانات والنباتات فى الإقليم •

وفى تلك الأثناء عثر على مجموعات من العنز البرى فى منطقة الجبل

الأسود • وقامت وزارة شـئون الديوان بإنشاء حظـيرة كبيرة لحفظ « الطهر » بفضل همة وحماس د • ﻫ • أنسول وبمعاونة الرجال القبليين المحليين الذين أقاموا من بينهم حراساً على هذه الحظيرة الضخمة •

وإلى جانب ذلك قامت حملة فى عام ١٩٧٥ بإجراء تحقيق حـول الحيوانات والنباتات فى هذه المنطقة • وتمثل النتائج التى نشرت فى تقرير خاص بجريدة الدراسات العمانية (رقم ١٤) عام ١٩٧٧ ، تقدما كبيرا فى المعرفة عن التاريخ الطبيعى لهذه البلاد ، وقد ازداد الاهتمام بالعنز البرى عقب هذه الخطوات المبكرة •

وأخذ الدكتـور ب • مونتون على عاتقـه مشروع بحـث خاص عن الحيوان (WWF/IUCN Project 1290) بدعم مشترك من جانب الصندوق العالمى للحياة البرية والحكومة العمانية •

ولقد قدم التقرير كثيرا من المعلومات الأساسية التى كانت غـير متوفرة فى السابق عن الحيوانات • وستساعد هذه المعلومات على انتهاج سياسة للحفظ يوصى بانتهاجها مستقبلا :

وفيما يلى النقط البارزة الناجحة عن المشروع :

١ — يقدر مجموع أنواع الحيـوانات فى العـالم بأقـل مـن ٢٫٠٠٠ نوع •

٢ — إن العلاقة المدهشة التى اكتشفت بين « الطهر » — العنز البرى — والتضاريس غير المرعية ، تبين أثر المنافسة بين الحيـوانات المحلية ، وتعتبر العنزة المحلية فى هذه المنافسة هى الحيوان المسىء •

٣ — لقد تأكد الأثر الضار لصيد العنز البرى لسهولة صيده لتواجده عند عيون المياه •

وقد أوصى تقرير الدكتور مانتون بإنشاء ثلاث حظائر إضافية جديدة حفظ الماعز البرى فى المناطق التى يعيش فيها هذا النوع ، على أن توفر ، مع حظيرة وادى سيرين الحالية حماية خاصة لمجموع العنز البرى البالغ عددها ٧٨٢ عنزة •

وينبغى أن تقتصر هذه الحظائر على الحيوانات البرية وعدم السماح بضمحيوانات محلية أخرىاليها • مع وجود دوريات منتظمة لمنع صيدها •

أما وإن مشروعا للحفظ من هــذا القبيل سيكون فعالا فى انقــاذ « الطهر » فذلك تدل عليه الزيادة المشجعة الأخيرة فى عدد هذا النوع من الحيوانات فى منطقة وادى سيرين ، (د٥ه٥ أنسول ــ ١٩٧٩) •

ويجرى الآن الاحتفاظ بقطيع فى عمان كإجراء وقائى إضافى للاستفادة من نسلها وارسال مواليدها إلى البرية • على أنه بعد فشل أولى منيت به التجربة نظراً لضعف صحة صغار الماعز البرى ، فإن بعض هذا النوع من الحيوان أصبح يتكيف بنجاح حسب « الأسر » فى حدائق حيوانات سيب (Sib)

ولذلك يمكن الادعاء بأن العمل الذى أجرى فى الوقت المناسب قــد حقق نجاحاً مبكرا كبيرا فى إنقاذ معظم الحيوانات الثديية فى عمان •

ويعتبر الوعل النوبى (Capra ibex nubiana) نوعا جميلا آخر ، وهو معرض لخطر الانقراض محليا • ومع أنه يرى مصادفة فى جبــال عمان الشمالية ، إلا أنه يوجد بكثرة فى ظفار • وهو واحد من الثدييات الكبيرة التى يمكن أن تحفظ فى حديقة وطنية هناك •

إن العنزة البرية أضيفت هنا على أساس رؤيتها مرة فى جبــال الإمارات العربيــة المتحــدة بالقرب من : مَسفِى «Masafi»

(هاريسون ، ١٩٦٧) • ومازال من غير المؤكد ما اذا كان هذا النوع من الحيوانات الثديية التى تعيش فى سلسلة الجبال العمانية ، أو أنه مجرد مهاجر عرضى •

وقد ظهر الخروف الأحمر «Ovis ammon» مرة واحدة • (هاريسون ، ١٩٦٨) • ولكن ظهوره أخيرا فى المملكة العربية السعودية (هاريسون ، ١٩٧٢) يؤيد وجوده • فاذا كان النوعان موجودين فإنهما بحاجة إلى تقييم جديد عاجل •

وليس ثمة شك فى أن بقر شبه الجزيرة العربية (Oryx Leucoryx) هو أجمل الحيوانات الثديية الكبيرة فى المنطقة • وبالنسبة إلى هذا النوع تظهر غرائز الصيد المدمرة عند الإنسان فى المنطقة •

وكان هذا النوع من الحيوانات الثديية فى الماضى منتشرا فى جميع أنحاء شبه الجزيرة العربية ، ولكن وجودها أخذ يتقلص فى هذا القرن حتى اقتصر وجودها على المنطقة الجنوبية ، ولم يبق منه سوى عدد ضئيل فى جنوب شرق صحراء الربع الخالى •

وهناك احتمال كبير بأن بقايا هذا الحيوان قد هلكت ، ولكن من حسن الحظ أن الحيوانات التى اصطيدت أثناء « عملية البقر » التى قام بها الصندوق الدولى لحماية الحيوانات البرية وإدارة شئون الحيوانات والنباتات عام ١٩٦٣ — وهى عملية تعتبر من أعظم قصص النجاح الخاصة بحفظ الحيوان — قد تأقلمت وتناسلت بنجاح فى الولايات المتحدة وأصبحت تشكل القطيع العالمى للأبقار العربية هناك •

وبالإضافة إلى ذلك ، مازالت هناك قطعان من هذا النوع من الأبقار على قيد الحياة محفوظة داخل حدائق فى شبه جزيرة العرب وخاصة فى قطر •

وتعتزم حكومة عمان اليوم القيام بمحاولة تهيئة مناخ طبيعى للأبقار العربية يشبه موطنها الأصلى واختارت جدة الحراسيس «Jiddat alHarasis» (جونجيوس • ١٩٧٨) لهذا الغرض •

وهناك ١٢ من هذا النوع من الحيوانات جرى تجميعها كجزء متكامل من قطيع لهذا الغرض فى أمريكا ، وذلك فى حديقة سان دينجو للحيوانات البرية حيث سيحتفظ بها فى أول الأمر كحيوانات « شبه أسيرة » فى حديقة جـديدة فى يالونى «Yaluni» • وبعـد أن تتـكيف تمـاما حسـب المناخ وتتناسـل سـيجرى اطـلاق سراحهـا تدريجيـا مع تقليـل كمية الغذاء الصناعى والمياه لها توطئة لانطلاقها فى البرارى • والمرجو أن تكلل هذه الخطة الطموحة بالنجاح •

ولم يتبق فى عمان سوى نوعين من الحيوانات الثديية المزدوجـة الحوافر وهما نوعان من الغزلان • أولا الغزال العربى: « الريم » • ومع أن أعدادهما تناقصت الى حد كبير نتيجة للافراط فى صيدها ، الا أن محنتها ليست سيئة كمحنة البقريات التى سبق بحثها • على أن قيود الصيد الصارمة التى فرضتها الحكومة قد أدت الى تحسين الوضـع ، وأصبح فى الامكان زيادة أعدادها بجمع قطعان منها فى « أسر » للتناسل ، على غرار الحظائر الكبيرة التى أنشئت فى وادى سيرين «Wadi Serin» لحفظ البقريات حيث تتناسل الآن الغزلان بنجاح فى الأسر ، ويجرى إطلاق سراحها فى أعداد صغيرة إلى البرية على فترات •

أما الأرانب البرية والسناجب القارضة التى تشكل البقية الباقية من الثدييات فى عمان فإنها تشمل أربعة أنواع هى موضع بعض الاهتمام فيما يتعلق بحفظ النوع • ولا تعرف الا فى ظفار •

وهناك نوع القوارض الواسعة الانتشار فى شبه الجزيرة العربية

وهو الفأر الذهبى (Acomys russatas) ولكن يقتصر وجوده فى عمان على ظفار فقط حيث يشكل واحدا من مجموعة من الحيوانات المحلية •

واكتشف أخيراً نوع جديد من القوارض الثديية هو الفأر الأبيض ويوجد فى جبل القَمْر (Jabal Qamr) وإن كان وجوده هناك محدودا • وقد سمى نسبة إلى مكتشفه وهو ب • جرانفيل هوايت •

وقد يكون الفأر النيلى (Nile Rat) قد ظهر فى نفس سفوح التلال ذات العشب ولكن لم يثبت وجوده هناك •

وثمة حيوان ثديى ظهر فى ظفار وهو الشيهم أو القنفـذ • حيث وجـد ر •٠هـ • دالى مجموعة من أشواكها خارج صلالة وحمة (Hima) وجدة الحراسيس (ر•ه• دالى ١٩٧٩) • «R. H. Daly» • وإلى جانب ذلك ذكر هيلز (١٩٨٠) أنه عثر على واحد منها ميتاً عند المنحدرات الشمالية لجبل القارا (Jebel Qara) عام ١٩٧٨ • ان هـذا الحيـوان القارض الكبير الذى يعتبر ترفاً عند القرويين • قد يحتاج الى اجراءات لحفظ نوعه فى الوقت المناسب •

الخـــاتمة :

١ — يبلغ عدد أنواع الحيوانات الثديية فى سلطنة عمان ٥٦ نوعا معروفا • وقد بحثت هذه الأنواع من وجهة نظر الحفظ • وهناك ٣٤ نوعاً هى موضع بعض الاهتمام بالنسبة للحفظ • ولكن هناك ثمانية أنواع فقط مهددة بالانقراض المحلى فى الوقت الحاضر •

وجميع هذه الأنواع حيوانات كبيرة من آكلة النباتات أو اللحوم • ويعتبر نوع منها منقرضا محليا بالفعل ، ولكن تم انقـاذه فى « أسر » وسيعاد الى البرارى قريبا •

٢ — وقد أظهر استعراض لتقدم عملية الحفظ ومتطلباتها أن المحافظة على مواطن الحيوانات مهم للغاية إن لم يكن أهم من حماية الحيوانات نفسها من الصيد •

ولقد كشفت التجربة المكتسبة من دراسات النباتات والحيوانات العمانية ومن مشروع الصندوق الدولى لحمـاية الحيـوانات البـرية والبقريات ، قيمة التحليل العلمى لجميع « النظـام الايكولوجى » فى اختيار المواقع المناسبة للحدائق الوطنية وفى إدارتها •

وثمة حاجة يؤكدها هذا البحث وهى انشاء موطن خاص فى جبـال ظفار — حيث توجـد نوعيات فريدة من الحيـوان والنبات فى منطقـة محدودة للغاية •

٣ — ان النجاح النهائى لأى سياسة خاصة بالمحافظة على الحيوانات فى عمان مرهون بالتربية والتعليم • وثمة هدف للأبحاث الخاصة بالحيوانات

والنباتات وهو إتاحة معلومات أشمل للشعب العمانى وللعالم العلمى عن التاريخ الطبيعى الرائع لهذه البلاد العريقة •

ولقد تم بالفعل البدء فى تنفيذ هذه المهمة بواسطة مطبوعات تصدر تحت رعاية الحكومة عن « الزهور البرية لعمان الشمالية » و « الحيوانات البرية فى عمان » ، وكذلك التقارير المؤقتة التى وضعتها الإدارات العمانية الخاصة بالحيوان والنبات ، وأصبحت هذه المعلومات جميعها متاحة باللغتين العربية والإنجليزية •

وهناك مطبوعات أخرى عن الفراش والطيور فى عمان يجرى إعدادها الآن • وكما قال عظمة السلطان قابوس بن سعيد فى كلمته الافتتاحية لمؤتمر إدارة البحث العمانية الخاصة بالنبات والحيوان عام ١٩٧٥ « إن العمل الخاص بمسح الحيوان والنبات فى السلطنة يجب أن يستمر لبعض الوقت » •

إن جريدة **الدراسات العمانية** ستبعث بنتائج الدراسات إلى العلماء والشخصيات التى يهمها الأمر فى العالم • ولما كان تعليم العلوم يسير قدما فى مدارسنا فان هذه المعرفة ستصبح متاحة لشباب عمان أيضا • إنه بهذه الطريقة وحدها يمكن الحفاظ على هذا التراث القومى الذى لا يقدر بثمن والذى ستتناقله الأجيال جيلا بعد جيل •

شـــكر وتقـــدير :

إن كاتب هذا البحث مدين للحكومة العمانية والدكتور ب • مونتون • و أ • وانسير — للسماح له باستخدام اللوحتين السادسة والثامنة • وللدكتور ب • ف • هاريسون للوحة الثالثة • كما أنه يعرب عن شـــكره الخاص للمسؤولين بمكتب المستشار الحكومى لحفظ البيئة والذى تلطف وقرأ هذا البحث وقدم اقتراحات مفيدة كثيرة • وأخيراً ، فإنه لا يفوتنى أن أسجل هنا تقديرنا واعترافنا بالجميل لصاحب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد لاهتمامه ومعونته الكريمة فى حفظ حيوانات عمان ونباتاتها •

REFERENCES

Fisher J., Simon N., and Vincent J. 1969 The Red Book. Wildlife in Danger, Collins, London. pp. 368.

Harrison D. L., 1964 The Mammals of Arabia 1. Insectivora. Chiroptera. Primates. Benn. London. pp. 1 - 192.

Harrison D. L., 1967 Observations on a Wild Goat, **Capra aeragrus** (Artiodactyla : Bovidae) from Oman, E. Arabia. J. Zool. London 151 : 27 - 30.

Harrison D. L., 1968 On three mammals new to the fauna of Oman, Arabia, with the description of a new subspecies of bat. Mamm. (Paris) 32 (3) : 317 - 325.

Harrison D. L., 1968 The Mammals of Arabia 2. Carnivora. Artiodactyla. Hyracoidea. Benn. London. pp. 193 - 381.

Harrison D. L., 1972 The Mammals of Arabia 3. Lagomorpha. Rodentia. Benn. London. pp. 382 - 670.

Harrison D. L., 1976 A plan to save the Arabian Tahr. Asian Affairs 63 (N. S. 7) : 33 - 34.

Harrison D. L., 1977 Mammals obtained by the Expedition with a checklist of the mammals of the Sultanate of Oman. In / The Scientific Results of the Oman Flora and Fauna Survey, 1975. J. Oman Studies Special Report (No. I) pp. 13 - 26.

Harrison, D. L., 1980 A new species of Pipistrelle Bat **(Pipistrellus : Vespertilionidae)** from Oman, Arabia. Mamm. (Paris) 43 (4) : 573 - 576.

Harrison D. L., (In press) Report on the Mammals obtained by the Oman Flora and Fauna Survey, 1977 (Dhofar), with the description of a new species of **Acomys (Rodentia : Muridae)** J. Oman Studies Special Report. No. 2.

Harrison D. L., and Gallagher M. D., 1976. Plan for Reserves in Oman. Oryx 13 (3) : 287 - 288.

Harrison D. L., and Gallagher M. D. 1974. A park to save the Arabian Tahr. Oryx 12 (5) : 547 - 549.

Hills D. M., 1980 Mammals previously unrecorded from the Sultanate of Oman, Arabia. Mamm. (Paris) 43 (4) : 567 - 568.

Jungius H., 1978 Plan to Restore Arabian Oryx in Oman. Oryx 14 (4) : 329 - 336.

Munton P., (In press) The conservation of the Arabian Tahr. **(Hemitragus jayakari** / Thomas, 1894) WWF / IUCN Project 1290 : Final Report.

Vrba E. S., 1979 Phylogenetic analysis and classification of fossil and recent Alcelaphini Mammalia : Bovidae. Biol. J. Linn. Soc. 11 (3) : 207 - 228.

ILLUSTRATIONS

Plate 1 The proposed Jebel Akhdar National Park, a general view from Masjid Ma' Illah.

Photograph by D. L. Harrison

Plate 2 Ihe Oman Flora and Fauna Survey 1975. The Survey Party ascending Jebel Akhdar.

Photograph by D. L. Harrison

Plate 3 The Brandt's Hedgehog **(Paraechinus hvpomelas niger)**, one of Oman's rarer small mammals.

Photograph by P. F. Harrison

Plate 4 Arabian Oryx **(Oryx leucoryx)**, extinct in the wild in arabia, but soon to be restored to its native habitat in Oman.

Photograph by D. L. Harrison

Plate 5 Arabian Gazelle **(Gazella gazella arabica)**, a graceful antelope of Oman, considered threatened locally, It is now protected and being bred in captivity to increase the stock.

Photograph by D. L. Harrison

Plate 6 The Arabian Tahr **(Hemitragus jayakari)**, Oman's most unique large mammal, thretened with extinction, now protected in a special Reserve.

Photograph by Dr. P. Hunton

Plate 7 Wadi Serin, the Tahr Reserve in Jebel Aswad

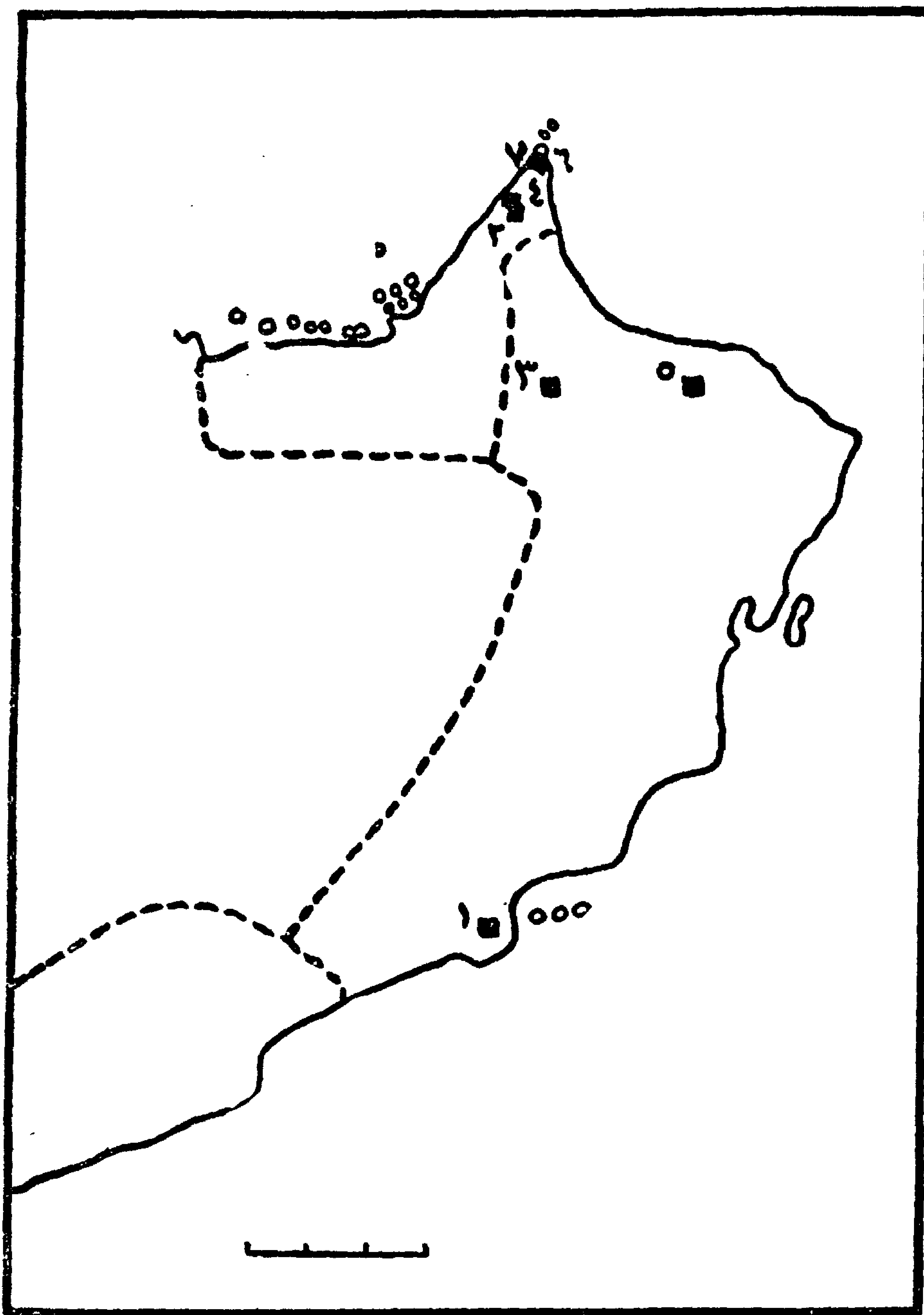
Photograph by D. L. Harrison

Plate 8 The mountains of Dhofar, a view of Khadrafi, during the 1977 Oman Fora and Fauna Survey.

Photograph by A. Dunsire

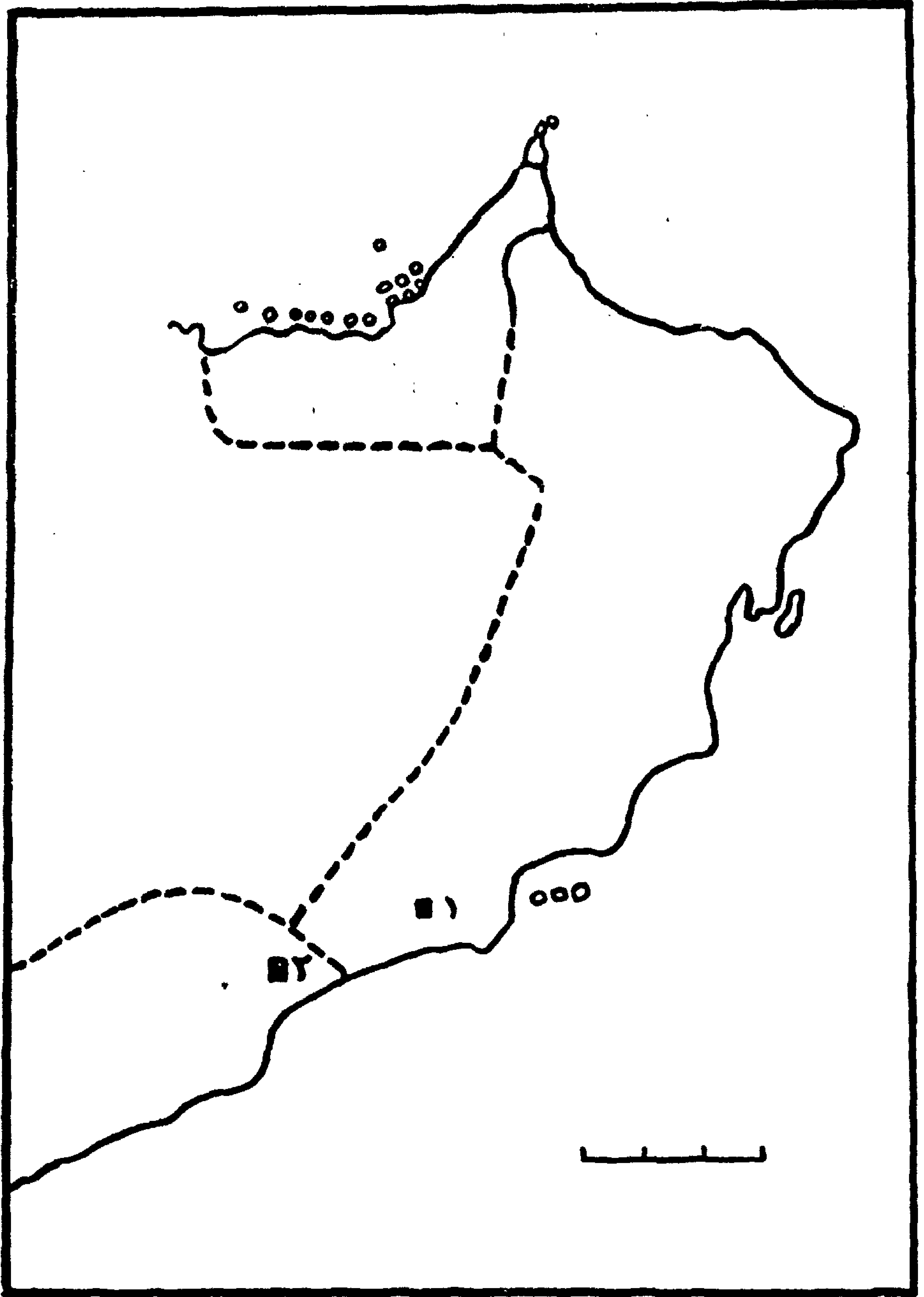
Figure 1 Recent occurrances of the Cheetah **(Acinonyx jubatus) in** South - eastern Arabia.

Figure 2 Recent occurrences of the Leopard **(Panthera pardus nimr) in** South - eastern Arabia.



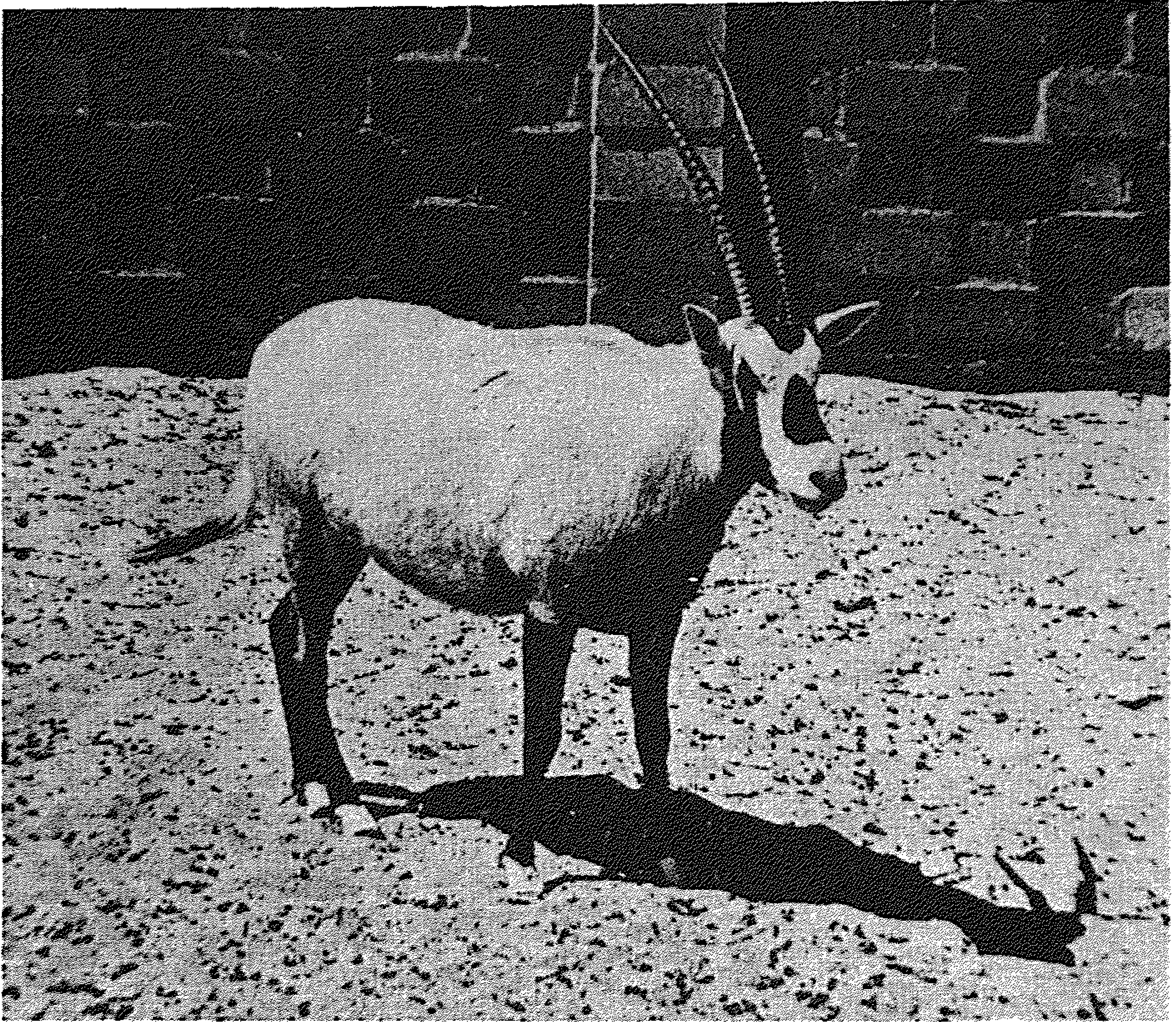
شـــكل رقم (١)

المواقع التى رؤى فيها الفهد الصياد (الشيتا) فى جنوب شرق شبه الجزيرة العربية ١ ــ جيجات ، ظفار ، عمان ٢ ــ وادى ميثان = ٥٠ ميــلا شمال غرب الجدوث ، فى جنوب اليمن ــ مقياس الرسم : كل قسم = ٥٠ ميلا .



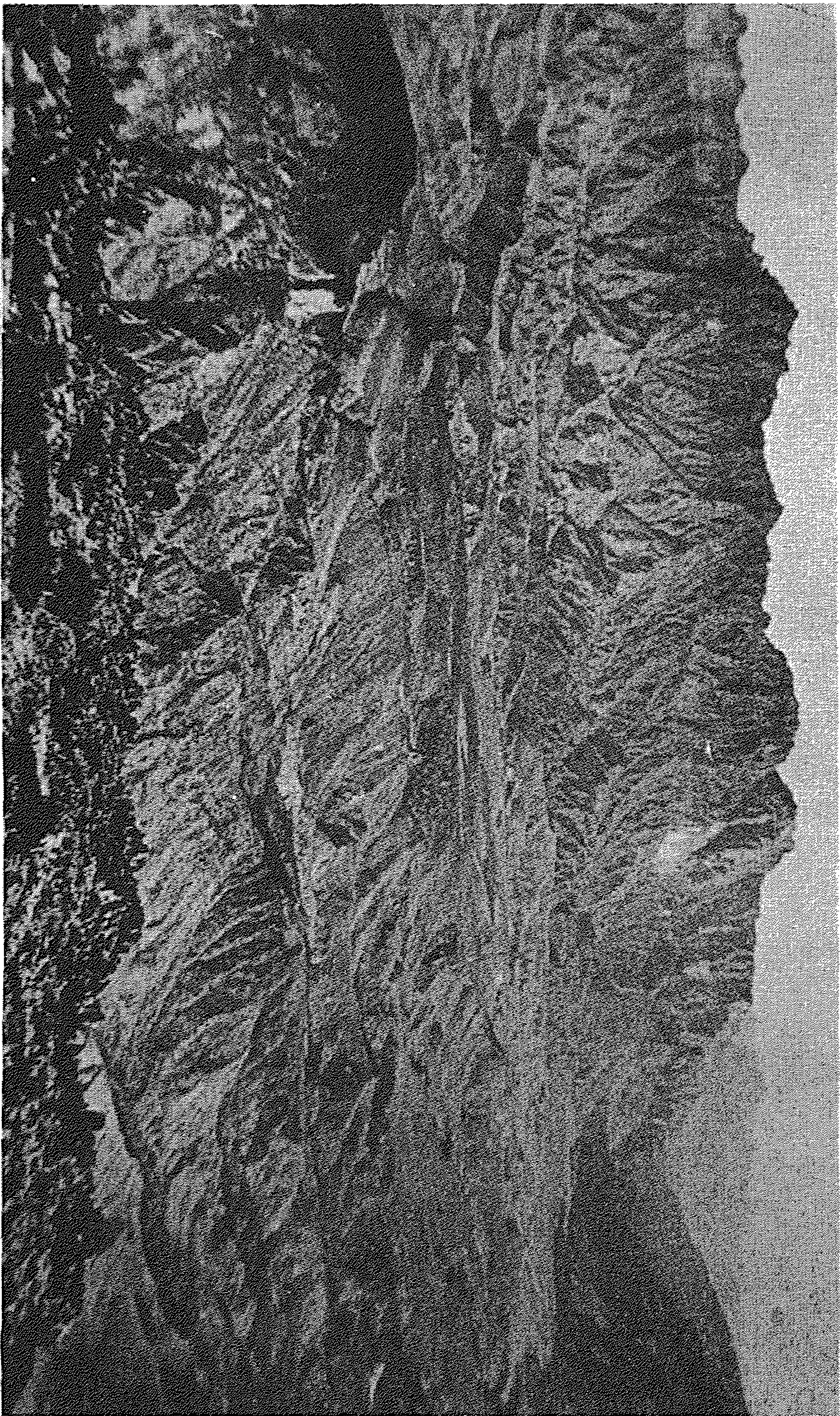
شـــكل رقم (٢)

المواقع التى شوهد فيها الفهد (النمر) فى جنوب شرق شبه الجزيرة العربية
١ ــ جبل سمحان ، ظفار ٢ ــ ترب المصافى فى الامارات العربية ٣ ــ جنوب غربى عبرى وعمـان ٤ ــ عرقاليضة ، شمال المناجـة بالامارات العربية ٥ ــ طاوى ماهيايل بين نخلة والعوابى فى عمان ٦ ــ وادى الماقلايلى فى شبه جزيرة مسندم ، عمان ٧ ــ جبال غربى ليماج ، مسندم . . .
مقياس الرسم : كل قسم = ٥٠ ميلا



شـــكل رقم (٣)

نوع نادر من المـــاعز الذى يعيش فى الجبـــال
وحاليـــا يعيش فى الأسر فى حـــدائق (مســـورة)



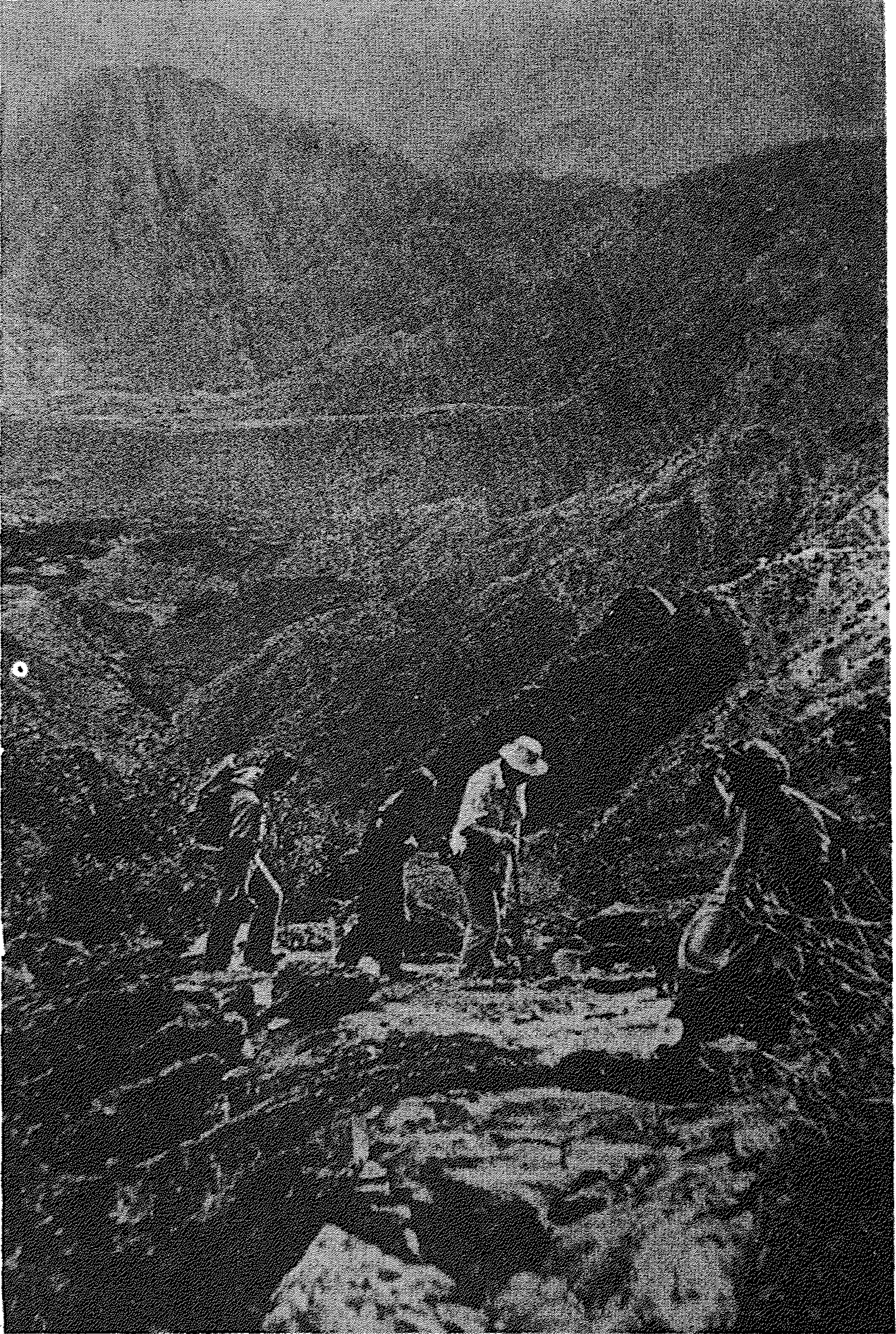
شكل رقم (٤)

منطقة من مناطق الجبال التى تعيش فيها الحيوانات البرية

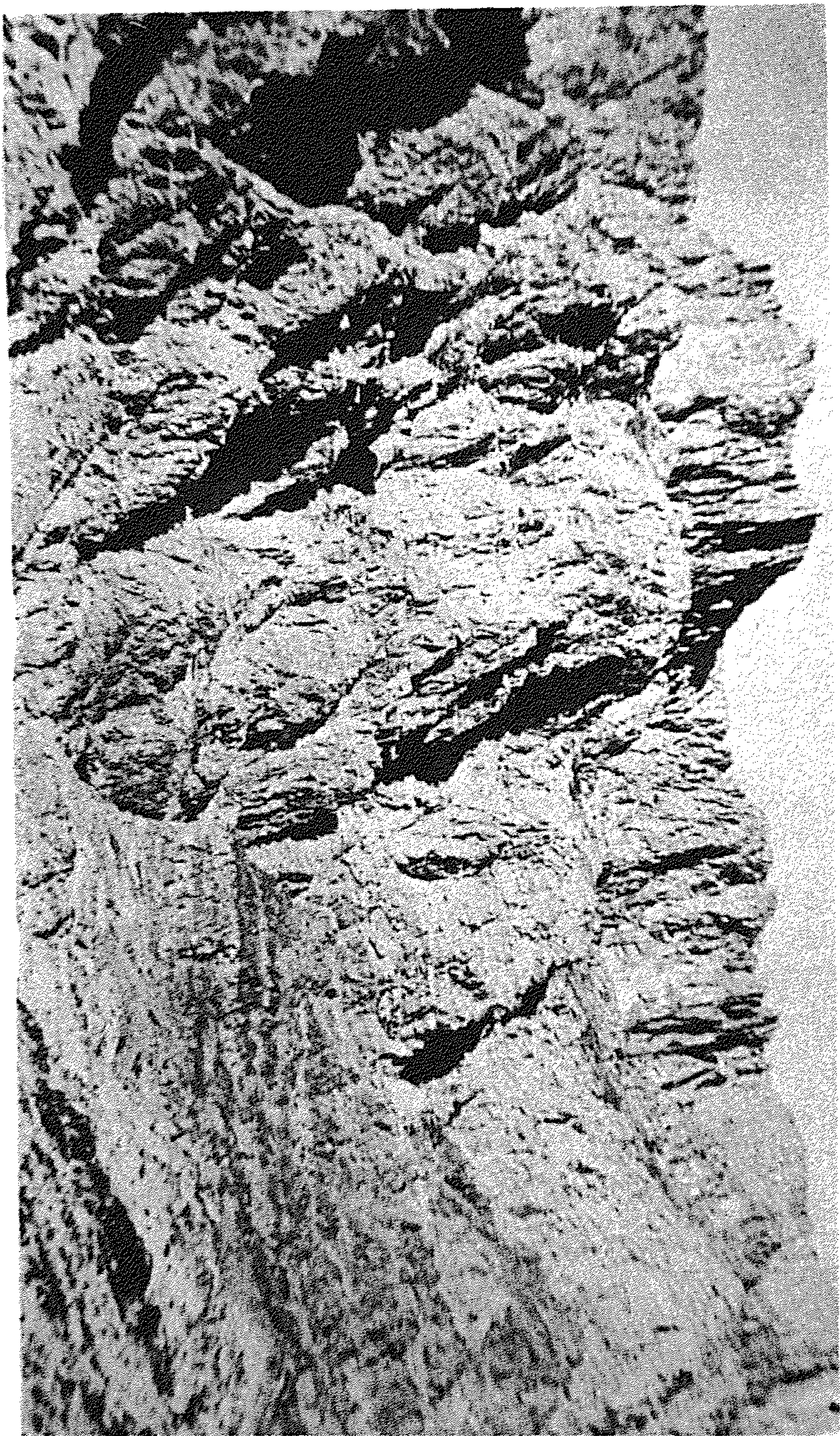


شـــكل رقم (٥)

حيوان القنفد وهو مغطى بالأشواك حول جسمه ويوجد بكثرة فى الجبال

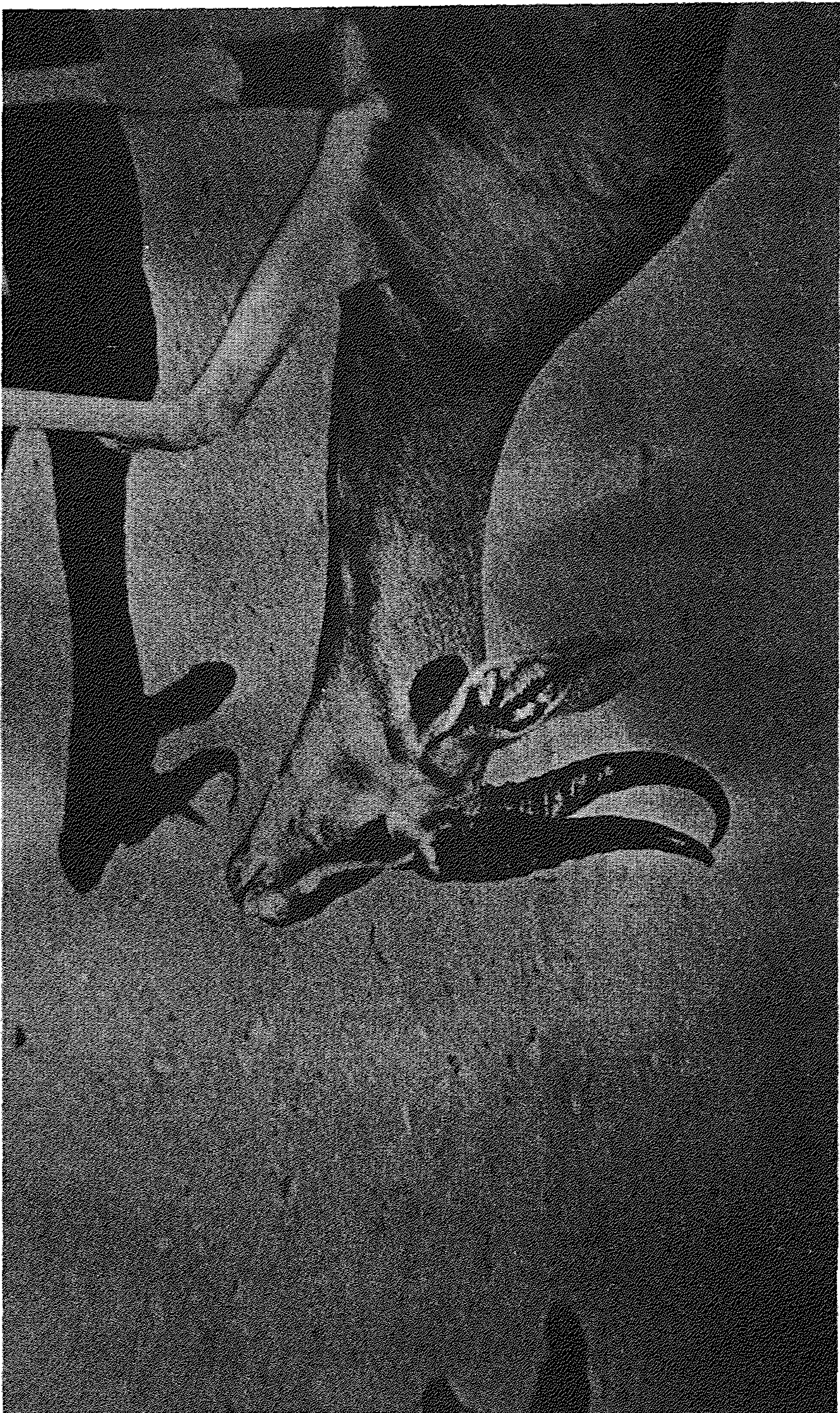


شـــكل رقم (٦)
فريق من الباحثين عن الحيوانات البرية فى منطقة الجبال بعمان



شكل رقم (٧)

مناطق جبلية شامخة في كهوفها بعض الأنواع من الحيوانات البرية



شـــكل رقم (٨)
غزال الريم وهو من الحيوانات النادرة



شكل رقم (٩)
عنزة جبلية



شـــكل رقم (١٠)
مناطق جبلية يسكنها بعض الحيوانات البرية

محتويات المجلد السابع